شؤون فلسطينية

٥٧

ايـــار (مايو) ١٩٧٦

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٥٧ — ايـــار (مايو) ١٩٧٦

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

مدير التوزيع : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ؛ راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ؛ ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ؛ التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ؛ برقيا مرابحاث ؛ بيروت .

ثمن العدد : ١/٢ ٢ ل.ل. في لبنان ؛ ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٨ دراهم في دولة الامارات العربية ، ١/٢ ٤ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٥٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٦٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٨٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ١٠٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف : بريشة الفنانة الفلسطينية جانة الحسيني

المحتويـــات

صفحة ٤ **شؤون فلسطينية ، واقع جديد ، فكر جديد** ـــ م.د.

٥ **قصيدة الارض** . محمود درويش .

١٥ **دروس الانتفاضة** ، غازي الخليلي .

٣٧ **الانتفاضة الكبرى : شهادات ، دروس ، آفاق** (ندوة) اشترك فيها : الدكتور احمد حمزه ، الدكتـــور الياس شوفاني ، عربـــي عواد ، الدكتور عبد العزيز الحاج احمد ، عبد الجواد صالح ، احمد خليفة ومحمود سويد .

٦٠ **من نابلس الى بيروت : دمي علامة والطريق طويل** ، علي الخليلي .

٦٥ **سليم البهلول** (قصة) ، توفيق فياض .

٧٦ **التوازنات المسلحة : ملاحظات حول الحرب الاهلية في لبنان** ، خالد جابـــر

٨٧ **حول الازمة اللبنانية: عرض وتقييم للمسار السياسي للاحداث وخطوط**

سير القتال (الحلقة الثانية) ، نواف عبد الله .

١٠٦ **حول مسألة تعدد مصادر الاسلحة** ، المقدم الهيثم الايوبي .

١١٨ **اتفاقية سيناء : معاهدة امريكية ــ اسرائيلية** ، الدكتور عودة ابــو ردينـــة .

١٢٧ **رسالة من واشنطن : سقوط موينهان وعقم السياســة الاميركية** ، سلمى حداد .

١٣٣ **مراجعات :** صهيونية بدون توسين ، صبحي النجار . عالم الفنون ، ا.س. ممنوع النشر ... اخفاء الشرق الاوسط ، روجر هاردي .

١٤٢ **رسالتان عن : السينما وفلسطين :** (١) مدخل الى السينما الصهيونية، سمير فريد . (٢) السينما الفلسطينية والانفصام ، ابراهيم ابو ناب.

١٥٨ **شهريات :** (١) القضية الفلسطينية دوليا . (٢) المناطــق المحتلة ، عيسى الشعيبي . مع « راي : بعد الانتخابات ما هــو الموقف ؟ » غ.خ. (٣) اسرائيليات ، حنه شاهين .

واقـــع جديـــد
فكر جديـــد

□ دائما ، كان الاجتهاد الفلسطيني يسأل : الى اين ؟ • وكانت الممارسات والتضحيات تدق عنق المؤامرة المزمنة التي تتربص بالشعب الفلسطينـــــي وقضيته • الان ، تطل المؤامرة وتنشط على مستوى جديد يستدعي اعـــادة النظر في بعض المسلمات والتحالفات • ويتخذ السؤال السابق ذاته وضعـــا جديدا يتعلق بمفهومي المقاومة ، بمعناها الواسع ، والثورة بمعناها العلمي • ويبدو ان الأفكار الفلسطينية الوطنية الملتزامية الاطراف لم يعد في وسعهـــا الاطمئنان الى الانسجام الدقيق مع ابعاد الواقع الجديد • جاءت الحرب الاهلية العربية في لبنان وغيرت المعاني السائدة للتضامن العربـــي الفوقي الذي صـــار يعني ، الان ، محاولة قمع الثورة الوطنية الجذرية والعلاقة الجوهرية بين الحركة الفلسطينية الثورية وبين قوى الثورة العربية الحقيقية • ففي لبنان اليوم نتاج اولي وساطع لهذه العلاقة سيكون امتداده وتبلوره تغييرا جذريا لمعادلـة التحالفات وعلاقات القوى التي كانت تبدو ، حتى وقت قريب ، موحدة فـــي موضوع فلسطين وهي على الحدود ، ومتحاربة اذا ضربت فلسطين جذورهـــا العربية في ارض العلاقات • وان قابلية النتاج اللبناني الجديد في علاقته بالثورة الفلسطينية تدل عليها اشارات كثيرة قد يكون مـن اهمها هذا الهجوم الشامل الذي تشنه عليه اطراف لا يجمعها الا القلق المشترك على النموذج اللبنانـــي الجديد • وصار النموذج اللبناني القديم المعرض للانهيار احد محاور التضامن العربي الجديد الذاهب نحو التسوية بخصائص وطنية مختلفة ، وبخاصة قومية واحدة هي طرد الفلسطينيين ، شعبا وقضية وثورة ، من اطار اي حـــل • فالمقاومة ذاتها التي كانت ، ذات يوم ، جديرة بتصفيق العرب الرسميـــن تحولت عندهم الى ورطة ثورية والى قضية الجماهير في صراعها مع معوقات نموها • ولعل المقاومة نفسها قد اكتشفت في نفسها ، بعد تجاربها السابقة ، طاقات لم يكن الكثيرون يتوقعونها • فهل سنسأل انفسنا : ماذا نفعـل بهـذه الطاقات على مستوى الارض العربية ؟ وهل نرد على انفسنا بغير التفجير ؟•• لنصب جميعا ، القوى الفلسطينية والقوى العربية الثورية ، في النهر الدافق نحو فلسطين ! •

م•د•

قصيـــدة الأرض

محمـود درويـش

١

في شهر آذارَ . . في سنةِ الانتفاضة . . قالت لنـــا الارضُ أسرارها الدمويّـةَ ؛ في شـهر اذار مَرّتْ أمـام البنفسج والبندقيّةِ خمسُ بناتٍ . وقفنَ على باب مدرسة ابتدائيةٍ ، واشتعلن مع الورد والزعـتر البلديّ . افتتحن نشيد الـتراب . دخلـن العنـاقَ النهـائي ـ آذارُ يأتي الى الأرض من باطن الأرض يأتي ومن رقصة الفتيات ـ البنفسجُ مـال قليلاً ليعبر صوتُ البنات . ألعصافيرُ مدّت مناقيرها في اتجاه النشيد وقلبي . .

أنا الارض والارض أنتِ

خديجـة ! لا تغلقي البـاب ! لا تدخلي في الغياب . سنطردهم عن إناء الزهور وحبل الغسيل . سنطردهم عن حجارة هـذا الطريق الطويل الطويل . سنطردهم عن أذان الجوامع . نطردهم عن بخـور الكنائس . نطردهم عن غبار الشوارع . نطردهم عن سطوح المدارس . نطردهم عن دوالي الحليـل وصبّـار سخنين . فامتشقي يا خديجـــة دبوّسَ شعرك او قلم الحبر او حجراً مشبعاً بانفجاري . .

وفي شهر اذارَ ، مرّت أمـام البنفسج والبندقية خمسُ بناتٍ . سقطنَ على باب مدرسةٍ ابتدائية . للطباشير فـوق الأصابـع لونُ العصافيرِ .

في شهر اذارَ
قالت لنا الأرضُ
أسرارها .

I

أسمّي الترابَ امتداداً لروحي
أسمّي يديَّ رصيفَ الجروحِ
أسمّي الحصى أجنحه
أسمّي العصافير لوزاً وتينْ
أسمّي ضلوعي شَجَرْ
وأستلُّ من تينة الصدر غصناً
وأقذفهُ كالحجر
وأنسفُ دبابة الفاتحين .

٢

وفي شهر اذارَ ، قبل ثلاثين عاماً وخمس حروب ، وُلدتُ على كومةٍ من حشيش القبور المضيء . ابي كان في قبضة الانجليز . وامي تُربّي جديلتها وامتدادي على العشبِ . كنتُ احبُّ « جراح الحبيبِ » واجمعها في جيوبي ، فتذبل عند الظهيرةِ . مرَّ الرصاصُ على قمري الليلكيِّ فلم ينكسرْ ، غير ان الزمان يمرُّ على قمري الليلكيِّ فيسقط في القلب سهواً . .

وفي شهر اذارَ نمتدُّ في الأرض . في شهر اذار تنتشر الارضُ فينا مواعيدَ غامضةً واحتفالاً بسيطاً . ونكتشفُ البحر تحت النوافذِ ، والقمرَ الليلكيَّ على السّرو . .

في شهر اذار ندخل اوّل سجنٍ وندخل اوّل حُبّ . وتنهمرُ الذكرياتُ على قرية في السباج . وُلدنا هناكَ ولم نتجاوز ظلال السّفرجل . كيف تفرّين من سُبُلي يا ظلالَ السفرجلِ ؟

في شهر اذار ندخل اوّلَ حبّ وندخل اوّل سجن . وتنبلجُ الذكريات عشاء من اللغة العربيّةِ . كيف يكونُ الزمان زمانين في لحظة الوردِ ؟ كيف يكون المكان مكانين في لحظة القيد ؟ . قال ليَ

الحبُّ يوماً : دخلت الى الحلمِ وحدي فضِعتُ وضاع بيَ الحلمُ. قلت :
تكاثرْ ! ترَ النهرَ يمشي اليكَ
وفي شهر آذار
تكتشفُ الارضُ
انهارها . .

II

بلادي البعيدةَ عني .. كقلبي !
بلادي القريبة مني .. كسجني !
لماذا أُغنّي
مكاناً .. ووجهي مكانٌ ؟
لماذا أُغنّي
لطفل ينامُ على الزعفران
وفي طَرَف النوم خنجرْ ؟
وامّي تناولني
صدرَها
وتموت امامي
بنسمة عنبر ؟ .

٣

وفي شهر آذارَ تستيقظُ الخيلُ . سيّدتي الارضَ ! ايُّ نشيد سيمشي على بطنك المتموّج بعدي ؟ وايّ نشيدٍ يلائم هذا الندى والبخور ! . كأنّ الهياكل تستنسرُ الآنَ عن انبياء فلسطينَ في بدئها المتواصلِ . هذا اخضرارُ المدى واحمرارُ الحجارةِ — هذا نشيدي . وهذا خروجُ المسيح من الجرح والريح أخضرَ مثل النبات يُغطّي مساميرَهُ وقيودي . وهذا نشيدي — وهذا صعودُ الفتى العربيِّ الى الحلم والقُدْسِ . .

في شهر آذار تستيقظُ الخيلُ — سيدتي الارضَ — والقمرُ اللولبيّةُ تبسطها الخيلُ سجادةً للصلاة السريعة بين الرماح وبين دمي . نصف دائرةٍ ؛ ترجع الخيلُ قوساً ويلمع وجهي ووجهُكِ حيفا وعُرْساً .

وفي شهر آذار ينخفضُ البحرُ عن ارضنا المستطيلة مثل حصانٍ على وَترَ الجنسِ. في شهرِ اذار ينتفضُ الجنسُ في شجر الساحل العربيّ. وللموج ان يحبس الموجَ . ان يتموّجَ . . ان يتزوجَ . . او يتضرّجَ بالقطنِ .

ارجوكِ — سيدتي الارضَ — ان تَسكُنيني وان تُسكنيني صهيلك .
ارجوكِ ان تدفنيني مع الفتيات الصغيرات بين البنفسج والبندقية .
ارجوكِ — سيدتي الارضَ — ان تُحصي عمري المتمايل بين سؤالين :
كيف ؟ واين ؟ . وهذا ربيعي الطليعيُّ . هذا ربيعي النهائيُّ . .
في شهر آذار
زوّجت الارضُ
اشجارَها

III

كأني اعود الى ما مضى
كأني اسيرُ امامي
وبين البلاط وبين الرّضا
أُعيد انسجامي
انا وَلدُ الكلمات البسيطه
وشهيدُ الخريطه
انا زهرة المشمش العائليه
فيا ايها القابضون على طرف المستحيل
من البدء حتى الجليل
اعيدوا الي الهويه
اعيدوا الي الهويّه !

٤

وفي شهر آذارَ تأتي الظلالُ حريريةً — والغزاةُ بدون ظلالٍ — وتأتي العصافيرُ غامضةً كاعتراف البنات ، وواضحةً كالحقولِ — العصافيرُ ظلُّ الحقول على القلب والكلمات

خديجةُ ! اين حفيداتُك الذاهباتُ الى حُبّهن الجديد ؟ . ذهبن ليقطفن بعض الحجارة ، قالَت خديجةُ وهي تحثُّ الندى خلفهنّ

وفي شهر آذارَ يمشي الترابُ دماً طازجاً في الظهيرةِ . خمس بنات يخبئنَ حقلاً من القمح تحت الضفيرةِ . يقرأنَ مطلع انشودة عن دوالي الخليل . ويكتبن خمس رسائل : تحيا بلادي من الصفر حتى الجليل . ويحلمن بالقدس بعد امتحان الربيع وطرد الغزاة .

خديجةُ ! لا تغلقي البـاب خلفكِ ! لا تذهـبي في السحاب . ستمطر هذا النهار . ستمطر هذا النهار رصاصاً . ستمطر هذا النهار . .

وفي شهر آذارَ ، في سَنَة الانتفاضةِ ، قالت لنا الارض اسرارها الدموية . خمس بنات على باب مدرسة ابتدائيةٍ ينكسرن مرايا مرايا . البناتُ مرايا البلاد على القلب .

في شهر آذار . والعشبُ أخضرُ مثل ولادة تُفـاحة في الطريق الى طبريا . وكان جنـودُ المظـلات أطولَ من قامـة العشبِ . كانوا ثمانـين في شهر آذار . خمسُ بنـات على باب مدرسة يقتحمن جنـود المظلات . يسطعُ بيتٌ من الشعر أخضر : تحيـا بـلادي
من الصفر حتى الجليلِ
وكان الرصيف صغيراً صغيراً ، ولكنَّ مليون برقوقة أشرقت فجـأة من شقوق الحجارةِ . كان غناء العصافير أحمرَ . كان الجدار المجاور أحمرَ . كان النهار المقابل أحمر .

في شهر آذار
أشعلت الارضُ
أزرارَها

IV

أنا شاهدٌ المذبحهْ
وشهيدٌ الخريطه
أنا ولد الكلمات البسيطه

رأيتُ الحصى أجنحه
رأيتُ الندى أسلحه .
عندما أغلقوا باب قلبي عليّا
وأقاموا الحواجز فيّا
ومنع التجوُّل
صار قلبيَ حارةْ
وضلوعي حجاره
وأطلَّ القرنفلْ
وأطلَّ القرنفل .

٥

وفي شهر آذارَ رائحةٌ للنباتاتِ . هـذا زواج العناصر . « اذار أقسى الشهور » وأكثرُها شَبَقاً . أيُّ سيفٍ سيعبر بـين شهيقي وبين زفيري ولا يتكسّرُ ! هـذا عناقي الزراعيُّ في ذروة الحبّ . هـذا انطلاقي الى العمر . فاشتبكي يا نبـاتاتُ واشتركي في انتفاضـة جسمي وعودة حلمي الى جسدي . سوف تنفجر الارضُ حين أحقّق هـذا الصراع المكبّل بالريّ والخجل القرويّ .

وفي شهر آذار نأتي الى هوس الذكريات ، وتنمو علينا النباتات صاعدةً في اتجاهات كلّ البدايات . هذا نموُّ التداعي . أسمّي صعودي الى الزنزخت التداعي . رأيتُ فتـاة على شاطيء البحر قبـل ثلاثين عامـاً وقلتُ : أنا الموج . فابتعـدتْ في التـداعي . رأيت شهيدين يستمعان الى البحر . عكسّا تجيء مع الموج . عكسّا تروح مع الموج . وابتعدا في التداعي . ومالت خديجةُ نحو الندى — فاحترقتْ .

خديجةُ ! لا تُغلقي الباب ! إنّ الشعوب ستدخل هذا الكتاب . وتأفلُ شمس أريحا بدون طقوس

فيا وطن الانبياء .. تكاملْ !
ويا وطن الزارعين .. تكامل !
ويا وطن الشهداء .. تكامل

ويا وطن العائدين .. تكامل

فكلّ شعاب الجبال امتدادٌ لهذا النشيد وكلّ الأناشيد فيك امتداد لزيتونة زَمّلتْني

وفي شهر اذار تنمو علينا النباتات . نذهب في شهر اذار نحو البدايات .

في شهر اذار
زَفّت لنا الأرض
اخبارها

V

مساء صغير على قرية مهمله
وعينان نائمتان
اعود ثلاثين عاماً
وخمس حروب
واشهد ان الزمان
يخبّيء لي سنبله

يغنّي المغنّي
عن النار والغرباء
وكان المساء مساء
وكان المغنّي يغني

بنادقهم ساخنه
واصواتهم اسنه
اصابوا هواء البيوت
اصابوا مفاتيحها الآمنه
وخمس بنات اصابوا
اصابوا دم السوسنه
ولم تنزل المئذنه

يغنّي المغني
عن الريح والغرباء
وكان المساء مساء
وكان المغني يغني

ويستجوبونه :

لماذا تغني ؟
يردُّ عليهم

وهم يأخذونه :

لأني اغني .
ولا تذهب الياسمينه

وقد فتشوا صدره
فلم يجدوا غير قلبه
وقد فتشوا قلبه
فلم يجدوا غير شعبه
وقد فتشوا صوته
فلم يجدوا غير حزنه
وقد فتشوا حزنه
فلم يجدوا غير سجنه
وقد فتشوا سجنه
فلم يجدوا غيرهم في القيود .

وراء التلال
ينام المغني
وفي شهر اذار
تصعد منه الظلال

٦ و VI

انا الأمل السهل والرحب – قالت لي الأرض – والعشب مثل التحية في الفجر . هذا احتمال الذهاب الى العمر خلف خديجة . لم يزرعوني لكي يحصدوني . يريد الهواء الجليليّ ان يتكلّم عني فينعس عند خديجة .

يريد الغزال الجليلي ان يهدم اليوم سجني فيحرس ظل خديجة وهي تميل على نارها

يا خديجة ! اني رأيت وصدّقتُ رؤياي . تأخذني في مداها وتأخذني في هواها

انا العاشق الأبديّ – السجين البديهيّ . يقتبس البرتقال اخضراري ويصبح هاجسَ يافا

انا الارض منذ عرفت خديجة .

لم يعرفوني لكي يقتلوني . بوسع النبات الجليليّ ان يترعرع بين اصابع كفّي ويرسم هذا المكان الموزّع بين اجتهادى وحبّ خديجةَ

هذا احتمال الذهاب الجديد الى العمر من شهر اذار حتى رحيل الهواء عن الارض . هذا التراب ترابي وهذا السحاب سحابي وهذا جبين خديجة

انا العاشق الابديّ – السجين البديهيّ

رائحة الارض توقظني في الصباح المبكّر . قيدي الحديديُّ يوقظها في المساء المبكّر . هذا احتمال الذهاب الجديد الى العمر . لا يسأل الذاهبون الى العمر عن عمرهم . يسالون عن الارض هل نهضت !

طفلتي الارضَ ! هل عرفوك لكي يذبحوك . وهل قيّدوك باحلامنا فانحدرت الى جرحنا في الشتاء ؟ وهل عرفوك لكي يذبحوك . وهل قيدوك باحلامهم فارتفعتِ الى حلمنا في الربيع ؟

انا الارض
يا ايها الذاهبون الى حبّة القمح في مهدها
احرثوا جسدي !
ايها الذاهبون الى جبل النار
مرّوا على جسدي
ايها الذاهبون الى صخرة القدس
مروا على جسدي
ايها العابرون على جسدي
لن تمروا
انا الارض في جسدِ
لن تمروا
انا الارض في صحوها
لن تمروا
انا الارض . يا ايها العابرون على الارض في صحوها
لن تمروا
لن تمروا
لن تمروا

دروس الانتفاضة

غازي الخليلي

[١]

شهادات

لا استجدي الغيمة اذا لم تمطر ، فدخان البنادق التي انطلقت يتساقط مطرا ...

وفي يوم الارض ، انهمر المطر ، وازهرت الارض التي ظنوا انها لم تعد تزهر . وبكى جندي صهيوني وهو يقول « لقد حاولوا ان يحرقوني حيا ، واحاطوا بسيارتي وحاولوا اضرام النار فيها . لم اكن اتصور ان الامر بهذه الشدة ، فقد هاجمونا بحجارة لها حجم البطيخ ، وبمشاعل مغموسة بالبنزين تشتعل فيها النيران «١» » ! وذهل الاسرائيليون . قال مراسل « ان احد الضباط الاسرائيليين ذهل للعنف الذي ابداه سكان القرى نحوه ونحو جنوده ، على الرغم من انهم يعرفونه جيدا «٢» » ؟

وفي يوم الارض حدثنا التاريخ « ان المواطنين الفلسطينيين في الجليل والمثلث تحدوا قرار حظر التجول الذي فرضه الحاكم العسكري الاسرائيلي ، وعم الاضراب جميع المدن والقرى العربية بلا استثناء ، ونجح بصورة فاقت كل توقع . وانطلقت اعنف تظاهرات شارك بها الالاف من قرى عرابة ودير حنا وسخنين ، وقرى الطيبة وام الفحم والطالبية وطوان ، التي وقعت فيها اشتباكات دامية وحرائق متعددة .

وفي عرابة استشهد ثلاثة خلال اشتباك مع الجنود الاسرائيليين . وفي قرية الطيبة استخدم المتظاهرون لاول مرة الاسلحة النارية ضد البوليس الاسرائيلي فأصابوا خمسة من افراده . وفي دير حنا القى المتظاهرون قنابل المولوتوف المصنوعة محليا والمشاعل المحترقة على افراد الشرطة . ووقعت اصطدامات دامية اقيمت خلالها الحواجز على الطرق واشعلت النيران في اطارات السيارات .. وفي بلدة سخنين استشهد ثلاثة من المواطنين العرب خلال اشتباك عنيف ، واصيب عدة اشخاص بجروح بينهم٩ من حرس الحدود الاسرائيلي ، واعتقل ٧٠مواطنا عربيا «٣» و « امتد التوتر الى عكا حيث تظاهر نحو ٢٠ شاب عربي وقطعوا بالاطارات المحترقة الطريق بين عكا وصفد » «٤» .

الارض تواصل لا ينقطع . والانتفاضة ، فعل يتراكم وبراعم تتفتح ، واطفال صغار يكبرون قبل الاوان .

ونقلب صفحات التاريخ ، في اواخر العام ١٩٦٨ واوائل العام ١٩٦٩ شهدت مدن وقرى الضفة الغربية وقطاع غزة تظاهرات عنيفة ضد الاحتلال الاسرائيلي . صرح ناطق اسرائيلي في ١٩٦٩/٢/٢٥ « تجددت تظاهرات الطلبة في غزة، وقذف المتظاهرون السيارات العسكرية بالحجارة . وفي الضفة الغربية لا تزال جميع المدارس مستمرة في اضرابها احتجاجا على الاحتلال الاسرائيلي ... وفي نابلس اغلقت المحلات التجارية والمحلات العامة ابوابها مشاركة في الاحتجاج على الاحتلال الاسرائيلي والغارات الاسرائيلية على المدنيين» «٥» .وقالت راوية: من رأى منكم الازهار تقاتل . ان الازهار في بلادي تقاتل . فقوارير الزهور على شرفات المنازل ، كانت بأيدي الامهات تقاتل . ونمت في الارض زهرة ، فكل الاشياء في بلادي غضبى تقاتل .

وظنوا ان الارض انكرت اهلها ، او ان الاهل انكروا ارضهم ... ولكن ... في ١٩٧٤/١١/١٣ ذكر راديو العدو « تجمع عدد من المواطنين في الساحة المركزية لمدينة نابلس وكان معظمهم من الطلاب . وكان يسير مع الطلاب عدد من الشبان البالغين اهتموا بتنظيم التظاهرة .. وكانوا يهتفون بشعارات : فلسطين عربية ، ياسر عرفات جميعنا معك» .وتكرر المشهد نفسه — اضراب وتظاهر — في الخليل وحلحول وطولكرم ورام الله والقدس والبيرة . « ودارت مكبرات الصوت في شوارع المدينة تدعو التجار الى فتح حوانيتهم بأمر من رئيس بلدية نابلس ، وبدأ التجار بخوف شديد يفتحون متاجرهم ... ولكن عندها بدأ المتظاهرون يطلقون صيحات الاحتجاج ويندون بالتجار ... ومرة اخرى بدأت الحجارة تتطاير » «٦» .

وقال راديو العدو « لقد كان هذا اعصب اسبوع في تاريخ الضفة الغربية منذ عهد العصيان المدني عام ١٩٦٨ . لقد بدأت التظاهرات في نابلس قبل نحو عشرة ايام ... لقد كانت بؤرة التظاهرات المدارس . ومن هناك خرج المتظاهرون ... **وسبقت التظاهرات عمليات تحريض وتوزيع منشورات واطلاق شعارات» «٧»** وتساءل المعلق الاسرائيلي عن السر في ان التظاهرات في عدد من المدن والقرى قامت في وقت واحد « لقد وقعت اعمال الشغب والتظاهرات في عدد من المدن والقرى في الوقت نفسه ، وهذه الظاهرة تجعلنا نتساءل فورا : هل كان هناك عامل موجه واحد ؟ ولكن يصعب الرد على هذا السؤال ، فان عددا من التظاهرات كان شبه عفوي ، واحيانا كانت التظاهرات تقع لاتفه الاسباب، ولكنها هنا حددت في يوم وفي ساعة معينة» «٨» ،**وستظل علامات الاستغراب والدهشة ترتسم على الوجوه الحاقدة حتى تصفعها الحقيقة .** ذكر راديو العدو في ١٩٧٥/١١/٢٠ « رسمت شعارات بالوان زيتية تشيد بمنظمات المقاومة على جدران المنازل في القدس وعلى ظهور السيارات ... وان منشورات تحريض وزعت اثناء الليل داخل اسوار المدينة القديمة» «٩» **وفي القدس** « خرج الطلاب بتظاهرة يهتفون ويرفعون الاعلام الفلسطينية ، ووضعوا على الطريق حجارة وقضبانا حديدية ورشقوا الجنود بالحجارة» «١٠» و «انقض عدد من الطلاب على مركز الشرطة في قلندية، ودار هناك شجار مع رجال الشرطة ، وقد استدعيت تعزيزات وتم اعتقال عدد من الطلاب . وما ان فرغ رجال الشرطة من قلندية ، واذا بالحجارة تتطاير من باحة المدرسة الابراهيمية في القدس . وهنا ايضا استعمل رجال الشرطة القوة ... وانقضوا على ساحة المدرسة .. وجرح عدد من رجال الشرطة بسبب اصابتهم بالحجارة الكبيرة » «١١» .

وتجذرت البذرة في الارض . نما الزرع واشتد ساقه ، واتسع الحقل وامتد .. كل فلسطين ثورة . توحدت الارض ، توحد الشعب ، تواصلت الارض مع الشعب ،

ولمعت العيون واتسعت حدقاتها ، وصوت واحد يوحد : لا للاستيطان ، لا للاحتلال .
جاء في الاخبار « جرت معركة عنيفة بين المتظاهرين وقوات الاحتلال في مدينة نابلس سقط على اثرها عشرات الجرحى من الجانبين ، واقيمت المتاريس في وسط المدينة وداخل الشوارع والازقة ، واشعلت الاطارات ، وسكب الزيت في الطرق لمنع تقدم آليات العدو ... واستخدم المتظاهرون الزجاجات المملوءة بالمواد الملتهبة وقذفوا بها الجنود بعد اشعالها » وقالت الانباء « ان اما فلسطينية من جنين طعنت جنديا اسرائيليا بسكين عندما حضر عدد من الجنود الى منزلها لاعتقال احد ابنائها . اعتقلت الام مع جميع افراد اسرتها » . وقال المذيع الاسرائيلي « ان اطفال ٤ — ٥ سنوات يشعلون اطارات المطاط ويقذفون الجنود بالحجارة ». وقالت الصحف « ان المتظاهرين ضربوا سائقا مدنيا كان ينقل عسكريا اسرائيليا في سيارته على طريق اريحا — القدس :

وقال شاهد عيان :

المتراس والحجارة والاطار المشتعل ، سلاح الجماهير في مواجهة اليات العدو وجنوده المدججين بالسلاح ... يغلق الشبان والشابات شارعا معينا بالحجارة وصناديق الخشب والمواسير ، ثم يكمنون على بعد مدروس من ذلك المكان . يتقدم العدو بسيارة مصفحة يسير خلفها من عشرة الى عشرين جنديا شاهرين بنادقهم مع السنجات ، ثم سيارة المخابرات . تقف السيارة المصفحة امام المتراس ، يأمر الجنود ايا من المارة بازالة المتراس بالقوة ، وما لم يكن احد مارا يصعد الجنود الى البيوت المجاورة ويطلبون من سكانها النزول لازالة المتراس . وما ان يزال المتراس ويحاول جنود العدو التقدم ، حتى تنهال الحجارة عليهم من كل مكان ، ويعلو الهتاف بحياة الثورة ، ويرتفع العلم الفلسطيني عاليا .

وروى انه شاهد فتيات في عمر الزهور ، وراء المتاريس والاطارات المشتعلة ، كانت تستطل اذرعهن وهن يقذفن الجنود بالحجارة ، وكن يعتمرن الكوفية الفلسطينية وقد شددنها على رؤوسهن كالعصبة حتى يزددن صلابة وعنفا .

غابت احاديث الكنة والحماة وماذا قالت الجارة من الاحاديث اليومية لجداتنا وامهاتنا ، وطغى حديث الارض على كل حديث .

وقال :

وتبقى الحقائق تفرض نفسها ، لانها عنيدة كالصخر . قال مراسل « التايمز » اللندنية من القدس « لا الاعتقالات ولا قنابل الغاز فرقت المتظاهرين » واكد ان التظاهرات اتخذت « صفة الاحتجاج الشامل ضد الاحتلال » واوضح ان الرسميين الاسرائيليين لم يجدوا الا ان يعترفوا بان التظاهرات كانت بسبب الاستيطان ، ولكن « لا يبدو ان الحكومة الاسرائيلية سترضخ لمطالب المحتجين لوقف الاستيطان» ! «١٣» وقالت الغارديان « لا شك ان الاضطرابات ابتدأت بسبب المسجد الاقصى ، ولكن التظاهرات اكتسبت مضمونا مستقلا ، فالذي يجري يوميا في الضفة الغربية ليس تهديد « موقع مقدس » ولكن الاحتلال الاسرائيلي نفسه » «١٤» .

[٢]

ثلاث انتفاضات

تقدم هذه الشهادات صورة حية عن واقع جماهيرنا داخل الارض المحتلة ، وهي

شهادات تؤكد انه ، يوما بعد يوم تتبلور الارادة الجماهيرية في فلسطين المحتلة بمقاومة عنيفة وواعية ضد الاحتلال الاسرائيلي بمظاهر وجوده المختلفة ، وانه ، يوما بعد يوم تتكسر عبر التحركات الجماهيرية الواسعة ، الحدود المصطنعة بين اماكن تجمعات الشعب الفلسطيني المختلفة سواء داخل فلسطين المحتلة او خارجها . وكان يوم الارض يوما مجيدا في تاريخ الشعب الفلسطيني ، اذ تأكدت في هذا اليوم وحدة الشعب الفلسطيني عبر توحد نضالاته وشمولها كل الارض الفلسطينية ، فكانت تظاهرات الجليل والمثلث ضد الاستيطان الصهيوني وضد سياسة نهب ومصادرة الاراضي العربية في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ ، تعبيرا واضحا عن الالتقاء مع التظاهرات التي قامت في مدن وقرى الضفة الغربية وقطاع غزة . ضد الاستيطان الصهيوني وسياسات تهويد الارض المحتلة . ويوم الارض اذ ابرز هذا التلاحم القوي بين جماهيرنا في فلسطين المحتلة ، فان الانتفاضة الشعبية التي لا تزال تعم كل مدن وقرى الضفة الغربية منذ اكثر من ثلاثة شهور ، والتي وجدت لها تجاوبا واسعا في كل فلسطين المحتلة وخارجها ، تطرح العديد من الاسئلة ، وتقدم الكثير من الدروس التي يجب الاستفادة منها واستيعابها بشكل جيد في نضالاتنا القادمة .

ان الانتفاضة الشعبية التي تشهدها فلسطين المحتلة هذه الايام ، ليست هي الانتفاضة الاولى ، وان كانت تختلف عن سابقاتها بامور عديدة سواء من حيث شموليتها ومدى عنفها . فقد شهدت الاراضي المحتلة في العام ١٩٦٧ ثلاث انتفاضات منذ الاحتلال الاسرائيلي حتى الان ، الاولى كانت في اواخر العام ١٩٦٨ واوائل العام ١٩٦٩ واستمرت اكثر من ثلاثة شهور . والثانية كانت في تشرين الثاني ١٩٧٤ واستمرت نحو اسبوعين . اما الثالثة ، فهي الانتفاضة الحالية والتي ابتدأت في كانون الاول « ديسمبر » ١٩٧٥ مع بداية توجه جماعات صهيونية لاقامة مستوطنة صهيونية قرب قرية سبسطية ، وقد اكتسبت هذه الانتفاضة المزيد من الزخم الجماهيري والفعالية النضالية مع الاحداث التي شهدتها المنطقة العربية خلال الاشهر الماضية ولا سيما احداث لبنان الدامية .

الانتفاضة الاولى ١٩٦٨ ــ ١٩٦٩

اثر تزايد النشاط الفدائي داخل الارض المحتلة ، اتخذت السلطات الاسرائيلية المحتلة اجراءات قمعية ، تعسفية وقاسية ، ضد المواطنين العاديين ، بهدف الضغط عليهم والتأثير على مدى تعاونهم مع الفدائيين ودعمهم لهم . ومن هذه الاجراءات ، التوسع في تطبيق سياسة العقوبات الجماعية ونسف البيوت والابعاد الى الضفة الشرقية . وكان من الامور المألوفة في الاراضي المحتلة قيام السلطات الاسرائيلية باعتقال عدد من افراد العائلة الواحدة اذا ثبت ان لاحد افرادها علاقة بالعمل الفدائي، كذلك كان من الامور المألوفة ايضا قيام هذه السلطات بفرض حظر التجول على حي بكامله او اكثر من حي في احدى المدن لمدة قد تزيد عن يومين ، اذا اكتشفت قطعة سلاح في احد بيوت هذا الحي او انفجرت عبوة فيه . كذلك فان نسف البيوت كان من الامور التي اعتادت الجماهير رؤيتها يوميا . وكان البيت ينسف لمجرد ان قطعة سلاح اكتشفت فيه ، او لان احد القاطنين في هذا البيت كانت له علاقة بالعمل الفدائي .

صرح موشيه ديان في ١٩٦٩/١١/١٢ في نادي الصحفيين بتل ابيب « انه نظرا لزيادة التعاون بين سكان المناطق التي يسيطر عليها جيش الدفاع والمخربين ، فان سلطات الامن ستعاقب ليس مرتكبي الاعمال التخريبية فحسب ، بل ستعاقب ايضا اولئك

الذين لهم علم بارتكاب هذه الاعمال او الذين ساعدوا على ارتكابها ولو بصورة غير مباشرة » . لقد كان الهدف من هذه الاجراءات القمعية الجماعية ، تحميل السكان وزر ما يقوم به الفدائيون من نشاطات واعمال ، وبالتالي دفعهم الى عدم تقديم الحماية والعون لهم . ولكن كما ثبت للسلطات الاسرائيلية مؤخرا . فان سياسة العقوبات الجماعية سلاح ذو حدين ، فهو في الوقت الذي قد يؤثر على بعض المواطنين ويخيفهم ، فانه من الناحية الاخرى يزج باعداد كبيرة من الجماهير في مواجهة العدو الاسرائيلي . لقد عمل العدو الاسرائيلي في الاشهر الاولى من الاحتلال ان لا يكثف وجوده العسكري في المناطق المحتلة ، وذلك على امل ان لا يشعر السكان بثقل الاحتلال حتى لا يستفز مشاعرهم الوطنية ، ولكن امام تصاعد العمل الفدائي ، لم تجد السلطات العسكرية المحتلة بدا من تكثيف وجودها العسكري في كل المناطق للسيطرة عليها ومطاردة الفدائيين ولم تجد بدا من القيام باجراءات قمعية كشفت وجهها الفاشي ، فتمزقت امام المواطن العربي صورة اسرائيل » الليبرالية التي كانت تروج لها الدعايات الصهيونية ، وبرز العدو على حقيقته ، كقوة محتلة عنصرية وفاشية . علقت صحيفة « الاتحاد » على اجراءات العدو القمعية فقالت « ان اساليب القمع ضد الجماهير مزقت اسطورة الحكم الليبرالي وعدم التدخل في الشؤون الداخلية التي روجها موشيه ديان » «١٥» .

لم تجد الجماهير من يدافع عنها ضد هذه الاجراءات القمعية ، فالمجالس البلدية وقفت عاجزة ولم تحرك ساكنا. وسياسة العرائض والاحتجاجات الشكلية التي كانت ترفعها بعض الهيئات لم تؤد الى نتيجة ، فكان لا بد من تحرك عام . وكانت البداية في تحرك المدارس . وكانت الشرارة من مدرسة العائشية للبنات بنابلس ، حيث خرجت الطالبات في تظاهرة وهن يهتفن ضد الاحتلال وفلسطين عربية ، وباغنية « انا صامد صامد » وهي الاغنية التي اخذت تتردد في كل بيت وشارع آنذاك ، لانها كانت تعبر عن صمود الجماهير في مواجهة سياسات العدو واجراءاته القمعية .

استخدمت السلطات الاسرائيلية القوة في قمع تظاهرة الطالبات ، فاقتحمت المدرسة وضربت الطالبات والمعلمات واصدر الحاكم العسكري قرارا باغلاق المدرسة . وكما يقول كارل ماركس « ان الثورة تتقدم باستثارة حركة معادية للثورة ، متحدة وقوية ، اي انها تجبر العدو على اللجوء الى وسائل دفاعية قصوى فقصوى ، وهكذا تستنبط وسائل هجومية اقوى فاقوى» «١٦» .فقد اثار اقتحام المدرسة جميع الاهالي ،فاحتج المجلس البلدى لمدينة نابلس ، وسط احتجاج جماهيرى عارم ضد ممارسات العدو . وفي اليوم التالي عم الاضراب مدينة نابلس ، وخرج الطلاب في كل المدارس بتظاهرة عامة ، تصدت لها الشرطة الاسرائيلية ، فحصلت اشتباكات دامية بين الطرفين . ومن نابلس انتقلت الشرارة الى كافة المدن والقرى الفلسطينية . فعمت الانتفاضة ، وشملت غزة والقدس ورام الله وطولكرم ... الخ . كانت غزة تمثل آنذاك حالة نضالية متقدمة عنها في الضفة الغربية . فالعمليات العسكرية في قطاع غزة كانت اكثر واشمل منها في الضفة الغربية ، والتحرك الجماهيري في القطاع كان يكتسب طابعا اكثر عنفا منه في الضفة الغربية . ولذلك كانت سياسة العقوبات الجماعية وآثارها ابرز في القطاع منها في الضفة «١٧» .وتذكر فتاة من اللواتي اشتركن في هذهالانتفاضة ان احد اسباب الانتفاضة في الضفة الغربية ، كان لمواكبة الحالة النضالية التي كانت قائمة في قطاع غزة ، ودعم هذه الحالة بتحريك الحالة النضالية في الضفة .

لقد استمرت الانتفاضة من اواخر العام ١٩٦٨ حتى اوائل آذار « مارس » ١٩٦٩ .

وقد ترافقت الانتفاضة الجماهيرية مع القيام ببعض العمليات العسكرية من قبل بعض المشاركين في الانتفاضة . ففي ١٩٦٩/٢/١١ القيت في غزة قنبلتان على جنود اسرائيليين خلال تظاهرة، «١٨» وفي ١٩٦٩/٢/٢١ كانت عملية السوبرسول في القدس «١٩» وفي ١٩٦٩/٣/٦ كانت عملية كافتيريا الجامعة العبرية «٢٠» . والجدير بالملاحظة ان هذه العمليات الثلاث قامت بها فتيات ، وكانت هذه العمليات مع الاشتراك الواسع للفتيات في الانتفاضة ، اول اشارة الى اشتراك المرأة الفلسطينية بهذه الكثافة في المقاومة الفلسطينية .

لقد **امتازت** هذه الانتفاضة بعدة ميزات منها ، (١) الاشتراك الواسع للمرأة الفلسطينية فيها ، وبشكل خاص طالبات المدارس ، حيث اعتقلت اعداد كبيرة منهن ، (٢) شمولها كل الاراضي المحتلة في العام ١٩٦٧ ــ الضفة الغربية وقطاع غزة ــ (٣) جاءت في وقت اشتدت فيه اجراءات العدو القمعية وبالتالي كانت تحديا له . (٤) استمرت فترة طويلة اي نحو ثلاثة شهور ، واستمرارها هذه الفترة ، كان يدلل على ان الجماهير تختزن طاقة كبيرة ، قد لا يمكن تجنيدها كلها من خلال العمليات العسكرية ولكن يمكن تجنيدها واستخدامها بشكل عقلاني وواع من خلال اشكال من النضال متنوعة .

من الناحية الاخرى **فقد ابرزت** هذه الانتفاضة عدة امور منها(١) ان جمهور المواطنين الواسع وبشكل خاص الحرفيين وسكان القرى ، ما زال بعيدا عن الاشتراك بفعالية في النضال الجماهيري ، ولذلك كان الطابع الغالب على الانتفاضة هو التحرك الطلابي (٢) الطابع العفوي العام للانتفاضة وعدم وجود الهيئات التي توظف هذه العفوية النضالية بعقلانية في مواجهة السلطات المحتلة . وقد تشكلت بعض الهيئات او اللجان خلال الانتفاضة مثل « اللجنة العليا لطلبة الاراضي المحتلة » التي تشكلت في رام الله وقامت بتوزيع منشورات تحرض على الاضراب والتظاهر ، «٢١» ومثل لجنة الطلبة في القدس التي قام عدد من افرادها بارسال عريضة الى السلطات الاسرائيلية طالبوا فيها باطلاق سراح المعتقلين من الطلاب والطالبات والغاء قانون تسجيل المؤسسات والشركات واصحاب المهن في الدوائر الاسرائيلية وابقاء هذه المؤسسات تسير على القانون الاردني وعدم ضم القدس لاسرائيل «٢٢» .ولكن هذه اللجان كانت محلية ووقتية وكانت تعبيرا عن مدى الحاجة الى وجود هيئات او لجان تقود وتنظم التحرك الجماهيري . (٣) لم تلق التجاوب الخارجي الذي تستحقه ، حيث ان الجهد الاساسي للمقاومة كان منصبا على العمليات العسكرية وكانت المقاومة بجميع فصائلها لا تعطي اهتماما كبيرا للتحركات الجماهيرية والنضال السياسي المنظم بين الجماهير ، ولذلك جاءت العمليات العسكرية التي جرت خلال الانتفاضة لتخطف الوهج الذي اضاءته الانتفاضة داخل الارض المحتلة (٤) غياب اي دور لعرب المناطق المحتلة في العام ١٩٤٨ في الانتفاضة . فاذا استثنينا بعض النشيطين من عرب الجليل والمثلث الذين انتظموا بصفوف المقاومة الفلسطينية وقاموا بعدة عمليات عسكرية هناك ، فان الانتفاضة على المستوى الجماهيري هناك لم تحدث اي تأثير .

كيف تعاملت السلطات الاسرائيلية المحتلة مع الانتفاضة . في البداية تحركت بقوة وبعنف ، كما بدا ذلك في اقتحامها لمدرسة العائشية واصدار قرار باغلاق المدرسة ، وهو نفس الاسلوب الذي كانت تتبعه السلطات الاردنية قبل الاحتلال في مثل هذه الحالات . ولا يجب ان نقلل من مدى ردة الفعل الجماهيرية لقيام جنود العدو باقتحام مدرسة للبنات وضرب الطالبات في مدينة محافظة كمدينة نابلس . لقد كان الهدف من

مواجهة تظاهرة الطالبات بهذا العنف ، هو استثارة حفيظة اباء الطالبات وعائلاتهم للضغط عليهن وبالتالي اجبارهن على الهدوء كما كان يجري ايام سيطرة الهاشميين. ولكن النتيجة كانت عكس ما توقعته السلطات الاسرائيلية . ففي ظل وجود احتلال ، ومقاومة تعم الارض المحتلة ، يصبح من الصعب على الاهل الضغط بنوع من الاجبار على بناتهم او ابنائهم ، ويصبح موقفهم (الاهل) غير مبرر ، وتصبح كلمات مثل الشرف والعرض ، جوفاء ، ولا قيمة لها ، في ظل وجود احتلال ينتهك يوميا اقدس الاقداس — الارض — ويزج بالمئاتمن المواطنين يوميا فيالسجون والمعتقلات .ولذلك لم تجد سياسة اليد القوية واستثارة حفيظة الشرف والحرص على العرض لدى الآباء في ايقاف ثورة الطالبات .فلجأ الى سياسة فيها بعض المرونة مع تهديد الآباء انفسهم. وتذكر احدى الفتيات التي اشتركت في الانتفاضة : انها اعتقلت هي وسبع طالبات من نابلس ، فقام الحاكم العسكري لمدينة نابلس باستدعاء اولياء امورهن بحضور الفتيات مع بعض وجهاء نابلس ، وهدد الفتيات امام اولياء امورهن واخذ يحرض اولياء امورهن عليهن ، ثم طلب منهم ان لا يتشددوا في معاقبة بناتهم ، لانه عفا عنهم هذه المرة » ! !

ولكن هذه السياسة لم تجد ايضا ، فاتبع سياسة الاعتقال مع التغريم والابعاد والبطش بالمتظاهرين . الا ان الغرامات في هذه الفترة لم تكن كبيرة كما هي الآن ،فقد تراوحت بين ٧٥ ليرة اسرائيلية — ١٥٠٠ ليرة اسرائيلية .

ذكرت « الدستور » الاردنية « ١٩٦٩/٣/٤ » ان السلطات الاسرائيلية المحتلة اصدرت قرارا بفرض غرامية مالية قدرها ١٠٠ دينار اردني اي نحو ١٠٠٠ ليرة اسرائيلية على كل عربي يشترك في تظاهرات معادية للاحتلال الاسرائيلي .

ومن الاساليب الاخرى التي انتهجتها السلطات الاسرائيلية ، الالتجاء الى المجالس البلدية والقروية ومن تسميهم بالوجهاء ، والضغط عليهم كي يتوجهوا الى الجماهير لوقف التظاهرات والعودة الى اعمالم او مدارسهم . وكذلك تهديد التجار الذين يقفلون متاجرهم ، بانها ستقفل هذه المتاجر فترة طويلة اذا لم يتم فتحها ، اضافة الى ابعاد الاشخاص الذين تعتبرهم من العناصر النشطة . في ١٩٦٩/٢/١٠ ابعدت السلطات الاسرائيلية سبعة من الشبان بتهمة اشتراكهم بالتظاهرات ، والسبعة طالبان ومدرس واربعة حرفيين «٢٣» .

انتفاضة تشرين الثاني ١٩٧٤

تختلف هذه الانتفاضة عن الانتفاضة الاولى سواء في مضمونها وطبيعتها والشعارات السياسية التي تبلورت خلالها ، او في دلالاتها السياسية . فقد جاءت هذه الانتفاضة كنوع من المفاجأة للسلطات الاسرائيلية المحتلة التي ظنت انها احكمت الطوق على سكان المناطق المحتلة خلال السنوات التي اعقبت هزيمة المقاومة في الاردن عام ١٩٧١ . فعقب معارك ايلول عام ١٩٧٠ والقضاء على مراكز التواجد العلني للمقاومة في الاردن، نشطت السلطات الاسرائيلية المحتلة في تقوية قبضتها على سكان الاراضي المحتلة ، مستفيدة من حالة شبه الجمود السياسي التي سادت هناك اثر هزيمة المقاومة في الاردن، فدفعت الى الواجهة عملاء النظام الاردني وامدتهم بتسهيلات عديدة ليتصدروا واجهة الاحداث السياسية هناك ، وقامت باجراء اول انتخابات للمجالس البلدية والقروية في ظل الاحتلال على امل ان يساعدها ذلك في ابراز بعض القيادات المتعاونة معها ، كما دفعت بابراز نوع من المعارضة الليبرالية للاحتلال الاسرائيلي ،

عبر بعض القيادات او تجمعات بعض المنتمين الى خط المقاومة الفلسطينية السياسي، وذلك بامل ابراز قوى محلية تمتص اية معارضة جماهيرية متقدمة وواعية للاحتلال الاسرائيلي ، وبنفس الوقت ابراز هذه القوى كناطقة ومعبرة عن الفلسطينيين في الداخل بديلا عن منظمة التحرير الفلسطينية . ومما شجع السلطات الاسرائيلية على المضي بهذه السياسة نجاحها الجزئي في تطويق وحصر مواقع الثورة في غزة وتوجيه ضربات قاسية لها ، وكذلك انشغال الثورة الفلسطينية في مواجهة ما كانت تتعرض له من ضغوط مختلفة اثر اضطرارها للخروج من الاردن .

وكخط مواز لهذه السياسة ، دفعت السلطات الاسرائيلية المحتلة بسياسة الرواج الاقتصادي في المناطق المحتلة خطوات الى الامام ، على امل ان تشكل سياستها الاقتصادية هذه دعما لتحركها السياسي في المناطق المحتلة ، فزادت من اعداد العاملين من سكان الضفة الغربية وقطاع غزة في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ ، ودفعت الى الامام بسياسات الاسكان وانهاء ظاهرة المخيمات في قطاع غزة . واخذت تشجع نمو شركات برؤوس اموال عربية واسرائيلية للقيام بمشاريع اقتصادية في الضفة الغربية وقطاع غزة، تابعة وملحقة للاقتصاد الاسرائيلي ، وبنفس الوقت راجت سياسة موشي دايان — الضم الزاحف — في اقامة المستوطنات الصهيونية ومشاريع التهويد للاراضي المحتلة ، في ظل المعارضة الجماهيرية المحدودة لمثل هذه المشاريع.

لقد كانت السلطات الاسرائيلية المحتلة تعتقد ان سياساتها في الاراضي المحتلة ، قد تكللت بالنجاح ، وانه لم يعد بمقدور سكان هذه الاراضي التحرك بفعالية ضد سياستها . ولكن جاءت انتفاضة تشرين الثاني ١٩٧٤ لتقوض كل احلام العدو الاسرائيلي ، ودفعت الى الواجهة من جديد ، جماهيرنا داخل الارض المحتلة ، عبر اشكال من النضال جديدة ومتقدمة . لقد كان من المؤمل لانتفاضة الجماهير ان تأتي مع نشوب حرب تشرين في العام ١٩٧٣ . ولا سيما بعد النداءات التي وجهتها قيادة الثورة الفلسطينية الى الجماهير هناك باعلان العصيان المدني . الا ان التحرك الجماهيري خلال الحرب كان محدودا ودون المستوى المطلوب . وذلك لعدة اسباب منها (١) أن الانتقال بالجماهير من حالة الجمود الى الحركة السياسية النشطة والفاعلة لا يحدث فجأة وبقرار تأخذه القيادة فقط ، بل لا بد من مرور فترة زمنية — عدة اشهر على اقل تقدير — حتى تتلمس الجماهير ان جديدا ما قد حدث يدفعها الى التحرك . في حالات الجمود السياسي ، تسيطر على الجماهير شؤون الحياة اليومية العادية ، اما في حالات الحركة السياسية النشطة والجماهيرية ، فأن شؤون الحياة اليومية العادية تتراجع الى الخلف، ليحل محلها الاهتمام بالقضايا السياسية المطروحة على بساط البحث . والحديث الذي رواه شاهد عيان عن الانتفاضة الاخيرة ، من ان احاديث الحماة والكنة وماذا قالت الجارة ، غابت من الاحاديث اليومية لامهاتنا وجداتنا وطغى حديث الارض على كل حديث ، هو تعبير صادق عن الانتقال من الحالة العادية الى الحالة الثورية لاوسع الجماهير بما فيهم جداتنا . (٢) ومن هذه الاسباب ايضا ، اننا لا يجب ان نقلل من الاثار النفسية التي خلفتها هزيمة المقاومة في الاردن وحرب العدو النفسية بعدها على جماهيرنا في الداخل . ان الجماهير طاقة لا تنتهي ، وهي طاقة تتجدد باستمرار وتكتسب مزيداً من القدرة يوما اثر يوم ، اذ كلما تربت الجماهير وزادت خبرتها من خلال النضال ، كلما كانت طاقاتها اكبر واقوى واكثر تأثيرا . ان هذه الطاقة تصيبها حالة من الكمون اذا انتكست الحركة الثورية او اصيبت ببعض الهزائم ، ولكن هذه الطاقة تعود لتنفجر من جديد وبقوة لدى اول

انتصار ولو جزئي تحققه الحركة الثورية . ومن هنا فان على القيادة الثورية في الوقت الذي يجب ان تطلق العنان لهذه الطاقة ان تعبر عن نفسها بدعم المبادرات الجماهيرية وبفسح المجال واسعا امام الجماهير كي تكتشف بنفسها مدى قدرتها على الخلق والابداع من خلال النضال ، فانها من الناحية الاخرى يجب ان لا تبدد هذه الطاقة في نضالات غير موجهة ولا مبرمجة ، وخاضعة لعفوية الجماهير المحضة. ومن هنا تأتي ايضا اهمية ايجاد الاشكال النضالية والتنظيمية التي تتلاءم مع الاهداف السياسية للانتفاضة ومع مستوى النضج النضالي الجماهيري . فتحديد الشعارات السياسية للانتفاضة اساسي ، كما هو اساسي ايضا تحديد اي الاشكال التنظيمية والنضالية اكثر ملاءمة للانتفاضة من غيرها . يقول لينين « يجب ان نعرف الى طاحونة اية قوى سياسية فعلية تحمل الماء ، هذه الشعارات التكتيكية او تلك ، او ربما انعدام هذه الشعارات او تلك » «٢٤» .

لقد بدأت الانتفاضة صباح الـ ١٣ من تشرين الثاني ١٩٧٤ ، اي في اليوم الذي انعقدت فيه الجمعية العامة للامم المتحدة للنظر في القضية الفلسطينية كبند مستقل ، وهو اليوم الذي توجه فيه الاخ ابو عمار بخطابه المشهور من الجمعية العامة الى العالم . اذن كانت الانتفاضة مؤقتة مع الحضور الفلسطيني في الامم المتحدة ، وجاءت مواكبة لهذا الحضور على الصعيد الدولي بعد حرب تشرين . فهي من هذه الناحية ، لم تكن عفوية ، بل كانت مبرمجة ومخططا لها . وهذا ما لم يستطع المذيع الاسرائيلي التهرب منه عندما تساءل ان كان هناك عامل موجه وراء وقوع ما سماه « اعمال الشغب » في يوم وساعة معنية . لقد بدأت الانتفاضة في كل مدن ومعظم قرى الضفة الغربية في يوم واحد وفي ساعة واحدة وبترتيب واحد . في الساعة الثامنة والنصف من صباح ١٣ تشرين ١٩٧٤ ، توجه طلاب عدة مدارس في كل مدينة وقرية الى ساحة تجمع معينة في هذه المدينة او تلك القرية ، ومن هناك انطلقت التظاهرات لتعم الضفة الغربية . واستمرت التظاهرات لاكثر من اسبوعين استخدم فيها المتظاهرون كل خبرتهم النضالية السابقة من قذف الجنود بالحجارة الى وضع المتاريس واشعال اطارات المطاط الى الاشتباك مع جنود العدو الى الاضراب العام واغلاق المتاجر ولو تحت التهديد . كذلك فقد استخدم فيها المنشور السياسي والكتابة على الجدران بكثافة ملحوظة . واستخدمت السلطات الاسرائيلية كل خبرتها السابقة في قمع المواطنين ، فمن استخدام القنابل الدخانية المسيلة للدموع الى خراطيم المياه ، الى اطلاق الرصاص على المتظاهرين الى الاعتقالات وفرض الغرامات والابعاد ، وكذلك الى تهديد التجار بفتح محلاتهم ، اضافة الى الاتكاء على المجالس البلدية ومن تسميهم بالوجهاء للتوجه للمواطنين لوقف التظاهرات . وايضا استخدام فرض العقوبات الاقتصادية عبر التحكم بغلق وفتح الجسور بين الضفة الغربية والشرقية للضغط على التجار واصحاب الفعاليات الاقتصادية . اضافة الى اغلاق المدارس وفرض حظر التجول على عدد من المدن والقرى لعدة ايام .

وفي محاولة اولية لاستخلاص الدروس من هذه الانتفاضة نجد انها **امتازت بعدة ميزات منها :**

اولا : ان الشعار السياسي كان واضحا ومحددا في هذه الانتفاضة . فمن كل الشعارات التي قيلت او رفعت كان باستمرار يتأكد ويطغى شعار : نعم لمنظمة التحرير ، لا للاحتلال ، لا للحكم الهاشمي ، ذلك ان هذه الانتفاضة جاءت في وقت برز فيه التصارع على اشده حول من يتحكم بمستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة في

حال حدوث تسوية للصراع العربي — الصهيوني ، لدرجة ان الجماهير في الداخل لم تكن في تلك الفترة تعيش او تستوعب بشكل واف ، التعارضات التي بدت في الموقف الفلسطيني حول هذا الموضوع ، كانت الجماهير هناك تعيش في الجو الذي طغى في تلك الفترة ، وهي ان التسوية قادمة وقريبة ، وان مستقبل الاراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ ،مطروح على بساط البحث .وكانت الجماهير هناك تعيش تصارع الاطراف المختلفة على مستقبل الاراضي المحتلة اكثر مما تعيشها الجماهير الفلسطينية خارج الارض المحتلة ، فهناك الاحتلال بكل ادواته ومظاهر وجوده ، يجثم على صدور المواطنين ، وهناك عملاء النظام الهاشمي الذين بدأوا يتحركون وينشطون لشراء النفوس المريضة والاتباع ، وهناك الجماهير الواسعة الموالية للثورة الفلسطينية . لقد وجدت الجماهير هناك ، ان ما يطغى عليها الان اكثر من غيره ، ان تؤكد لمن ولاؤها ، وبالطبع اكدت ان هذا الولاء للثوره الفلسطينيه المعبر عنها بمنظمة التحرير الفلسطينية التي تضم كل منظمات المقاومة . لقد كانت الاناشيد والهتافات كلها تصب في هذا المجرى وهو الولاء للثورة . وقد حققت الانتفاضة هذا الهدف عندما كسحت في طريقها حتى عملاء الملك الاردني ، والذين لم يجد بعضهم بدا من اعلان تأييده للمنظمة حتى لا تسحقه الجماهير ، وبالتالي خرست كل الاصوات التي كانت تراهن على نجاح السياسة الاردنية في الضفة الغربية وقطاع غزة .

ثانيا : امتازت هذه الانتفاضة عن سابقتها بانها كانت مدبرة ومنظمة ولم تكن عفوية، ولذلك جاءت بدايتها ونهايتها مع وضوح وتأكيد الهدف السياسي الذي قامت من اجله . ولهذا لم تستمر لاكثر من اسبوعين . وهذا ما يميز الانتفاضات التي تقوم بشكل عفوي ، وبفعل حوادث تستفز الجماهير ، ثم تأتي الحركة الثورية لتستوعب هذه الحالة الجماهيرية وتؤطرها ، وتلك الانتفاضات التي تقوم بقرار وتنتهي بقرار . ان الانتفاضات من النوع الاول ، وان كانت عفوية ، الا انها تكون اكثر استيعابا للمبادرة الجماهيرية وعبقرية الجماهير في اكتشاف اساليب من النضال جديدة ومتقدمة ، يقول لينين في دروس من انتفاضة موسكو « لقد شعرت الجماهير قبل قادتها ، بتغير ظروف النضال الموضوعية ، بهذا التغير الذي كان يفرض الانتقال من الاضراب الى الانتفاضة . وتقدم النشاط العملي على النظرية كما هو الامر دائما » «٢٥» . اضافة الى ان هذا النوع من الانتفاضات تظل آفاق تطوره النضالية مفتوحة بتقدم وتطور زخم الحالة الجماهيرية ، يقول لينين عن انتفاضة موسكو ايضا « من الاضراب والتظاهرات الى بناء المتاريس المنعزلة ، ومن المتاريس المنعزلة الى بناء المتاريس بالجملة والى معارك الشوارع ضد الجيش ، ومن فوق رأس المنظمات، انتقل النضال البروليتاري الجماهيري من الاضراب الى التظاهرة » «٢٦» . في حين ان الانتفاضات من النوع الثاني ، تظل محدودة — في كثير من الاحيان — بأفق القيادات التي اطلقتها او دفعت اليها . ولا يعني هذا بمطلق الاحوال ، تقديس العفوية على البرمجة . كل ما قصدناه من قولنا هو التأكيد على ان الجماهير في كثير من الاحيان وان لم يكن جميعا تكون متقدمة على قادتها ، ولا سيما ابان الانتفاضات والنهوض الجماهيري ،ولذلك من الخطأ جدا خنق المبادرات الجماهيرية باسم البرمجة والعقلنة. فيجب ان ندع الجماهير تتعلم بخبرتها النضالية ، ويجب على القادة ان يتعلموا من الجماهير . وفي يوم من النضال تتعلم الجماهير اكثر بكثير مما تتعلمه بسنة من العمل السياسي الرتيب .

ثالثا : امتازت هذه الانتفاضة بعنف المواجهة بين جماهير المتظاهرين والقوات الاسرائيلية المحتلة ، فالمتاريس والاطارات المشتعلة وقذف الجنود بالحجارة كانت

ابرز في هذه الانتفاضة منها في الانتفاضة السابقة ، اضافة الى ان المواجهة للقوات الاسرائيلية كانت اعنف من الانتفاضة السابقة . ومن هنا كان عنف السلطات الاسرائيلية اكبر في مواجهة هذه الانتفاضة عنها في الانتفاضة السابقة . فالغرامات ارتفعت وكان اقلها ١٠٠٠ ليره اسرائيلية ، والمحاكمات ضد من يعتقل كانت تجري فورا وتصدر الاحكام بسرعة وخلال جلسة واحدة وقصيرة ، اما بالغرامة او الحبس او العقوبتين معا . اضافة الى ان عدد المعتقلين كان اكبر . ففي ٧٤/١١/١٩ مثلا اعترف راديو العدو بأنه اعتقل ٦٤ طالبا هذا اليوم ، كما اعترف انه جرت حتى الآن محاكمة ٢٢٠ طالبا فرض على ١٤٥ منهم غرامات تصل الى الف ليرة وحكم على ٦٥ بالسجن ٦ اشهر «٢٧» . كما اعتقل بنفس اليوم ايضا ٧٠شخصا منهم ٤٠ طالبة من مدرسة المأمونية للبنات في القدس «٢٨» . وفي ١١/٢١ اعترف راديو العدو بأنه تقدم حتى الان للمحاكمة ٤٠٠ شخص «٢٩» .

رابعا : برز دور المحرض السياسي في هذه الانتفاضة ، كما برز دور المنشور السياسي التحريضي ، وكذلك الكتابة التحريضية على الجدران . ان هذه الاشكال من العمل لا تقوم بها الا جماعات منظمة ، وهي الجماعات التي كانت تقف وراء الانتفاضة وتوجهها ، ولذلك قامت السلطات الاسرائيلية باعتقال عدد كبير من العناصر الوطنية ، التي لم يبرز لها دور نضالي في الفترة السابقة ، ولكن برزت الآن مع الانتفاضة وخلالها .

خامسا : امتازت هذه الانتفاضة بشمولها كل مدن ومعظم قرى الضفة الغربية ، ولكنها لم تنتقل الى قطاع غزة . ولم يجر في غزة خلال ايام الانتفاضة الا تحركين محدودين ، الاول محاولة للتظاهر والاضراب جرت في ٧٤/١١/٢١ لكنها قمعت ، والاخرى تمثلت بمحاولة للتظاهر قام بها طلاب مدرسة مصطفى حافظ بغزة يوم ٧٤/١١/٢٦ «٣٠» .وهذا يطرح تساؤلا لماذا تأخرت غزةعن مواكبة الحالةالجماهيرية في الضفة الغربية ، وهو سؤال سيبرز بحدة اكبر خلال الانتفاضة الثالثة ، وسنجيب عليه لاحقا . كذلك فان الانتفاضة لم تشمل عرب المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ ، وان كان الشعور العام السائد هناك هو التجاوب مع ما يجري في الضفة الغربية وتزايد الولاء هناك للمنظمة كما برز ذلك خلال لقاء رابين مع الطلبة العرب في الناصرة . لقد كان التحرك محدودا تمثل ببعض الكتابات على الجدران تأييدا لمنظمة التحرير الفلسطينية وفي التعبير عن الولاء الصامت للمنظمة «٣١» .

سادسا : شاركت جماهير واسعة بالاضافة الى الطلبة في هذه الانتفاضة ، ففي حين كانت انتفاضة ١٩٦٩ انتفاضة طلاب اساسا ، او ثورة الطالبات الى حد كبير، فان هذه الانتفاضة شاركت بها جماهير واسعة من الحرفيين والشغيلة ، كذلك فان اغلاق المتاجر كان عاما الى حد كبير في بعض الايام .

تبقى ملاحظات اساسية حول الانتفاضة لا بد من تسجيلها وهي :

١) ان جماهير الفلاحين في القرى ــ باستثناء الطلبة ــ لم تزج بشكل كامل بالانتفاضة ، بل كانت اقرب الى المتفرج منها الى المشارك ، بعكس ما سنراه في الانتفاضة الثالثة حيث شاركت القرية الفلسطينية بفعالية بالانتفاضة . وهذا يعود الى قصور في الجهات او القوى التي برمجت للانتفاضة وقادتها ، كما يعود من ناحية اخرى الى ان الفلاحين لا يحركهم سياسيا الا قضايا او مسائل مباشرة . فالاستيطان حرك الفلاحين بفعالية في الانتفاضة الثالثة ، في حين ان شعارات الانتفاضتين الاولى والثانية لم تحرك جمهور القرى .

٢) الغياب الواضح لاي دور محدد وبارز للطبقة العاملة الفلسطينية داخل الارض المحتلة . وهذا يعود الى ان عددا كبيرا من العمال الفلسطينيين يعملون في المناطق المحتلة في العام ١٩٤٨ ، وبالتالي يخشون ان شاركوا بالتظاهرات ان يكتشفوا عن نواياهم الحقيقيه ، وان لا يسمح لهم بالعمل حيث يعملون . وهذه الظاهرة يجب ان تعالج بدراستها من جميع النواحي ، ذلك ان سياسه العدو الاسرائيلي بافراغ الطبقه العاملة في الاراضي المحتله من ثوريتها عبر تشغيل العدد الاكبر منها في المناطق المحتله عام ١٩٤٨ ، امر يجب ان يعطى اهمية كبيرة لدى متابعتنا لنشاط المقاومه داخل الارض المحتله . فقد جرى في السابق اكثر من تحرك عمالي ولا سيما في العام ١٩٦٩ ، ففي آذار ١٩٦٩ اضرب اكثر من ٢٥٠ عاملا في مصنع للحمضيات في غزه احتجاجا على الاحتلال الاسرائيلي ، وفي القدس تظاهر في ١٩٦٨/١٢/١٧ عدد من العمال العرب احتجاجا على الاجراءات التي اتخذتها السلطات الاسرائيلية لاجبارهم بالقوة على الانتساب للهستدروت ، فهاجموا مكاتب الهستدروت بالحجارة واجبروا السلطات الاسرائيلية على وقف اجراءاتها . ذلك ان الطبقة العاملة الفلسطينيه في الداخل تظل طاقة نضاليه على الرغم من كل محاولات العدو لافراغها من ثوريتها .

٣) الغياب الواضح لاي دور للمؤسسات والهيئات النقابية الموجودة في الارض المحتلة ، واذا تحركت مثل هذه المؤسسات فانها تتحرك على اساس مواجهة الانتفاضة بالتوجه للجماهير بالكف عن التظاهر كما يحدث مع المجالس البلدية وغرف التجارة هناك . صحيح ان السلطات الاسرائيلية لا تسمح بوجود مؤسسات نقابية فاعلة ، ولا يمكن التوجه لهذه السلطات المحتلة لانتزاع الحقوق بالعمل النقابي ،ولكن صحيح ايضا ، ان هناك نقابات مثل نقابة المحامين والاتحاد العام للعمال لم تحرك ساكنا ، وكذلك ، اذا كنا لا نتوجه للسلطات الاسرائيلية للترخيص بقيام نقابات او اتحادات مهنية ، فان قيام نقابات واتحادا تمهنية سرية يصبح ضرورة مهمة ، حتى يتم عبر هذه الاطر تحريك اوسع الجماهير . ان اشكال العمل العلني في ظل الاحتلال تبقى اشكالا محدودة جدا ، فالصفة « الليبرالية » للعدو الاسرائيلي تختفي كليا وبالمطلق عندما يجد ان هذه الليبرالية تتعارض مع سياساته واجراءاته القمعية ، ولذلك لا يمكن الدعوة الى قيام اشكال من العمل العلني النقابي او غيره في ظل الاحتلال . ان الممكن هو قيام هيئات ونقابات واتحادات للطلبة والمعلمين والعمال والفلاحين سرية ، تبدأ شيئا فشيئا تفرض نفسها من خلال النضال ، لتكتسب وجودها وامكانية فعلها من خلال النضال ضد الاحتلال . ان المجالس البلدية وغرف التجارة، هي مؤسسات كانت ولا زالت ، تلعب دورا رجعيا في مواجهة انتفاضات الجماهير وباستمرار تمثل هذه الهيئات مرتكزات للسلطات المحتلة تتوجه عبرها الى الجماهير لحثها على الهدوء ! والعودة الى الحياة العادية « بعد ان بحثت الامر مع السلطات المعنية » . تماما كما كان يحدث ابان ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ . ان استقالة المجالس البلدية مثلا كما جرى خلال الانتفاضة الثالثة لم يتم الا بضغط جماهيري ، ولحسابات انتخابية ، حيث ان هذه الاستقالات تمت عشية انتخابات المجالس البلدية والقروية الجديدة والمقررة في ١٢ نيسان « ابريل » الحالي . ان عرائض الاحتجاج وانشكوى التي ترفعها هذه المؤسسات لا تجدي فتيلا ، وليست الا للحفاظ على اوهى الصلات مع الجماهير ، في حين ان تكريس مؤسسات نضالية تؤطر اوسع الجماهير ، وتكتسب وجودها من خلال النضال لا يتم الا بالعمل على قيام مؤسسات نقابية واتحادية سرية اولا ، تبدأ شيئا فشيئا بالتوجه للجماهير عبر بيانات وتوجيهات تواكب الحالة الجماهيرية الناهضة الآن في الاراضي المحتلة وترتقي بها .

الانتفاضة المجيدة

« الانتفاضة فن ، وان قاعدة هذا الفن الرئيسية هي الهجوم — الهجوم في منتهى الشجاعة وبعزم لا يتزعزع »

فريدريك انجز

تختلف الانتفاضة الحالية ، وهي الانتفاضة الثالثة ، عن الانتفاضتين السابقتين ، سواء في مضمونها وشعاراتها البارزة المحددة ، او في مدى شموليتها حيث شملت كل فلسطين المحتلة ، كما تمتاز عن الانتفاضتين السابقتين في تحريكها لاوسع الجماهير بما فيهم الفلاحين ، وكذلك في عنفها ، الذي جوبه باجراءات قمعية قاسية من السلطات الاسرائيلية المحتلة .

لقد قامت الانتفاضة اساسا ضد الاستيطان الصهيوني ، وبدأت بشكل عفوي اذ جاءت ردا على محاولة مجموعات « من جوشي ايمونيم » المرتبطة بحزب المفدال الصهيوني اقامة مستوطنة تدعى « ايلون موريه » في سبسطيه القريبة من مدينة نابلس . واتخذت المحاولة الصهيونية صورة استفزازية وقحة ضد المواطنين العرب، عندما اخترقت اعداد كبيرة من الصهاينة تقدر بالمئات مدن وقرى الضفة الغربية في طريقها الى سبسطيه حيث ستقام المستعمرة . في البداية لم تحرك السلطات الصهيونية ساكنا ، اذ تركت للمحاولة ان تمر ، ولكن ما ان بدأت اول معارضة لها من المواطنين العرب ، والتي تمثلت باحتجاج المجالس البلدية في مدينة نابلس وبعض المدن الاخرى على اقامة المستعمرة ، حتى تحركت السلطات الصهيونية بشكل مسرحي لمنع اقامة المستوطنة على اساس انها اقيمت بدون قرار من الحكومة الاسرائيلية . ولكن المستوطنين الصهاينة استمروا في محاولتهم ورفضوا مغادرة المكان . واثارت محاولة اقامة المستوطنة وموقف الحكومة الاسرائيلية منها ، نقاشات عديدة في الاوساط الاسرائيلية ، انعكست على الرأي العام داخل الارض المحتلة وزادت من ضرورة المواجهة العربية لاقامة المستوطنة . فتحركت الجماهير في مدينة نابلس وقراها ضد المستوطنين الصهاينة ، ففي سبسطيه قام الفلاحون بالهجوم على المستوطنين، فتصدت لهم القوات الاسرائيلية، وفي عنبتا تصدى السكان للمستوطنين وانصارهم وهم في طريقهم الى سبسطيه ، واشتبكوا معهم محاولين منعهم من الوصول الى سبسطية. وفي نابلس ، تظاهر الطلاب ضد اقامة المستوطنة، وضغطوا على المجلس البلدي للاحتجاج على اقامة المستوطنة . ولما لم تتخذ الحكومة الاسرائيلية قرارا واضحا بمنع اقامة المستوطنة ، استمرت الاضرابات والتظاهرات، وانتقلت من منطقة نابلس الى كل مدن وقرى الضفة الغربية . وفي ١٩٧٦/١٢/٨ جرت تظاهرة كبيرة في مدينة نابلس ، شارك بها الطلاب والحرفيون ، ولاقت تجاوبا سريعا في الضفة الغربية . وذكرت وكالات الانباء ان المدينة « شهدت اكبر تظاهرة منذ العام ١٩٦٩ حيث اشترك اكثر من الف شاب بالتظاهرة ، فأطلقت القوات الاسرائيلية النار على المتظاهرين لتفرقهم» «٣٢» ، وانتشرت الشرارة ، واشتعلت كل مدن وقرى الضفة الغربية بانتفاضة عارمة استمرت اشهرا ولا تزال ، وبلغت ذروتها في يوم الارض في الـ ٣٠ من آذار « مارس » الماضي عندما انتفضت قرى الجليل والمثلث ضد الاستيطان الصهيوني وضد نهب ومصادرة ٢٠ الف دونم من اراضي الجليل والمثلث .

والسؤال لماذا اثارت محاولة الاستيطان هذه المرة كل ردة الفعل هذه ، ولم تثر مثلها في الفترات السابقة ؟ في الواقع ان محاولات الاستيطان الصهيونية كانت تثير

باستمرار ردود فعل من السكان العرب ، فنضالات عرب الجليل والمثلث وبئر السبع ضد الاستيطان الصهيوني وضد سياسة التهويد للاراضي العربية ، مستمرة ولم تتوقف منذ العام ١٩٤٨ ، كذلك فان نضالات عرب الاراضي المحتلة في العام ١٩٦٧ ضد الاستيطان الصهيوني مستمرة ولم تتوقف منذ الاحتلال . الا ان هذه النضالات كانت محلية ، يشترك بها جمهور القرية المعرضة اراضيها للنهب ، او يشترك معها — احيانا — جمهور القرى المجاورة ، ولم تكن هذه النضالات تتخذ هذه الشمولية من النضال ضد الاستيطان كما هي الآن . ذلك ان اي تحرك نضالي يكتسب عمقه ومداه واتساعه من الظروف السياسية المحيطة به . فالآن وقد اكدت الحركة الوطنية الفلسطينية نفسها كقوة وكأطار لنضال جميع العرب الفلسطينيين ، فأن النضال الوطني الفلسطيني انتقل من مرحلة تثبيت الوجود الى مرحلة ارقى من النضال وهي استهداف نفي وجود العدو عبر تأكيد وجوده . وهذا يعني الانتقال بالنضال من مرحلة الشعارات السياسية العامة الى مرحلة الشعارات السياسية الاكثر تحديدا والمباشرة . في السابق لم تبلغ الحركة الوطنية الدرجة التي تستطيع ان تمنع العدو من اقامة مستوطنة ، لانها كانت تخوض معركة تثبيت وجودها وتأكيد نفسها وسط اوسع الجماهير . اما الآن فقد وصلت الحركة الوطنية الى درجة اصبحت بما تملكه من قوة جماهيرية ومن قدرة على تحريك اوسع الجماهير على منع العدو من اقامة مستوطنة مثلا ، وعلى منعه من اتخاذ بعض السياسات الاخرى مثلا ، لانها اصبحت حقيقة لا يمكن للعدو ان يتجاوزها او يقفز فوقها . فالحقيقة النضالية الفلسطينية لم تعد حلما بل اصبحت واقعا ، وهذا امر مهم .

ارضية الانتفاضة : شكل الاستيطان الصهيوني الامر البارز والاساسي في الانتفاضة واكسابها المزيد من الزخم والفعالية الجماهيرية . ولكن ترافقت عوامل اخرى مع هذا العامل اعطت للانتفاضة طابعها الشمولي ، وامكانية الاستمرار هذه الفترة الطويلة نسبيا ، ومن هذه العوامل (١) مناقشات القضية الفلسطينية في مجلس الامن واستخدام الولايات المتحدة لحق النقض « الفيتو » ضد مشروع قرار دول عدم الانحياز ، ثم استخدامها الفيتو مرة اخرى ضد مشروع القرار الذي يدين العدو الاسرائيلي اضافة الى قرار الامم المتحدة بادانة الصهيونية واعتبارها حركة عنصرية في اقامة المستوطنات والاستيلاء على الاراضي . (٢) موضوع السماح لليهود بالصلاة في المسجد الاقصى . وقد استفز هذا الموضوع المشاعر الدينية لجماهير واسعة من السكان ، وحرك اطارات وهيئات ذات صفة دينية لم تكن تتحسرك في السابق . (٣) محاولة العدو الاسرائيلي الاستيلاء على ٢٠ الف دونم من اراضي الجليل . وقد اثارت هذه المحاولة عرب الجليل ، الذين تحركوا منذ بداية آذار « مارس » الماضي لتحدي قرار الحكومة الاسرائيلية ومنعها من مصادرة الاراضي . وقد دفع هذا التعامل عرب المناطق المحتلة في العام ١٩٤٨ لمواكبة الانتفاضة الجماهيرية في الضفة ،واوجد لاول مرة تحركا واحدا منسقا في كل الوطن الفلسطيني . لقد اعطى هذا التعامل للانتفاضة زخما وبعدا سياسيين ستكون لهما آثارهما الايجابية جدا على المستقبل السياسي للنضال في فلسطين المحتلة . (٤) الاحداث الدامية في لبنان . لقد ذكر اكثر من مراقب وشاهد عيان ، ان احداث لبنان الدامية انعكست على جماهيرنا داخل الارض المحتلة ، بحيث ان الجماهير هناك وجدت ان من واجبها التحرك لدعم نضال الثورة الفلسطينية في لبنان ضد المحاولات التي تستهدف تقزيمها واعادة تحجيمها ، لقد اكد وعي الجماهير هذا ، مدى الترابط فعلا بين الثورة الفلسطينية وقيادتها في الخارج وبين الجماهير في الارض المحتلة .

وقال شاهد عيان : ان الجماهير في الارض المحتلة كانت تتابع باهتمام كبير مـا يجري في لبنان ، وكانت تؤكد في كل احاديثها ان المعركة واحدة من لبنـان الـى فلسطين ، وان الانتفاضة التي تعم مدن وقرى فلسطين ، ان هي الا دعم للنضـال الذي تخوضه جماهير المقاومة في لبنان . ذكرت « الجيروزاليم بوست بتاريخ ١٦/ ١٩٧٦/٢ » ان التظاهرات في الضفة الغربية تعود « الـى التطورات السياسيـة في العالم العربي » .

لقد تفاعلت هذه العوامل المختلفة مع بعضها ، واكسبت الانتفاضة هذا البعـد الشمولي سياسيا وجغرافيا . ولكن كما قال اكثـر من مراقب ، بقـي الاستيطان الصهيوني هو العامل الابرز والاوضح في كل مـا جرى في فلسطين المحتلة خـلال الاشهر الاربعة الماضية .

القوى الاجتماعية التي اشتركت بالانتفاضة : لقد امتازت هـذه الانتفاضة عـن سابقاتها باشتراك اوسع الجماهير بها ، وقـوى اجتماعية كانت مشاركتها فـي الانتفاضات السابقة محدودة او شبه معدومة . وبالتالي فان صفة الانتفاضة الطلابية التي كانت غالبة على الانتفاضتين السابقتين قد غابت عن هذه الانتفاضة ، وذلـك يعود لعدة عوامل ، منها ان اسباب الانتفاضة وعواملها كانت متعددة مما جعـل بالامكان مشاركة قوى اجتماعية عديدة . فالاستيطان مثلا حرك **الفلاحين** بفعاليـة وبزخم . ذكر راديو العدو « زارت دار البلدية في نابلس وفود من القرى المجاورة عبرت عن تضامنها مع ابناء نابلس وكررت معارضتها لاستمرار بقاء المستوطنين» «٣٥» وهذه الظاهرة لم تكن بارزة في الانتفاضتين السابقتين . ولـم يقتصر دور الفلاحين وجمهور القرى في الانتفاضة ، على ابداء التضامن فقط ، بل كان اشتراكا فعليا تمثل في شمول الانتفاضـة اصغـر القرى في الضفـة الغربية . ذكرت « معاريـف ٦و٧/١٢/١٩٧٥» ان فلاحي سبسطية والقرى المجاورة لها تصدوا بعنف للمستوطنين الصهاينة الذين حاولوا اقامة مستوطنة لهم في سبسطية . وهذا تطور ستكون لـه دلالاته السياسية خلال الفترة القادمة ، فالقرية التي كانت تتضامن وتبدي التعاطف مع جمهور المتظاهرين ، الان تتحرك وتشارك بفعالية ، وهو امر قـد يدفع بأي انتفاضة قادمة الى مرحلة متقدمة من النضال . كذلك فان اشتراك الفلاحين الواسع تمثل اروع تمثيل في التظاهرات العنيفة والدامية التي قامت في قرى **الجليل والمثلث** في يوم الارض. لقد نقل الفلاحون اساليبهم النضالية الى الانتفاضة وطبعوها بطابعهم، فاستخدام المشاعل والهجوم بها على سيارات جنود العدو ، اسلوب يدل على جرأة واستعداد للتضحية في المقام الاول ، كمـا يدل على مدى الاستعـداد الجماهيري للذهاب بالانتفاضة الى ابعد مدى . اضافة الى الفلاحين فان **الحرفيين والشغيلة** من سكان المدن شاركوا بالانتفاضة بفعالية ، فلم تعد المدرسة هي اطار التجمع ومركـز الحركة ، بل اصبح الحي بجميع فئاته وسكانـه ، وهذا تطور ستكون له دلالاتـه السياسية ايضا . فان الانتقال بالمركز مـن المدرسة الى الحي ، سيدفع بتطويـر الانتفاضة وبلوغها شكلا ارقى سواء من حيث دفع اوسع الجماهير للاشتراك بالنضال او من حيث التنظيم والاشكال النضالية التي ستأخذها الانتفاضة لاحقا . اضافة الى ذلك فان **مشاركة صغار التجار واصحاب الحوانيت** في الانتفاضة ، لم تعد مجـرد الاستجابة لضغط المتظاهرين باقفال المحلات ، بل تطورت الى ان يأخذ هؤلاء التجار زمام المبادرة في الدعوة للاضراب والتظاهر . ذكرت الغارديان « ان الاضراب يعم القدس بدعوة من اصحاب المتاجر انفسهم » واضافت « هذه اول مشاركة من الرجال بعد اسابيع من اضطرابات الشباب» «٣٦» اضافة الى هذه القوى فان اصحاب **الفعاليات**

الاقتصادية وبعض القيادات التقليدية الممثلة في المجالس البلدية وغرف التجارة ، لم تجد امام هذه الانتفاضة العارمة الا ان تواكب ولو **ضمن حدود** حركة الجماهير . فكانت استقالات عدد من المجالس البلدية والتهديد باستقالة اعضاء غرفة التجارة بنابلس ردا على اقتحام جنود العدو لمدرسة قدري طوقان بنابلس صورة من تحرك هذه القوى . لكن يجب ان يكون واضحا ان مشاركة هذه القوى لا يتعدى عرائض الاحتجاج ، وان مشاركتها تظل ضمن مفهومها ، وهي محاولة السير خطوة مع الحركة الجماهيرية مع العمل على ارجاعها خطوات الى الوراء . فمثلا في اجتماع جرى في القدس في ١٩٧٦/٢/١٧ حضره رؤساء الغرف التجارية في الضفة الغربية مع الشيخ حلمي المحتسب رئيس المجلس الاسلامي الاعلى **ابحث القضايا الاقتصادية وقضية المسجد الاقصى ،** اقترح احد الحاضرين ان تدعو الغرف التجارية الى اضراب عام في الضفة الغربية احتجاجا على سيطرة اليهود على المسجد الاقصى ، رفض رؤساء الغرف التجارية هذا الاقتراح ، وعلق راديو العدو على ذلك نقال « لقد شعروا بان من واجبهم التضامن مع المسلمين ولكنهم ارتأوا عدم التدخل عمليا فيما يحدث » «٣٧» . لقد لعبت هذه المؤسسات مع بعض النقابات المهنية دورا في محاولة ارجاع الانتفاضة خطوات الى الوراء . ذكر راديو العدو « ان المجلس البلدي لمدينة نابلس بالاشتراك مع الاتحادات النسائية والنقابات المهنية ومديرية التربية والتعليم، اصدروا بيانا يدعو الطلاب للعودة الى الدراسة والكف عن التظاهر » ٣٨ . وقد تكررت اكثر من مرة هذه الظاهرة، وكان من الامور المألوفة في الضفة الغربية ان تدور مكبرات الصوت في الشوارع تدعو المواطنين بأمر من مجالس بلدياتها ، الكف عن التظاهر والعودة الى الهدوء . وعندما فشل هذا الاسلوب في السيطرة على الجماهير حاولت بعض القيادات التقليدية في مدينة نابلس انشاء ما سمته لجان التوجيه الوطني لاحتواء الانتفاضة واجهاضها ، ولكن محاولاتها فشلت امام وعي الجماهير ويقظتهم .

الاشكال النضالية للانتفاضة : تنوعت الاشكال النضالية للانتفاضة بتنوع وتفاوت الاساليب النضالية للقوى التي شاركت بها ، كما تنوعت هذه الاشكال على ضوء الخبرة المستفادة من الانتفاضتين السابقتين . لقد تدرجت الانتفاضة من عرائض الاحتجاج والاستنكار التي رفعتها المجالس البلدية والقروية والغرف التجارية ، الى التظاهر والاضراب واقامة المتاريس واشعال اطارات المطاط ، الى الهجوم على جنود العدو والاشتباك معهم بالايدي والعصي. اضافة الى الاعتصام في المدارس والمساجد. ولكن الشكل الارقى للانتفاضة والذي ساد هو اقامة المتاريس والاشتباك مع جنود العدو ، وهذا ناتج عن اشتراك جماهير الشغيلة والحرفيين والفلاحين في الانتفاضة . ان كون الحي اصبح مركز الانتفاضة بدلا من المدرسة فرض تطورا في الاشكال النضالية ، فالحي احيانا عبارة عن زقاق طويل او مجموعة من الازقة ،مما يجعل بالامكان الاشتباك مع جنود العدو بفعالية . وهنا شاركت الامهات وربات البيوت في الاشتباك سواء برمي قوارير الزهور على الجنود او بسكب الزيت المغلي على رؤوسهم ، وان لم يتوفر الزيت — لغلائه ، فسطل من الماء المغلي . ان اشعال اطارات الكاوتشوك لم يعد وسيلة لالهاب حماس الجماهير فقط ، بل اصبح عملية نضالية قائمة بذاتها ، ذكر شاهد عيان « ان السلطات الاسرائيلية المحتلة دهشت لهذا الاستخدام المنظم والمكثف لاطارات المطاط المشتعلة ، فقامت بجمع الاطارات من مدينة نابلس بسيارات ورمتها في وادي الباذان الذي يبعد عن المدينة نحو ١١ كم ، ولكن الجماهير قامت بتهريب اطارات المطاط خلال الليل ، وفي اليوم التالي التهبت الشوارع والازقة بالاطارات المشتعلة » ولمقاومة ذلك ، فرضت السلطات المحتلة

غرامة باهظة على كل شخص يوجد لديه اطار ، وعلى كل حانوت يشتعل امامه اطار . ولكن . . . الارض تنبت نارا او كما قال جندي صهيوني « ان الجماهير تزرع النار ايضا » .

اضافة لذلك فان هذه الانتفاضة ابرزت نوعا من التنظيم افتقدته الانتفاضتان السابقتان ، او لم يكن بارزا بشكل واضح فيهما . روى شاهد عيان : ان الاشتباك مع جنود العدو لا يتم بشكل عفوي او عشوائي ، بل هناك عملية تنظيم تجري لهذا الاشتباك بدءا من اختيار مكان المتراس ، وتنظيم مجموعات تختفي ثم تظهر لقذف الجنود بالحجارة ، وانتهاء باختيار العناصر الشابة والقوية لمهاجمة جنود العدو والالتحام معهم بالايدي .

اساليب العدو في قمع الانتفاضة : امتازت اساليب العدو واجراءاته في قمع الانتفاضة بشدتها وقسوتها . فالامر لم يقتصر على استخدام القنابل الدخانية المسيلة للدموع والضرب والاعتقال بل تعداه الى اطلاق الرصاص على المتظاهرين واحيانا اجتياح المتظاهرين الذين لم يفرقهم الرصاص بآلياته ومجنزراته ، مما ادى الى استشهاد وجرح اعداد كبيرة من المتظاهرين . اضافة الى هذه الاساليب الفاشية ، والتي ما زادت الجماهير الا عنفا ، لجأ العدو الى اساليب اخرى لحصر وتطويق الانتفاضة من هذه الاساليب :

١) محاولة الضغط على اصحاب الفعاليات الاقتصادية عن طريق التهديد باغلاق الجسور مع الضفة الشرقية ، او باقفال المتاجر لفترة طويلة اذا لم تفتح ، «٢» التوجه الى المجالس البلدية والقروية واعضاء الغرف التجارية ، وتهديدهم بانهم اذا لم يهدئوا الوضع في مدنهم وقراهم ، فانهم سيتحملون مسؤولية ما يجري ، ولكن الانتفاضة كانت قد تجاوزت هذه المجالس بكثير ، «٣» فرض حظر التجول على عدد من المدن والقرى ، لتجويع السكان واجبارهم على انهدوء ، «٤» التهديد باغلاق المدارس ، وقد جرى اغلاق عدد من المدارس . «٥» التشدد في فرض الغرامات الباهظة على المعتقلين ، وعدم اللجوء الى الحبس الا نادرا ، واعتماد الغرامات التي لا تقل اي منها عن ٥٠٠٠ ليرة اسرائيلية . ورفض العدو استبدال الغرامة بالحبس كما كان يجري سابقا ، وتهديد كل من لا يدفع الغرامة بالحجز على اثاث بيته . والحجز على أثاث البيت ، ليس بهدف بيعه واستحصال الغرامة ، بل بالاستيلاء عليه . لان العدو يعرف ان احدا لن يتقدم لشراء الاثاث المصادر ، لان الجماهير ستدين وتقمع اي شخص يقوم بذلك . والسؤال هنا ، **لماذا هذا التشدد في فرض الغرامات الباهظة ؟** ان العدو يدرك مدى الترابط الاسري والعائلي لدى الفلسطينيين ، ويدرك ان مصادر دخل معظم العائلات في ارضنا المحتلة محدود ، ورب العائلة الذي يضطر ان يدفع غرامة كبيرة كهذه عن ابنه او ابنته ، سيعاني العوز والفاقه ، مما يعني ان دفع الغرامة سيكون على حساب الاسرة برمتها . وفي هذه الحالة يعتقد العدو ،انه يفرض هذه الغرامة الباهظة والاصرار على دفعها ، يقلب افراد العائلة ضد الابن او الابنة ، او اي شخص آخر من العائلة تسبب في الغرامة ، ويدفعها للضغط عليه لايقاف نشاطه . وهذا قد يجعل الانسان يعيش في حالة صراع بين واجبه الوطني وواجبه تجاه افراد عائلته ، مما يجعل حركته مضطربة ، وفيها شيء من الحذر . والغرامة بهذا الشكل نوع من العقاب الجماعي ، لتحميل آخرين نتائج اعمال لم يقوموا بها . ولكن ، ان اسلوبا كهذا سيرتد الى نحر العدو ، فقد يحدث في البداية ان الاسرة تلوم هذا الفرد على ما سببه لهم ، الا انها ستدرك في النهاية ان السبب

هو الاحتلال ، وبالتالي تنتقل الثورة الى قلب البيت والى جميع افراد الاسرة . ان استخدام العائلة كوسيلة للضغط لم تجد فتيلا، بدليل ان الانتفاضة استمرت ، ولقدبلغ عدد المعتقلين خلال شهر واحد ٢٠٢٥ معتقلا ، بقي محتجزا منهم نحو ٩٠٠ ، ومعظم الباقين غرموا بغرامات كبيرة . وفي يوم واحد اصدرت محكمة عسكرية في بيت لحم احكاما على ٤٤ طالبا برأت خمسة منهم وغرمت الـ ٣٨ الباقين بغرامات بلغت ٥٠٠٠ ليرة اسرائيلية لكل منهم، ومنحت ذويهم مهلة ثلاثة ايام للدفع«٣٩» . لقد كانتالغرامة تفرض على اطفال لم يتجاوزوا الثانية عشرة من عمرهم . وهذا يدل على رعب العدو من الانتفاضة .

ماذا غاب عن الانتفاضة ؟ ان روعة الانتفاضة يجب ان لا تحول دون رؤيتنا لبعض الظواهر التي غابت عنها ، حتى يمكن معالجتها مستقبلا ، واولى هذه الظواهر، **غياب غزة** عن الاشتراك الفعلي في الانتفاضة. وهذه ظاهرة برزت خلال انتفاضة تشرين ،كما برزت في هذه الانتفاضة على الرغم من استمرارها هذه الفترة الطويلة ، وعلى الرغم من وجود مجموعة من العوائل التي حركت الانتفاضة واكسبتها المزيد من الزخم السياسي والجماهيري . لقد كان التحرك الوحيد في غزة ، هو التظاهرة التي جرت يوم ٣/٢٤ /١٩٧٦ ، وقد تمت هذه التظاهرة ، ولم ينتج عن تمعها اية مضاعفات تدفع بألهاب الجماهير في قطاع غزة . وبتقديرنا ان هذا الغياب المؤقت لجماهير هذا القطاع . يعود لعدة اسباب فيها (١) أن الظاهرة العسكرية في قطاع غزة كانت ابرز ظواهر المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني الاسرائيلي منذ بداية الاحتلال في العام ١٩٦٧ . وبسبب سيادة الظاهرة العسكرية ، غاب الدور الفاعل للتحركات السياسية في القطاع ، وبنفس الوقت اهتمت منظمات المقاومة خلال السنوات الماضية بتنمية هذه الظاهرة وسيادتها ، دون ان تعمل على دعمها بتنظيمات سياسية تزج بأوسع الجماهير في المعركة . لقد مرت فترة على قطاع غزة ، ولا سيما خلال سنتي ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ، كان الفدائيون يسيطرون خلالها على قطاع غزة ، لدرجة ان موشيه ديان ، وصف وضع غزة في العام ١٩٦٩ بأنها « مدينة يحكمها الفدائيون خلال الليل » .وبعد هزيمة المقاومة في الاردن ، ركزت السلطات الاسرائيلية المحتلة جهودامكثفة لضرب المقاومة العسكرية في القطاع ، فحشدت قوات كبيرة في القطاع المتابعة ومطاردة الفدائيين ، وبنفس الوقت سارعت في انهاء ظاهرة المخيم في القطاع ، عن طريق مشاريع الاسكان وربط المخيمات بالمجالس البلدية في القطاع ، كما قامت بفتح الطرق والشوارع الواسعة وسط المخيمات لتسهيل مطاردة وملاحقة الفدائيين . وحقق العدو الاسرائيلي نجاحات لا بأس بها في هذا المجال ، في وقت كان الوضع السياسي شبه راكد في معظم المناطق المحتلة . لقد تعرض القطاع خلال السنوات الماضية لاجراءات قمعية قاسية حدت من قدرة الفدائيين على الحركة ، مما اثر على التحرك السياسي العام للسكان هناك . (٢) تمتلك الحركة الوطنية في الضفة الغربية تراثا نضاليا تكون من خلالها النضالات الجماهيرية التي خاضها سكان الضفة ضد الهاشميين قبل الاحتلال ، في حين أن الحركة الوطنية في قطاع غزة ، ابان الادارة المصرية قبل الاحتلال ، لم تكن تمتلك مثل هذا التراث . فبعض اطراف الحركة الوطنية هناك مثل حركة القوميين العرب ، كانت قريبة الى الحكم المصري ، وكانت مؤيدة له ، في حين ان بعض اطرافها الاخرى ، التي كانت معارضة للحكم المصري ، مثل الحزب الشيوعي ، كانت ضعيفة وتعرضت لعمليات سحق مبكرة من قبل الادارة المصرية ، ولهذا امتاز القطاع ابان الاحتلال الاسرائيلي بقوة تنظيماته العسكرية وبضعف تنظيماته السياسية . وهذا جانب لا بد لمنظمات المقاومة العاملة في القطاع ، أن توليه اهتمامها وعنايتها بتنمية اشكال العمل السياسي بين

جماهير القطاع اضافة الى العمليات العسكرية . أن القذف بعدة محرضين وسط التجمعات السكانية وفي المدارس ، كبداية ، سيساعد كثيرا في تحريك الحالة السياسية الراكدة في قطاع غزة . وثاني هذه الظواهر ان **الشعار السياسي خلال الانتفاضة** لم يكن بمثل وضوحه خلال انتفاضة تشرين الثاني . فعلى الرغم من ان معارضة الاستيطان الصهيوني كان هو الشعار الابرز خلال الانتفاضة ، ولا سيما في انتفاضة عرب الجليل والمثلث ، فأن دخول عوامل اخرى وظروف سياسية جديدة على الانتفاضة كان يفرض تطوير الشعار السياسي بما يتلاءم وما يحدث من تطورات . مثلا ، كان يبدو أن الانتفاضة وليس لها ادنى علاقة بالانتخابات البلدية التي ستجري قريبا . فلم ترفع شعارات لا مع ولا ضد . وهذا عائد بشكل اساسي الى ان قيادة المنظمة لم تحدد موقفا معلنا من الانتخابات معها او ضدها . وبالتالي فأن الجماهير كانت شبه مبلبلة ازاء هذا الموضوع ، وهذه ملاحظة اكد عليها اكثر من شاهد عيان عاش الانتفاضة وتابعها . أن الشعارات التي كانت تطرح ، اما شعارات قديمة جرى تطويرها على ضوء التطورات الجديدة « مثل ابو عمار لا تعبس بدك جيش منلبس » وكانت سابقا « عبد الناصر لا تعبس بدك جيش منلبس » أو شعارات عامة لا تعبر عن مدلولات سياسية محددة ، بعكس الانتفاضتين السابقتين ؛ حيث طرحت خلالهما شعارات محددة . اضافة الى ذلك فأن المنشور السياسي والكتابة على الجدران ، كاسلوبين من اساليب التحريض والتعبئة الجماهيرية كانا غير بارزين خلال الانتفاضة . ان تحديد الشعار السياسي ، ذي المدلولات السياسية المحددة خلال اي انتفاضة شعبية ، مهم وأساسي ، لانه يزج بأوسع الجماهير حول قضية محددة ، اضافة الى انه يعطي للانتفاضة افقا محددا ، بدل أن تضيع في متاهة الشعارات العامة وغير المحددة . وثالث هذه الظواهر ان **اشكال التعبئة الجماهيرية** كانت متخلفة عن المستوى الذي بلغته الانتفاضة ، وعن مستوى حماس الجماهير واندفاعها . ان الحالة الجماهيرية ، زخمها ، عمقها ، اتساعها ، تفرض اشكالا معينة من العمل التنظيمي والتعبوي للجماهير ، وفي حالات كثيرة تكتشف الجماهير اشكالا جديدة بعفويتها وتكرسها من خلال النضال . ويمكن القول على ضوء ما ورد من تقارير وما رواه شهود عيان عن الانتفاضة ، أن اشكالا من العمل النضالي والسياسي متقدمة عن السابقة بدأت تتبلور الان وسط الجماهير ، ان بشكل جنيني . فتنظيم مواجهة قوات العدو داخل الاحياء هي شكل متقدم من العمل ، ولكن انتقال مركز الانتفاضة الى الحي بدلا من المدرسة ، يتطلب ايجاد اشكال من العمل تنظم كل جمهور الحي بفئاته المختلفة ، وهذا يفرض قيام لجان للاحياء ، وكذلك لجان في المدارس والقرى ، وربطها مع بعض ما امكن ، حتى يتم الانتقال بالانتفاضة الى مرحلة ارقى ، من الطابع العفوي شبه المنظم ، الى الطابع المنظم . أن تطور اساليب القمع التي ينتهجها العدو تفرض تطورا في اشكال مواجهة هذه الاساليب ، وهو تطور قد يفرض نفسه تلقائيا — أحيانا — ولكن لا بد من جهد فاعل بهذا الاتجاه .

[٣]

آفاق المستقبل

ان الانتفاضة الشعبية ، اي انتفاضة ، لا تكتسب قيمتها وأهميتها الا من افقها السياسي . وهذا الافق يرتبط دائما وباستمرار بقضية محددة ، بموضوع محدد ، قد لا يكون واضحا بما فيه الكفاية في بداية الانتفاضة ، ولكنه يأخذ في الوضوح والتبلور اكثر فأكثر خلال الانتفاضة . في البداية ، قد لا تتمكن القيادات من تحديد مدى

الانتفاضة وزخمها ، وبالتالي يصيبها شيء من التردد في تحديد افق الانتفاضة السياسي وشعاراتها السياسية . ولكن مع استمرار الانتفاضة ، واشتراك المزيد من الجماهير فيها ، لا بد من تحديد الافق السياسي لها ، عبر شعارات سياسية محددة تتلاءم والمدى الذي بلغته الانتفاضة ، تلتقطها الجماهير وتستوعبها وتناضل من اجلها ، والا فان نضالات الجماهير قد تبدد في متاهات عديدة ، وتفقد زخمها السياسي ، مما يسهل على العدو ضربها وسحقها . والانتفاضة الشعبية التي تعم فلسطين المحتلة الان ومنذ اشهر ، تطرح على كل القيادات الوطنية امرا في غاية الاهمية ، وهو ماذا نريد من الانتفاضة ؟ ما هي الافاق المفتوحة امامها ؟ كيف نعمل على تطويرها ودفعها خطوات اكبر الى الامام ؟ هل نكتفي بالدعاية لها ، والاشادة بجماهيرنا في الارض المحتلة ، ام ان واجبنا اكبر من ذلك بكثير ؟ ان هذه الاسئلة وربما اخرى غيرها لا بد من الاجابة عليها ، ولا يمكن في هذا المقال الاحاطة بكل هذه الاسئلة ، وكبداية اطرح بعض التصورات والاقتراحات ، على امل ان تشكل مدخلا او نافذة نلج منها الى هذا الموضوع الكبير والهام .

لقد طرحت الانتفاضة ، جملة من الحقائق ، قد تكون بدبهية ، ولكن لا بد من التأكيد عليها حتى لا تغيب عن الذهن . وهذه الحقائق هي (١) ان المقاومة ليست عمليات عسكرية محضة ، بل هي فعل جماهيري ، هي احداث اقوى التاثيرات في اوسع الجماهير وزجها في المعركة . هي تجنيد وتعبئة الجماهير من كل الفئات الوطنية عبر اشكال من العمل التنظيمي والسياسي والعسكري ، مختلفة ومتفاوتة . ومن هنا تكتسب العمليات العسكرية عمقها وفعلها في اوساط الجماهير . وفي هذا المجال لا بد من التذكير بالوضع الذي يعيشه قطاع غزة الان ، على الرغم من انه قبل سنتين ، كان يمثل ـ عسكريا ـ حالة متقدمة . (٢) لقد اكدت الانتفاضات المتتالية في فلسطين المحتلة ، ان جماهيرنا هناك طاقة ، وطاقة كبيرة جدا عندما تدفعها الاحداث من الامكان الى الفعل ، من الكمون الى الحركة ، من الجمود الى النشاط . وهذه الطاقة ، تفرض علينا ان نتعلم جيدا ، كيف يجب ان نعبئها ونجندها في نضالات مستمرة وعبر سياسات صائبة . (٣) ان الجماهير لا تتحرك بنشاط وفعالية ، عبر السياسات والشعارات العامة ، فدائما وابدا تنشطها القضايا المحددة التي تتلمسها عن قرب . وترى آفاقها المنظورة او القريبة . ان الاستيطان الصهيوني في المناطق الآهلة بالسكان ، لم يثر الجماهير بنفس الفعالية والزخم الذي اثارها استيطان مناطق قريبة من التجمعات السكانية او في وسطها . وايضا قد نرى الجماهير هادئة ساكنة ، تعيش حياتها اليومية العادية بشكل عام ، ولكن حادثا صغيرا ، كاقتحام مدرسة مثلا ، او اطلاق النار على تظاهرة للطلبة ، يقضي على هدوئها ويدفعها الى ساحة المعركة بزخم . شبه راديو العدو الوضع في نابلس اثر اقتحام مدرسة قدري طوقان بأنه « عاصف جدا واشبه بكرة من الثلج تتدحرج وتجمع زخما وقوة خلال تدحرجها » (٤) . وهذا يعني ان انتقال الجماهير من حالة الكمون الى حالة النشاط ، امر لا يمكن التنبؤ به مسبقا في اغلب الاحيان . وهذا يفرض الاستعداد المسبق للحركة الوطنية لاستيعاب هذه الحالة وتوجيه نشاطات الجماهير الوجهة الصحيحة ، وذلك عبر تحديد اي الشعارات السياسية اكثر صوابية ، واكثرها قدرة على تحريك الجماهير واستقطابها .

على ضوء هذه الحقائق ، ماذا نريد من الانتفاضة ؟ من الواضح ان الانتفاضة ، اي انتفاضة ، لا بد من نهاية لها ، وقد لا تحقق الجماهير من هذه الانتفاضة كل ما تبتغيه ، ولكن حتما ستحقق بعض النتائج لصالحها ، ان لم يكن على المدى القريب

والمباشر ، فعلى المدى الاستراتيجي . وانتفاضات الجماهير داخل الارض المحتلة ، تظل متأثرة بما تواجه الثوره الفلسطينية خارج الارض المحتلة ، وما يسود من ظروف سياسية في المنطقة العربية . وبالتالي فأن فعل الانتفاضة وامكاناتها تظل محكومة ـ نسبيا ـ بهذه العوامل ، فمثلا تطور الانتفاضة الى نوع من العصيان المدني الشامل وشبه المسلح لا يمكن الوصول اليه الا بوصول الثورة الفلسطينية الى مرحلة تصبح فيها قادرة على فرض الاندحار الكامل للعدو وطرده من الارض المحتلة بدون قيد او شرط . ودفع الامور داخل الارض المحتلة بهذا الاتجاه قبل وصول الثورة الفلسطينية الى هذه المرحلة من النضال ، يكون بمثابة مغامرة ، ونوعا من الانتحار للانتفاضة . اذن طالما لم تبلغ الثورة الفلسطينية هذه المرحلة ، فأن الانتفاضة تفعل وتؤثر ضمن حدود ولخدمة غايات واهداف يمكن تحديدها بما يلي :

١) الابقاء على حالة من التحفز الجماهيري داخل الارض المحتلة ، تبقي الجماهير في حالة من الحركة السياسية ، وتجعلها مستعدة لمواجهة اي تطور في الاوضاع ، فالتحرك السياسي النشط بين فترة واخرى ، والذي سيقابل باجراءات قمعية من العدو ، يحول دون العودة الى الحياة اليومية العادية ، ويبقي الجماهير في حالة من الترقب والاستعداد للحركة النشطة (٢) تكثيف الخبرة السياسية والنضالية الجماهيرية ، وتكريس هذه الخبرة كتراث نضالي توظفه الجماهير وتستفيد منه في نضالاتها القادمة بناء على خبرتها الخاصة . ٣) مواجهة مشاريع العدو المختلفة ، من استيطان ومشاريع ادارة ذاتية وغيرها ، وتحريك اوسع الجماهير ضد هذه المشاريع (٤) مواجهة سياسات النظام الهاشمي في الارض المحتلة ، بتعبئة اوسع الجماهير ضد سياسات الالحاق الهاشمية ، وبملاحقة عملاء النظام الهاشمي ومطاردتهم وعزلهم داخل الارض المحتلة . وتقديري أن هذه المهمة ستصبح هي المهمة الاساسية للجماهير في الداخل خلال الفترة القادمة ، وذلك على ضوء ما يجري من ترتيبات واتصالات لاستعادة النظام الهاشمي سيطرته على الضفة الغربية عبر تسوية مع العدو الاسرائيلي . ولم يكن صدفة مثلا مهاجمة المتظاهرين في الخليل لمكاتب جريدة « القدس » ومحاولة احراقها ، ذلك أن الجريدة المذكورة معروفة بصلاتها مع النظام الهاشمي ، وأنها المنبر الاعلامي لعملاء النظام الهاشمي داخل الارض المحتلة . (٥) اعداد الجماهير اعدادا ثوريا لانتفاضة شاملة وشبه مسلحة في مرحلة لاحقة من النضال .

ان هذه المهمات والاهداف ، تفرض الارتقاء بنضال الجماهير عبر الارتقاء باساليب واشكال تنظيمها ونضالاتها . وكبداية يصبح من الضروري تنمية البدايات الجنينية التي برزت مع الانتفاضة في تشكيل لجان الاحياء والمدارس والقرى ، وصيرورة هذه اللجان الشعبية اطرا لتعبئة وتجنيد اوسع الجماهير في حالات شبه الهدوء وحالات الحركة النشطة ، كذلك يصبح من الضروري التوجه نحو قيام نوى لاتحادات نقابية ومهنية سرية تتطور وتفرض نفسها من خلال النضال ، كما يصبح من الضروري الاهتمام بالمنشور السياسي والنشرة السياسية كوسائل لتربية الجماهير وتثقيفها سياسيا .

ايام للنضال : اضافة الى ذلك فأن النجاح الذي لاقاه يوم الارض في ال ٣٠ من اذار الماضي ، يجعل الثورة الفلسطينية تقدم بلا وجل على تحديد ايام اخرى للنضال ، تكون بمثابة ايام نعبىء ونحشد من خلالها جماهيرنا في اماكن تجمعاتها المختلفة ، ونكرس من خلالها تقاليد ثورية تحييها جماهيرنا كل عام . وفي هذا المجال اقترح

أن يتم تحديد **يوم للمرأة الفلسطينية ، ويوم للعامل الفلسطيني ، ويوم للطالب الفلسطيني ، ويوم للفلاح الفلسطيني** . ويكون كل يوم من هذه الايام بمثابة تظاهرة وطنية نحيي فيها نضالات جماهيرنا بفئاتها المختلفة . ان تكريس هذه الايام كأيام للنضال ستزود جماهيرنا بالمزيد من القوة ، والمزيد من الحماس والاندفاع في خدمة قضيتنا الوطنية .

---

١) فلسطين الثورة بتاريخ ١٩٧٦/٤/٤

٢) السفير بتاريخ ١٩٧٦/٣/٣١

٣) المصدر نفسه ٠

٤) النهار بتاريخ ١٩٧٦/٤/١ ٠

٥) اليوميات الفلسطينية للعام ١٩٦٩ ، منشورات مركز الابحاث الفلسطينية المجلد ٩ ص ١٧٧ و ١٧٨ ٠

٦) نشرة رصد اذاعة اسرائيل رقم ١٠٤٠ العدد ٦٨٢ ص ٣٤١ و ٣٤٧ ٠

٧) رقم ١٠٤٠ العدد ٦٨٩ ص ٦٠٨ ٠

٨) المصدر نفسه ص ٦٠٩ ٠

٩) رقم ١٠٤٠ العدد ٦٨٦ ص ٥٣٨ ٠

١٠) رقم ١٠٤٠ العدد ٦٨٤ ص ٤٦٣ و ٤٦٤ ٠

١١) رقم ١٠٤٠ العدد ٦٨٦ ص ٤٩٤ ٠

١٢) فلسطين الثورة بتاريخ ١٩٧٦/٢/٢٢ ٠

١٣) « التايمز » بتاريخ ١٩٧٦/٣/١٧ ٠

١٤) الفاريان بتاريخ ١٩٧٦/٣/١٨ ٠

١٥) الاتحاد بتاريخ ١٩٦٩/٢/٢٨ ٠

١٦) كارل ماركس ، النضال الطبقي في فرنسا ١٨٤٨ - ١٨٥٠ ص ١٦٦ ٠

١٧) للمزيد من التفاصيل حول اسباب التفاوت في الحالة النضالية بين قطاع غزة والضفة الغربية ، انظر : المقاومة الفلسطينية في الارض المحتلة ، من منشورات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، آب ١٩٧٠ ٠

١٨) اليوميات الفلسطينية للعام ١٩٦٩ مجلد ٩ ص ١٣٣ ٠

١٩) المصدر نفسه ص ١٦٣ ٠

٢٠) المصدر نفسه ص ٢٠٠ ٠

٢١) المصدر نفسه ص ١١١ ٠

٢٢) المصدر نفسه ص ١٢٧ ٠

٢٣) المصدر نفسه ص ١٢٨ ٠

٢٤) لينين ، المختارات ، مجلد ج٢ ص ١١٠ ٠

٢٥) المصدر نفسه ص ١٦٧ ٠

٢٦) المصدر نفسه ص ١٦٧ ٠

٢٧) رقم ١٠٤٠ العدد ٦٨٦ ص ٥٢٩ ٠ ٠

٢٨) رقم ١٠٤٠ العدد ٦٨٨ ص ٥٧٨ ٠

٢٩) المصدر نفسه ص ٥١١ ٠

٣٠) عشرة ايام هزت الاحتلال الصهيوني ، منشورات دائرة الاعلام والتوجيه القومي في منظمة التحرير الفلسطينية ص ٦٧ ٠

٣١) اليوميات الفلسطينية للعام ١٩٦٩ مجلد ٩ ص ١٩٦ ٠

٣٢) اليوميات الفلسطينية للعام ١٩٦٨ مجلد ٨ ص ٤٩٩ ٠

٣٤) النهار بتاريخ ١٩٧٥/١٢/٩ ٠

٣٥) رقم ١٠٤٠ العدد ٩٦٤ ص ٢٥٧ ٠

٣٦) الفاريان في ١٩٧٦/٣/١٩ ٠

٣٧) رقم ١٠٤٠ العدد ٩٩٤ ٠

٣٨) المصدر نفسه ٠

٣٩) المصدر نفسه ٠

٤٠) رقم ١٠٤٠ العدد ١٠١٠ ص ١٩٤ ٠

الانتفاضة الكبرى

شهادات . دروس . آفاق

[ندوة]

اشترك فيها :
الدكتور احمد حمزة
الدكتور الياس شوفاني
عربي عواد
الدكتور عبد العزيز الحاج احمد
عبد الجواد صالح
احمد خليفة
محمود سويد

الضفة الغربية : كانت الانتفاضة شاملة جغرافيا وبشريا

الدكتور احمد حمزة :

احب اولا ان اقدم الاسباب الذاتية للانتفاضة . منذ الاحتلال وشعبنا في الارض المحتلة مستمر في النضال . ولكن مرت المعركة خارج اطار هذه الاستمرارية بشكل تميز احيانا بعنف النضال ، وسمينا هذه بالانتفاضات. اهم هذه الانتفاضات التي حدثت في الضفة الغربية بشكل موجز ، الانتفاضة الاولى جاءت بعد حرب اكتوبر ، بعد زلزال اكتوبر ، وما احدثه هذا الزلزال في نفوس الشعب العربي الفلسطيني في الداخل والخارج ، وخصوصا في الداخل فتلا هذه الحرب انتفاضة كلكم تعرفونها ، كانت هي اواخر سنة ١٩٧٣ . وعلى اثرها ابعد بعض الاخوان مثل الاخ عبد الجواد صالح ، كانت اسباب هذه الانتفاضة اسباب خارجة عن المناطق المحتلة ، هي انتصار حركة التحرر العربي وانتصار الثورة الفلسطينية في الخارج . الانتفاضة الاخرى كانت بعد بروز الشخصيه الفلسطينية والانتصارات التي حققتها الثورة الفلسطينية فيما بعد والتي تتوجت في مؤتمر الرباط وخطاب الاخ ابو عمار في هيئة الامم المتحدة. هذه ايضا أعطت دفعة لشعبنا العربي الفلسطيني في ارضنا المحتلة فقام بمظاهرات واضرابات ، وكانت تتميز هذه الحركة بتأييد الشعب العربي الفلسطيني في داخل المناطق المحتلة لمنظمة التحرير الفلسطينية واعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني . هذا مثل من الانتفاضات السابقة . الانتفاضة الحالية حصلت في ظروف

اخرى . هذه الظروف منها الظروف الذاتية في الاراضي المحتلة ، وطبعا لا نستطيع فصل الانتفاضة عن ظروف اخرى خارج المناطق المحتلة . لكن الدوافع المباشرة التي ادت الى الانتفاضة كانت بالاساس دوافع ذاتية فبدأت الانتفاضة بشرارة محاولة المستوطنين الصهاينة الاستيطان في سبصطية فقامت مظاهرات واضرابات في مدينة نابلس ، عنيفة جدا ، في اواخر العام الماضي ، كانت محصورة وبقيت محصورة في الشمال وخاصة في مدينة نابلس . ففي هذه الفترة تمكنت السلطات الاسرائيلية وبمساعدة بعض المسؤولين المحليين من حل القضية بالتي هي احسن . فوجدوا حلا وهو الغاء الاستيطان في سبصطيه ونقل المستوطنين الى معسكر كفرقدوم . فكان هذا بمثابة تفكيك للرأي العام في الشمال . ولكن الغليان ظل قائما ولم ينس الناس الاستيطان . كانوا يعلمون ان الاستيطان يبدأ بالتدريج ، وبطرق ملتوية ، مثلما حدث في مدينة الخليل . فقبل انشاء كريات اربع ، ارسل الصهاينة الى مدينة الخليل السواح في فندق ثم نقلوهم من الفندق الى السلك عند الحاكم العسكري وبالتدريج توصلوا الى انشاء كريات اربع . فالناس تعلموا من مكر العدو ولم يكونوا مطمئنين . الا ان قضية الاستيطان جاءت قبل عيد الاضحى المبارك وكانت الظروف لا تسمح بالاستمرار ولكن في اوائل العام الحاضر حدثت امور اخرى منها الفيتو الاميركي في مجلس الامن الذي كان له ردود فعل كبيرة في المناطق المحتلة . وتبع ذلك قرار محكمة الصلح في القدس بالسماح لليهود باقامة صلاتهم في الحرم الشريف في القدس، وكانت هذه الشرارة التي اشعلت الحركة في القدس ، فبدأت بالاضرابات ثم المظاهرات والاعتصامات وطبعا كانت سلطات الاحتلال تقابل هذه الحركة باعمال قمعية ، تتناسب مع قوة الحركة النضالية . ومن القدس انتقلت الى نابلس ومن نابلس الى منطقة رام‌الله والبيرة ثم الى اريحا ، جنين ، طولكرم ، قلقيلية ، الخليل ، بيت لحم ، وشملت جميع المناطق بما فيها قطاع غزة . وهكذا نرى انه من الشرارة التي حدثت في القدس امتدت الاضرابات والاحتجاجات الى جميع المناطق المحتلة . فاذن هذا اول شيء ممكن التأكيد عليه وهو ان الانتفاضة كانت شاملة ، شملت جميع المناطق من الشمال الى الجنوب . النقطة الاخرى ، وهي ان النضال لم يقتصر على فئة من الفئات وبقيت الفئة الاخرى متفرجة مثلما كان يحدث في بعض المرات . ففي السابق كانت المدارس تغلق وبعض التجار يغلقون محلاتهم وبعض الشباب والعمال يشاركون بالمظاهرات الطلابية ، ولكن في هذه المرة كانت القضية مختلفة . الانتفاضة شملت جميع القطاعات الاجتماعية في الضفة الغربية . كانت السلطات الاسرائيلية تصور القصة دائما وكأنها قصة اولاد يغلقون مدارسهم وينزلون الى الشوارع ، اي كانت تلغي العامل الوطني وتصور القضية وكأنها قضية اولاد لا يودون الدراسة ، ولكن ذلك كذب ونفاق . الانتفاضات ، كل الانتفاضات كان يشارك بها قطاعات كبيرة من الشعب ولكن الانتفاضة الاخيرة ساهم بها كل القطاعات بدون استثناء ، الطلاب ، العمال ، التجار ، الموظفين ، معلمو المدارس كانوا مشتركين ايضا . وهذا يمكن اثباته ببعض الامثلة . مثلا عندما حدثت الاصطدامات بين قوات القمع الاسرائيلية وبين المتظاهرين، نأخذ نوعية الذين قتلوا ، ونوعية الذين جرحوا . فالى حين ابعادنا كان هناك شهداء، الشهيد الاول طفل عمره ١١ عاما ، والشهيد الاخر من سلفيت، مثقف ، عمره حوالي ٤٥عاما وكان على راس المظاهرات ، واخذ من المظاهرات وضرب ثم نقل الى مدينة طولكرم وتوفي على اثر الضرب . في البداية قالوا انه اصيب بنوبة قلبية ولكن ثبت على اثر التشريح انه توفي على اثر الضرب الوحشي الذي تعرض له من قوات الاحتلال . الشهيد الاخر ، حميدان اسعد ابو رميلة من الخليل ، بائع فلافل ، عمره ٣٤ سنة ، وانا اعرفه شخصيا حيث كنت ابتاع من عنده فلافل . ومن ناحية اخرى ، هناك نوعية المجروحين . فقد كنت

في مستشفى بيتجالا وكان هناك حوالي ٨ الى٩ مجروحين ، كان هناك طلاب ، لكنهم كانوا اثنين فقط ، والبقية كانت عمالا ومثقفين ، من بينهم عامل جرح في نفس المكان الذي قتل فيه الطفل عفانة ، عمره حوالي ٣٠ سنة ، وكان مصابا برصاصة في رأسه ومن بين المجروحين كان رئيس النادي الارثوذكسي في بيت ساحور ، وكذلك كان هناك شاب عمره ٣٥ عاما ، ومن بين المجروحين هناك تجار . هذه الامثلة تدل على ان الانتفاضة لم تقتصر على فئة معينة من الناس وانما شملت كل الناس. فهي اولا كانت شاملة كل الضفة الغربية وثانيا كانت شاملة بالنسبة للفئات التي اشتركت في الانتفاضة . من ناحية اخرى ، وهو ما تحدثت عنه في البداية ، كانت هناك اسباب ذاتية . الاسباب الذاتية هذه كانت كلما تصاعد النضال ، يضاف اليها شعارات اخرى . بدأت بالاستيطان في سبسطيه ،ثم تغير الشعار واصبح ضد الاستيطان وبعد ان رفع شعار ضد كل الاستيطان الجديد ، رفع شعار اخر ، الغاء المستوطنات القديمة ، فلاول مرة في الخليل مثلا ، وبعد الدور القذر الذي لعبه المستوطنون في الخليل بمساعدة سلطات الاحتلال في قمع المظاهرات ، ظهر تماما ان هؤلاء لا يريدون السكن فقط وانما جاؤوا للقيام باعمال عدوانية ، فظهر شعار جديد لاول مرة في الخليل نريد ابعاد المستوطنين في الخليل . وفعلا اضطرت الحكومة الاسرائيلية بقرار ان تمنع الحاخام ليفنجر من دخول مدينة الخليل. وهذا دليل على ان قضية الاستيطان انتقلت من سبسطيه الى نضال ضد كل الاستيطان ، ومن ثم الغاء الاستيطان . اثناء النضال ظهرت ايضا شعارات اخرى ، شعارات المعتقلين . فعندما كانوا يعتقلون الناس اثناء المظاهرات ارتفعت الاصوات التي تندد بالاعتقالات والغرامات الباهظة التي كانت تفرض على الناس ، والاحتجاجات على الاعمال الوحشية التي كانت تقوم بها سلطات القمع . وهناك مثل في مدينة الخليل بالذات حيث اعتدوا على القاضي الشرعي في المدينة وضربوه ، واضطر بيريز نفسه ان يعتذر الى القاضي بما ان كل الصحافة كتبت واستنكرت الاعتداء على القاضي الشرعي الذي يمثل شيئا في الخليل، لا لانه الشيخ بيوض ولكن لانه يمثل رمزا امام الناس في مدينة الخليل . ارتفعت شعارات اخرى ، اطلاق سراح المعتقلين الاداريين الذين كانوا منسيين . هناك شعارت ذاتية وانية ومؤقتة لكن مدلولها هو سخط الناس على الاحتلال ورغبتهم في الخلاص من هذا الاحتلال . وهناك نقطة اخرى ظهرت اثناء الانتفاضة ، هتافات تأييد لمنظمة التحرير الفلسطينية ، رفع الاعلام الفلسطينية ، الهتاف بحياة ابو عمار كرمز لحركة الفلسطينية ، لمنظمة التحرير الفلسطينية . هذه الاسباب الذاتية للانتفاضة هناك اسباب اخرى موضوعية وعامة مثل الانتفاضات الاخرى ، ولكن الانتفاضات الاخرى كانت تحدث عندما كانت حركة التحرر العربي في مد ، بعد حرب اكتوبر ،وبعد الانتصارات التي حققتها الثورة الفلسطينية ، اما هنا فقد كان شعبنا العربي الفلسطيني في الداخل يعبر عن سخطه واستنكاره لجميع السلبيات التي تحدث في الخارج . ما يحدث في مصر ، لم يكن غريبا عن الانتفاضة لان الاتجاه الخطر الذي اخذه السادات اثار السخط والاستنكار ، هذا الاتجاه كان خطرا على حركة التحرر العربي وعلى الثورة الفلسطينية بالذات . وكذلك التقارب السوري — الاردني الذي تثار حوله عدة علامات استفهام ، ويعود ذلك لعدم الثقة بالنظام الهاشمي وكذلك الوضع في لبنان ، فالناس هناك يعلمون عن الوضع في لبنان ، وان هناك مؤامرة كما حصل في عمان في ايلول ١٩٧٠ ، امتدت الى لبنان وحيكت لضرب الحركة الفلسطينية في لبنان ، وطبعا يعلمون ان الرجعية اللبنانية هي التي تنفذ المؤامرة التي تقودها الكتائب اللبنانية . ويعلمون ايضا ان القضية ليست طائفية ، انها قضية حركة تحرر ، ورجعية تحاول ان تقضي على حركة التحرر في لبنان وايضا على الثورة الفلسطينية . كل هذه تعتبر اشياء سلبية

تلهي الفلسطينيين عن الهدف الاساسي وهو العمل في داخل الاراضي المحتلة والعمل لتحرير فلسطين . فهم يعتبرون ان كل معركة جانبية هي بمثابة حرب استنزاف للثورة الفلسطينية . هذه العوامل مجتمعة كانت من المؤثرات والمسببات للانتفاضة الاخيرة والتي لم تكن موجودة في السابق . وهناك ظرف اخر ساعد على ان تكون الانتفاضة في مثل هذا العنف ، وساعد على مشاركة كل القطاعات في هذه الانتفاضة وهو الوضع الاقتصادي في اسرائيل وهو سيء للغاية . فقد نجحت اسرائيل ولمدة تسع سنوات ، في ربط الاقتصاد في الضفة الغربية بالاقتصاد الاسرائيلي وكما ساءت الحالة الاقتصادية في اسرائيل ، انعكس ذلك على الوضع في الداخل ، واظهر للناس المتوهمين الذين اصابتهم النشوة الاقتصادية من وراء الاحتلال ، ان كل ما ربحوه ، قد فقد مرة واحدة. فالتضخم المالي الذي حدث هدم كل ما بني خلال تسع سنوات . وقد لعب هذا العامل دورا كبيرا في تحريك التجار الذين كانوا سابقا منتفعين من الاحتلال ، فقد وجدوا انهم متضررون تماما ، وكل ما قدم لهم الاحتلال في مدة ٨ سنوات اخذه في اشهر بواسطة السياسة الاقتصادية التي اتبعتها اسرائيل . هناك امثلة ، هناك شخص يعمل في تصنيع الادوية ومواد التجميل . يقول هذا الشخص انه بدأ عام ١٩٦٧ بعشرين الف دينار ، اما رأسماله الحالي فلا يساوي اكثر من عشرة الاف دينار . فكل عمله كان من اجل تغطية معيشته ، اما رأسماله فقد انخفض . هذا كله احدث النقمة على الوضع ، زيادة على العوامل الوطنية داخل المناطق المحتلة . هذه هي الامور التي اردت بيانها والتي تميزت بها الانتفاضة الاخيرة عن الانتفاضات الاخرى .

في الجليل : الصراع على الارض كوطن ، لا كوسيلة انتاج

الدكتور الياس شوفاني :

ليس عندي الصورة الكاملة عما قاله الدكتور احمد ،ومعلوماتنا قليلة لذلك فان كلامي سيجنح هنا نحو نوع من التنظير ولكن في تقديري (وربما يكون هذا نوعا من المبالغة البلاغية) ان انتفاضة يوم الارض في الجليل هي تشرين عرب الجليل . فعرب الجليل لم يشاركوا في حرب ١٩٥٦ ولا في حرب ١٩٦٧ ولا في حرب ١٩٧٣ ، فكان لهم تشرينهم الخاص في ٣٠ اذار ١٩٧٦ . لهذه التشرين مفاجأتها الخاصة ، كما كان لتشرين مفاجأتها الخاصة ايضا . المفاجأة كانت للعدو اولا الذي لم يكن يتوقعها ، وللعرب والفلسطينيين خارج الارض المحتلة ثانيا وللعالم ثالثا ، وربما فاجأوا انفسهم . اعتقد من الكلام الذي قيل على الراديو من مقابلات مع رئيس بلدية عرابة مع اشخاص من البوليس العربي في سخنين وفي ديرحنا، انهم كلهم فوجئوا وكلهم من ابناء هذا الشعب. المفاجأة كما في حرب تشرين ، لم تكن في التوقيت ولا في التنبيه وانما في الحجم والنوعية. ويمكن تقييم هذه الانتفاضة بانها فقرة في الصراع المستمر والمواجهة الدائمة بين الشعب الفلسطيني والمستوطنين الاسرائيليين . الصراع المستمر على الانتماء الى الارض والعلاقة بها ومعها . هذا الصراع بدأ قبل يوم الارض ولا يزال مستمرا . خلفية هذا الصراع ، يمكن ان نعتبرها نوعا من الديانة لدى الطرفين . هناك خلفية تراث يهودي طويل جدا بالنسبة للارض ، وهناك صراع كذلك بالنسبة للفلسطينيين. فالارض انتماء للوطن وانتماء للانتاج وما الى ذلك . في التراث اليهودي القديم ، الدين الذي يتميز بالغيبية والصوفية ربما ، هناك ربط للتاريخ الحي بالجغرافيا الثابتة . ومن هنا يمكن ان نلاحظ في الديانة اليهودية نوعا من الغاء التاريخ الحي خارج الجغرافيا الثابتة ، والغاء وجود الارض او تاريخ الارض ما دام سكانها ليسوا عليها. لذلك فان تاريخ اليهود خارج فلسطين مرتبط بحسابات الصهيونية المتأخرة وكأنه لم يكن هناك تاريخ ، وكأن الارض

في حقبة الـ ٢٠٠٠ سنة التي لم يسكنها اليهود ، لسم تكـن قائمة . هذا نوع من لاهوت الارض المقدسة الذي نجده في فلسفة اليهود ، وفيه طبعا طابع صوفي غريب غيبي يتناسب مع تراث اليهود الغيبي ، والذي انعكس على الفلسفة السياسية الصهيونية، حيث الغيبية هي احدى العناصر الاساسية . من هنا فقد ترجم هذا التراث من جانب الصهاينة بالعمل على تهويد الارض ، اي ربط الارض مرة اخـرى ، ربـط التاريـخ بالجغرافيا ، في المكان الذي يعتقدون دينيا انه الاساس ، هذا الذي فعله الصهاينة من اجل تهويد الارض واقاموا من اجله رأس المال القومي الدائم من اجل استملاك الارض، على ان تكون الارض ملكا للشعب اليهودي وبذلك فان الملكية غير محددة ، كـما ان الشعب غير محدد ، فهذه نظرة غيبية اخرى . المفترض ان يهاجر كل اليهود الـى فلسطين ومن هنا محاولة امتلاك كل الارض لهذا الشعب اليهودي دون ملكية محـددة للافراد . من هنا نستطيع ان نفسر الجشع الفظيع بالنسبة لامتلاك الارض لانه لا يقوم على احتياجات ذاتية انيه للاستيطان . هناك اراض شاسعة في المناطق المحتلة غير مستغلة ولم تقم عليها مستوطنات ، وان اقيم عليها مستوطنات فهي خالية ، هنـاك مستوطنة ايلات مثلا وهناك مستعمرة كفرامون . ونستطيـع ان نعـدد عشرات المستوطنات الخالية من السكان ، بينما جشع اليهود في امتلاك الاراضي مستمر ، وهو نابع من النظرة الصوفية الى الارض . وهي نظرة غير محددة . اذن تهويد الارض ، اي ملك الارض للشعب اليهودي هو ركن من اركان تجسيد المشروع الصهيوني . اذن كان لا بد للكيان الصهيوني من خلق القوة السياسية القادرة على تحديد العلاقـة بين السكان والارض . كانت المتغيرات ثلاثة : الارض متغير ثابت ، والسكان في نظرهـم متغير غير ثابت ، والذي يحسم العلاقة بين المتغير الثابت وغير الثابت هو القـدرة السياسية . ومن هنا التحرك الذي قام ، اداة سياسية قادرة على تحديد العلاقة بين المستوطنين وبين الارض . من هنا طبيعة الاستيطان الصهيوني الذي هو في اساسـه استيطان استعماري اجلائي ، اي قطع العلاقة بين السكان الاصليين والارض ، لتقوم عليها علاقة جديدة بين المستوطنين الحديثين والارض المعنية . ومقابل الاستيطـان اليهودي هناك نضال الشعب الفلسطيني من اجل العلاقة بالارض ، وهو ينقسم فـي رأيي الى شقين ، هناك نضال المشردين ، المبعدين من اجل العودة للارتباط بالارض والانتماء اليها وهو نضال الثورة الفلسطينية ، واهم شعاراتها العودة . والشكـل الاخر هو نضال الباقين تحت الاحتلال من اجل المحافظة على العلاقة مع الارض ، ليس كوسيلة انتاج فحسب ، وانما كوطن ايضا . بالمقابل اتجه الكيان الصهيوني لاستعمال كافة السبل للقضاء على هذه العلاقة سواء بالاغراءات المادية ، من شراء اراض ومـا الى ذلك ، او بتطوير العمالة ، اي التشغيل المأجور وبسن القوانين والمصادرة وما الى ذلك من وسائل القمع . فعملية تغيير العلاقة بين السكان الباقين والارض هي عمليـة اقتلاع جذور ، وعلى هذا الاساس يجب ان نرى الانتفاضة . انهم يحاولون منع اقتلاع جذورهم من الارض . اما الحجج الواهية التي نسمعها من الاعلام الصهيوني عن تنمية، تطوير ، الفوائد المادية التي تعود للعرب ، فكله كلام غير صحيح . المسار الصحيح بالنسبة لعرب الداخل هو استعمار كولونيالي ، بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، كما فسرها فرانز فانون والبير ميمي في تقييمهم لهذه العلاقة . ففي كثير من الاحيان انقلب العرب الباقون تحت الاحتلال منذ ١٩٤٨ الى مرابعين على الارض التي كانوا يملكونها وهذا هـو احد التناقضـات البارزة في مـا يسمى بالاشتراكية الصهيونية الاسرائيلية . فهم يأخذون الارض من السكان الاصليين ، ومن ثم يشغلونهم عليهـا كمرابعين لاستغلالهم هم وارضهم . اذن الفرق بين الذين طردوا والذين بقوا ، هو ان الذين طردوا انقطعت علاقتهم بالارض تماما والذين بقوا تغيرت علاقتهم بها ، بحيـث

اصبحوا مرابعين على الارض لصالح المستوطنين الصهاينة . من هنا نفهم انخفاض نسبة الفلاحين المستقلين من ١٩٤٨ الى ١٩٧٦ ؛ من ٧٥٪ الى حوالي ١٥٪ ،وارتفاع نسبة العمال المأجورين الذين كانوا فلاحين سابقا ، وكذلك ارتفاع نسبة الفلاحين الموسميين . هذا الانتقال لم يحصل بدون نضال ، ولكن هذا النضال مر باشكال ودرجات مختلفة . في البداية ، الفكرة التي كانت قاءمة عن المستوطنين ، ظل بقايا منها بين الناس الذين ظلوا في ١٩٤٨ ، فلم يأخذوهم بجدية كافية . ولذلك ففي بداية عام ١٩٤٩ كان هناك نوع من التحدي ، وانا اذكر تماما فلاحي بلدنا الذين خرجوا ليفلحوا الارض بالقوة وقد قوبل هذا التحدي بالقمع حيث اعتقل هؤلاء الناس . ثم في بداية الخمسينات كانت اسرائيل في ذهن الناس ظاهرة عابرة سوف تزول لا محالة . فلجأ الناس الى محاولات في اطار « الشرعية » وقوبلت هذه المحاولات بالاحكام العسكرية واغلاق المناطق وما الى ذلك . في اواخر الخمسينات بدأت ملاحظة ان الاحتلال ليس عابرا بهذه الصورة ولذلك يمكن التعامل معه من خلال قوانينه . ففي اواخر الخمسينات واوائل الستينات كان هناك حملة واسعة من المحاكمات من اجل الاراضي . ذهبوا الى المحاكم الاسرائيلية من اجل التقاضي مع الحكم الاسرائيلي على الارض . وقوبلت هذه باصدار قوانين خاصة تجيز الاستيلاء على الاراضي ، مثل قوانين التطوير وما الى ذلك . في الستينات كانت صورة اسرائيل في انتفاخ هائل بالنسبة لحجمها الحقيقي ولحجمها في موازين القوى في المنطقة وخاصة بعد عام ١٩٦٧ . وبالرغم من كل ذلك فقد تعود الناس على الحكم الاسرائيلي ، حيث عرفوه في نقاط قوته ونقاط ضعفه فكان هناك لجوء الى عمليات يمكن تسميتها بنصف شرعية مثل المظاهرات ، كما حصل عند بناء مدينة الرميل (؟) على ارض مشتركة لقرى الجليل الاسفل على طريق عكا صفد ، وعلى طريق الرامة الناصرة . المجموعة التي قامت بالثورة في هذه المرة هي نفسها ، الى ان انتهت بالفعل بالمرحلة الاخيرة منها في يوم الارض ، التصدي العنيف . وفي هذا التصدي العنيف يمكن ان نرى اللقاء بين عرب الجليل وبين الثورة الفلسطينية ،التصدي للمستوطنين بشكل عنيف . ما هو السياق التاريخي لهذا التصدي العنيف ؟ بالامكان بالفعل ربط اشكال التصدي لمحاولات الاستيلاء على الاراضي بالصورة التي برزت فيها اسرائيل في موازين القوى في المنطقة . كلما برزت اسرائيل قوية اكثر كلما كان هناك قبول للتعامل معها من خلال شرعيتها في نظامها . فالمراحل كانت ، ١ — مرحلة المفاجأة بعد الاحتلال ، اسرائيل قامت فالناس فوجئوا ، ٢ — مرحلة جس النبض في بداية الخمسينات لمعرفة ما هي قوة هذا الكيان ، ٣ — مرحلة التحدي عندما فرض الحكم العسكري بكل قوته ، ٤ — مرحلة التراجع الى الاطار القانوني بعد بداية ترسخ فكرة ان الدولة قائمة ، ٥ — مرحلة قمة التراجع بالفعل في اوائل الستينات وفي حرب حزيران مع النصر الاسرائيلي على القوى العربية الطليعية . بعد هذه كان اللجوء الى المظاهرات في ايام كفر برعم بتعاون مع اطراف اسرائيلية ، كأنك دخلت في عملية اسرائيلية داخلية ، وليست عملية تناقض بين كتلتين بشريتين ، ليست بينهما اية علاقة . لكن التصدي العنيف لم يحصل الا بعد ٦ تشرين ولا يمكن بالفعل تصور المظاهرات بالضفة الغربية ولا في الجليل بدون حرب تشرين .

ذكرت في السابق انه قبل حرب تشرين كان هناك صورة مقلوبة لموازين القوى في المنطقة : هناك انتفاخ هائل لحجم اسرائيل ومقابله تقلص هائل لحجم الشعب الفلسطيني ، الذي هو نقيض اسرائيل . من هنا اتت النظرة الى الثورة الفلسطينية كشيء رومنطيقي لا تستطيع ان تفعل شيئا لاسرائيل التي طمنت كل هذه القوى . هذه الصورة انقلبت بعد حرب تشرين . فكل ما حصل من تحجيم لاسرائيل بعد حرب تشرين انصب في كفة الشعب الفلسطيني ، والثورة

الفلسطينية ممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية . ومن هنا المكاسب التي انجزتها منظمة التحرير والثورة الفلسطينية في سنة ١٩٧٤ وسنة ١٩٧٥ دون ان تشارك مشاركة بنفس الحجم في حرب ١٩٧٣ . قرارات الرباط شجعت انتفاضات الضفة الغربية ، كما ذكر الاخ حمزه ، بروز منظمة التحرير شجع المناطق المحتلة على التصدي بعنف وتحدي سلطات الاحتلال والا كيف نفسر الفرص التي كانت متاحة لهؤلاء العرب دون ان يستغلوها في حرب ١٩٥٦ وفي حرب ٦٧ وفي حرب ٧٣ بالذات . بروز منظمة التحرير في تقديري اثار مسألة تهويد الجليل بصورة اكثر جدية خاصة بعد النصر الذي احرزته المنظمة في لبنان . كان يفترض ان تقزم منظمة التحرير ، ان تحجم ، وربما تصفى في لبنان ، ولكنها خرجت منتصرة ، خرجت من المعركة بحجم اكبر مما دخلتها . هذا بالاضافة الى الانتصارات والانجازات على الصعيد السياسي خارجيا وبزيادة قوتها شعبيا وعربيا ، اثار مشكلة امكانية انقلاب لبنان الى دولة مواجهة ، ووجود الثورة الفلسطينية في جنوب لبنان يهدد الوجود الصهيوني في الجليل الذي لا يزال اكثرية عربية (٦٠٪ من سكانه عرب) وبالتالي اصبحت مسألة تهويد الجليل مسألة جدية اكثر وملحة اكثر . وطبعا كان رد الفعل على محاولات تهويد الجليل هو انتفاضة عرب الجليل التي وضعتهم على الخارطة السياسية ، اولا الفلسطينية وثانيا العربية وثالثا الدولية . هؤلاء الضالون المنسيون لم يعد بالامكان تناسيهم ولا بد من ان تنعكس انتفاضتهم على تركيبة الثورة الفلسطينية وعلى اهدافها ومسارها في المستقبل . ماذا سيحدث ؟ لا اعلم ، لدي تطلعات ولكنني لا اعلم ماذا سيحدث . لكن من المؤكد ان تفاعلهم مع الثورة الفلسطينية سيزداد ، ونتيجة لذلك ستزداد الفجوة والشرخ بينهم وبين سلطات الاحتلال ، مما سيفرض عليهم تبعات معينة ، كما سينعكس ذلك على الثورة الفلسطينية بالذات في المستقبل . وفي تقديري ان الانتفاضة في الجليل كشفت تقصيرا من جانب الثورة الفلسطينية بالنسبة لعرب الجليل . فقد قاتل الناس ثلاثة ايام بالحجارة والعصي بدون اية قطعة سلاح . فنأمل ان يصار الى تفادي هذا النقص.

هناك بعض البوادر قد تكون بالفعل مقلقة وانا اقولها بحذر شديد وارجو ان لا تفسر على غير ما هو مقصود منها . انا اقلق اولا من محاولات الكسب السياسي الحزبي من الانتفاضة . هذا قد يخلق فجوة ينفذ منها العدو الى تفتيت الصف العربي في الجليل . وارجو ان تبقى الانتفاضة بصورة جبهة عريضة ، في طبيعتها هي صدام بين انتماء الشعب الفلسطيني وعلاقته بالارض وبين انتماء الى الكيان الصهيوني ومحاولاته لاقتلاع هذه العلاقة ، وليس صراعا سياسيا في اطار الكيان الصهيوني كما هو موجود ، من هنا اخشى ان يتميع هذا الصدام القومي ويتحول الى مسألة داخلية في اسرائيل . قلقي ناتج من انه في صبيحة الانتفاضة طرحت المشكلة في الكنيست الاسرائيلي كمشروع لنزع الثقة من الحكومة وبذلك نقل الصراع من مواجهة مع الكيان ككل الى مواجهة مع حزب في الحكومة او قسم منها . قد يقال انه لا بد من الاعلام حول القضية ، فاذا كان لا بد من الاعلام يجب ان تطرح القضية في الامم المتحدة . نحن الان في الامم المتحدة ، الشعب الفلسطيني وممثله الشرعي ، منظمة التحرير ، موجودة في الامم المتحدة ، اذن لتطرح القضية في الامم المتحدة كصراع بين الفلسطينيين عامة وبين الكيان الصهيوني عامة وليس كشيء داخلي في اطار الكيان الصهيوني . انني اتوقع تصاعد الصدام وازدياد التحدي . فالكيان الصهيوني استيطاني بطبيعته وبمواقفه واطره الفكرية والنفسية ، ولا يستطيع التراجع . اي كيان استيطاني يبدأ بالتراجع تكون هذه بداية النهاية بالنسبة له ، لذلك اتوقع ان تقوم السلطات الاسرائيلية في القريب العاجل باغلاق هذه المناطق والبدء باقامة المنشآت عليها ، وهذا بالطبع سيصعد الصدام مع السكان وبالتالي لا بد من

التفكير كيف نستطيع ان نساعد هؤلاء الناس في صدام مع قوة تفوقهم عددا وعدة . بالنسبة للتفاصيل ، مع بداية التفكير بتهويد الجليل والاستيلاء على الاراضي ، أقيمت لجنة شعبية فيها مخاتير ورؤساء مجالس محلية واشخاص تقليديون ولكنهم مرتبطين بالارض ، واقيمت لجنة الارض وحددت يوم ٣٠ اذار يوم الانتفاضة . يبدو ان السلطات الاسرائيلية كانت مستعدة للمظاهرات ، ولكن ليس على مستوى الصدام . وكما ذكرت كانت مفاجأة للجميع ان يكون الناس مستعدين للجوء للعنف ، لكن السلطات الاسرائيلية لم تكن هناك لتنظيم صفوف المتظاهرين فقد كانت هناك ايضا لمجابهة التحدي فأفلت زمام الامور وبدأت حركة عفوية تنم عما يختلج في صدور هؤلاء الناس من نقمة على الاحتلال ، فحدث ما حدث ، هناك قتلى عددهم بين ٦ــ٩ وكان هناك جرحى ، حوالي ٣١ . وكذلك سقط في طرف العدو حوالي ٣٧ جريحا وكل ذلك تم بواسطة الاسلحة المتوفرة في منطقة المظاهرة من حجارة وعيدان وما شابه ذلك .

ان العامل المحرك الوحيد في العالم العربي اليوم بعد ان تمت التسوية ، هو الثورة الفلسطينية والقوى المتحالفة معها والمرتبطة بها فمن يتحرك سياسيا في المنطقة لا يحتاج الى محاولات اقناع لمشاهدة الرابطة بين انجازات الثورة الفلسطينية في خارج الارض المحتلة وبين ما يحدث في الداخل .

الفلاحون العرب جددوا مقاومة الثلاثينات ضد الاستيطان

عربي عواد :

ان التفجر الذي حدث في الارض الفلسطينية المحتلة اتسم بصفة الشمول لانه لم يقتصر على الضفة الغربية او قطاع غزة انما امتد الى الجليل والمثلث . هذه ظاهرة بارزة تقع لاول مرة في تاريخ النضال الفلسطيني . كذلك هذه الثورة الجماهيرية اتصفت بطول المدة لانها عملية بدأت في شهر تشرين أول واستمرت حتى ايامنا هذه . هذه كذلك قضية تحدث لاول مرة ، لانه فعلا حدثت انتفاضات في الماضي ، منذ الاحتلال بعد ١٩٦٧ ولكنها لم تكن تمتد مثل هذه الفترة الطويلة . وكذلك مشاركة فئات وجماهير متعددة فيها بحيث انها كانت حركة الشعب باسره في كل المواقع ساهمت فيها كل الطبقات الاجتماعية . ويلفت النظر انه على الرغم من ان الطلاب هم رأس الحربة الا ان عدة قوى برزت في الميدان لاول مرة مثل الفلاحين . وهذا ما حدث في سبصطيه عندما قدم المستوطنون باعداد كبيرة ، خرج للاقاتهم ومجابهتهم قرى باكملها ، سبصطيه والقرى المحيطة بها . خرج كل الفلاحين بالعصي والحجارة والفؤوس وهاجموا المستوطنين واشتبكوا معهم وطردوهم . وقد اعاد ذلك للاذهان اشتباكات الفلاحين الفلسطينيين مع المستوطنين الصهاينة في الثلاثينات ، عندما حدث الاستيلاء على الارض الفلسطينية في مرج ابن عامر ، وهذه كانت مقدمة لحركة عز الدين القسام ثم الثورة الفلسطينية الكبرى سنة ١٩٣٦ . وقد برز ايضا دور المرأة بشكل واضح جدا وصدامي ، فقد سقطت شهيدات مثلما جرى في نابلس مثلا حيث سقطت الشهيدة تمام اسيتية . وكذلك اتسمت هذه الثورة بالاقدام والجراة المتناهية حيث كانت الجماهير تهتف ضد سلطات الاحتلال وتضربهم بقصد القتل فعلا . وبالتالي وقع عدد من القتلى والجرحى . هذا حدث في الضفة الغربية وكذلك في الجليل . وهذا بالطبع كان بمثابة مفاجأة للاحتلال ، فلم تكن سلطات الاحتلال تهاجم بمثل هذا العنف والاستبسال وعدم الخوف . وبالمقابل كان الرد كذلك في منتهى الشراسة لم يحدث في الماضي على مثل هذا النطاق في مواجهة انتفاضات جماهيرية . مثلا الانتفاضات التي

حدثت عام ١٩٧٤ وعام ١٩٧٣ كانت تقابل باعمال قمعية لكنها لم تبلغ مثل هذه الوحشية حيث كان المحتلون يهاجمون الجماهير ويضربونهم بهدف القتل وهذا ادى الى استشهاد عدد من المناضلين في الضفة الغربية وقطاع غزة .

هناك سؤال مطروح لا بد من الاجابة عنه ما هو السبب من وراء مثل هذه الثورة الجماهيرية ؟ العامل الرئيسي هو النهوض الوطني الذي اجتاح الارض المحتلة بعد حرب تشرين وازدياد مكانة ونفوذ منظمة التحرير بعد ان طرحت برنامجها الذي اقره المجلس الوطني الثاني عشر والذي تعتبر القضية الرئيسية فيه قضية اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على الارض التي يندحر عنها الاحتلال ، والتأييد العربي والعالمي المتعاظم لمنظمة التحرير . وهذا يظهر فعلا من ان كل حدث كان يؤدي الى دفعة لهذا النهوض . مثلا مؤتمر الجزائر ، بالتحديد بعد حرب تشرين ، اعقبه حركة في الارض المحتلة عبر عنها بمجموعة البيانات والتحركات التي ايدت مقررات مؤتمر الجزائر وخصوصا اعتبار منظمة التحرير الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني . وكذلك مؤتمر الرباط تحدثت عنه الصحافة الاسرائيلية فقالت انه فتح جبهة جديدة للاحتلال في الارض المحتلة . وهذا ما حدث بالفعل لانه (مع دورة الجمعية العامة) ادى الى انتفاضة عام ١٩٧٤ . وبالطبع كان افق هذا النهوض اتساع عمليات المقاومة المسلحة وشمولها مختلف الارض الفلسطينية ، ثم تنامي واتساع النضالات الجماهيرية والسياسية في هذه الفترة . هذا السبب تظهر قوته بدليل ان القوى المعادية ممثلة في التحالف الاستعماري الصهيوني الرجعي حاولت ان تستغل الوضع السلبي في المنطقة العربية ، خصوصا بعد اتفاقية سيناء ، فقامت بهجوم للالتفاف على انجازات منظمة التحرير في محاولة لارجاع تيار النهوض والاثبات بان الاحتلال ثابت وباق . هذا الهجوم تمثل في طرح مشروع الادارة المحلية كبديل لمنظمة التحرير ، وفي تكثيف العمليات الاستيطانية ، ثم التطاول على المقدسات بالسماح لليهود بالصلاة في المسجد الاقصى . هذا الهجوم كان نتيجته انه زاد عملية النهوض تفجرا والتهابا ، فكانت النتيجة عكسية بدليل انه بعد اتفاقية سيناء ، حدث احتجاج . ثم مشروع الادارة المدنية ، الذي هبت في وجهه الانتفاضة التي اخذت في التصاعد والاستمرار مع تصاعد مظاهر او عمليات الهجوم الاحتلالي والاستيطاني والاعتداء على المقدسات . هذا يبين ويؤكد عمق النهوض الوطني الموجود في الارض المحتلة وقوته بحيث انه يستطيع ان يتجاوز سلبيات الموقف العربي بوجه عام . هذه الثورة الجماهيرية العارمة هي كالبريق في سماء الوطن العربي المليد بغيوم الاستسلام والتخاذل والسير في ركاب الاستعمار ، وكذلك الانشغال في الانقسامات والمعارك الجانبية .

هناك قضية اخرى هامة في هذه الانتفاضة التي جرت سواء كانت في قطاع غزة والضفة الغربية او في الجليل والمثلث ، وهي انها لم تكن عفوية . صحيح انه كانت هناك عوامل موضوعية كما ذكرنا لكنها جرت من خلال عمل منظم قامت به التنظيمات الوطنية المتواجدة على الارض الفلسطينية ، والتي لعبت دورا بارزا في الضفة الغربية في تحريك الانتفاضة ودفعها وتوجيهها ، مثلا المنظمات الجماهيرية الموجودة هناك ، كنقابات العمال ، والنقابات المهنية ، والهيئات النسائية وهيئات دينية ، كذلك تنظيمات اخرى سرية ، مثل اتحاد المرأة الفلسطينية ، اتحاد الطلبة وكذلك الجبهة الوطنية الفلسطينية لعبت دورا هاما باعتبارها اطارا يحوي القوى المناهضة للاحتلال . ومن هنا فانه ليس صدفة رد سلطات الاحتلال بابعاد اثنين من قادة الجبهة الوطنية الفلسطينية (الدكتوران حمزه والحاج احمد) وتحميلهم مسؤولية التحريض على التظاهر والمقاومة ضد الاحتلال . ومما ينفي صفة العفوية فعلا ، التوجيه والوعي

الذي كان يصبغ الانتفاضة . الانتفاضة لم تكن مجرد غضبة ضد الاحتلال ، واستنكار للاعتداء على المقدسات . صحيح انها طرحت هذه القضايا ، ولكنها فوق ذلك كله كان هناك شعار رئيسي للانتفاضات هو الالتفاف حول منظمة التحرير والتأكيد انها هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، ثم التأكيد كذلك على برنامجها المتمثل باقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، كذلك التنديد بالامبريالية الاميركية والفيتو الاميركي. وهناك شيء يلفت النظر في الواقع وهو انه بعد الفيتو الاميركي مباشرة في مجلس الامن اندلعت في اليوم التالي المظاهرات العنيفة في الضفة الغربية من اولها الى آخرها . ويلفت النظر كذلك انها البقعة الوحيدة في الوطن العربي من المحيط الى الخليج التي تفجرت فيها هذه القضية الجماهيرية ضد الامبريالية الاميركية . هذه قضية في غاية الاهمية وتبين مدى الوعي الذي كان يوجه ويسود الانتفاضة في الارض المحتلة .

كذلك ، فان الانتفاضة في الجليل والمثلث فاجأت الجميع فعلا ، ولكنها لم تأت بشكل عفوي ، بل كان لها تمهيد هناك . التمهيد جاء من خلال مجموعة احداث ونضالات . اولا انعقد مؤتمر قطري للدفاع عن الارض في الناصرة ، وشاركت فيه قوى متعددة يجمعها هدف الدفاع عن الارض العربية في وجه مخططات التهويد الصهيونية . كذلك نتيجة انتخابات بلدية الناصرة ، التي فعلا ولاول مرة منذ ٢٨ عاما تنجح فيها قائمة معادية للصهيونية ، ليس لها فقط اهداف محلية ، انية ومعاشية وانما لها ايضا موقف سياسي واضح بالنسبة لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، اي تأييد واضح لبرنامج منظمة التحرير . وهذه مسألة في غاية الاهمية في الواقع . ثم كذلك حركة الطلاب العرب في الجامعات الاسرائيلية واحتجاجاتهم ورفضهم للمشاركة في الحراسة ضد الفدائيين الفلسطينيين . لقد شاركت قوى متعددة في الانتفاضة ولكن هناك حقيقة موضوعية ، هي ان هناك قوة اساسية متمثلة بالحزب الشيوعي الاسرائيلي « راكح » الذي كان النواة لقائمة الجبهة الديمقراطية في الناصرة ، ورئيسها الشاعر توفيق زياد، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسرائيلي « راكح » واحد ممثليه في الكنيست. ثم وكذلك الامر بالنسبة لمؤتمر الارض ، فالقوة الاساسية في الدعوة له كانت « راكح » وحركة الطلبة العرب . هذه الحركة ليست حركة حزبية ضيقة . هي حركة للجماهير العربية كلها ومما يؤكد ذلك شمول هذه المظاهر التي تحدثنا عنها . فهي حركة قومية طابعها تحرك قومي ضد الحكم والنظام العنصري الصهيوني المتواجد في المنطقة . وهذا يفسر بالطبع الحملة الشرسة التي تشن الان على الحزب الشيوعي الاسرائيلي والمطالبة بحله وضربه وحملة الاعتقالات الواسعة ضده . كل ذلك تتوج في يوم الارض . ويوم الارض له اهمية كبرى لانه عبر للمرة الاولى عن وحدة النضال الفلسطيني في كل المواقع . ولان هذا اليوم انطلق من الجليل والمثلث ، وهذه قضية في غاية الاهمية . وتجاوب مع هذه الحركة النضالية كل الجماهير الفلسطينية في كافة مواقعها النضالية، سواء في داخل الارض المحتلة او خارجها وهذا يبين وحدة النضال الفلسطيني . وللمرة الاولى تلتقي روافد النضال الفلسطيني لتصب في هذا النهر العريض الذي يضم كل القوى الوطنية الفلسطينية في مختلف مواقعها ، على تباين اتجاهاتها وتنظيماتها الايديولوجية . وليس صدفة ان صور الشاعر توفيق زياد اصبحت تملي كل ادبيات الثورة الفلسطينية ، فهذه احدى مزايا يوم الارض التي يجب ان تقيم حق قدرها . وبهذه المناسبة لا بد من الاشارة الى دور القوى التقدمية اليهودية في يوم الارض ، لان ذلك المؤتمر القطري الذي ذكرناه ساهمت فيه مجموعة من القوى التقدمية اليهودية. صحيح ان الحركة الصهيونية لها نفوذ واسع في اوساط اليهود في فلسطين ، لكن وجود مثل هذه القوى مسألة لها قيمتها لانها تفضح الصهيونية وتظهر كذب ادعائها بانها ممثل لليهود ، وكتبت ان هناك تمييزا بين اليهود والحركة الصهيونية .

نتائج الانتفاضة في غاية الاهمية ولا بد من ابرازها وسوف اتحدث عنها بايجاز كبير جدا . ان ما جرى لم يكن مجرد انتفاضات وصدامات ، ولكن بالعكس فقد كان لهـا نتائج في غاية الاهمية . فهي اولا دفنت المؤامرات المعادية لضرب منظمة التحرير وحقها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني . دفنت مشروع الادارة المدنية . ثم هي كذلك وجهت ضربة قاسمة لادعاءات ومحاولات النظام في الاردن للبروز كممثل للشعب الفلسطيني. ثم هي ايضا اكدت امام العالم كله حقيقة ان اساس الصراع في المنطقة ليس خلافا بين اسرائيل والدول العربية على الحدود ، انما اساسه قضية الشعب العربي الفلسطيني كشعب يعاني من الاحتلال الذي فرضه عليه نظام عنصري توسعي . ولذلك فان حل هذا الصراع يكون بتمتع وظفر هذا الشعب مثل بقية شعوب العالم الاخرى بحقـــه بالاستقلال وحق تقرير المصير . ثم هي ضربت كل ادعاءات الصهيونية التي كانـت تصور الشعب الفلسطيني كمجموعة من الارهابيين . بالعكس فان الاعمال الوحشية الدموية التي ارتكبها المحتلون وصمتهم هم بالارهاب امام العالم كله . وهذا ما ظهر امام دورة مجلس الامن التي انعقدت لشجب الاجراءات الوحشية التي مارستها سلطـات الاحتلال ضد جماهيرنا في الارض المحتلة . هذا بالاضافة الى ان هذه الثورة كانت دفعة هائلة للنضال الفلسطيني وكذلك كانت محركا لحركة التحرر العربي والشعوب العربية فاستنهض همتها ان هذا الشعب الموجود وتحت الاحتلال هـذه السنوات الطويلـة ، والذي انتفض كله صغيرا وكبيرا ، امرأة او رجلا رغم كل اساليب القمع والارهاب ، يستحق من الشعوب العربية ان تقف الى جانبه ولا تتركه وحيدا . وخصوصا انه لا يدافع عن نفسه فقط بل يدافع عن الارض العربية كلها وعن المقدسات العربية كلها. كذلك كان للانتفاضة نتيجة هامة في التأثير على المجتمع اليهودي في داخل فلسطين ،لان الصهيونية استغلت حرب حزيران والانتصار الكبير الرخيص الذي احرزته ، لتغذي نزعات التوسع والعنعنات الشوفينية عند اليهود ولتظهر ان هذه الارض غنية ، وهي ارض الاباء والاجداد ، وهذا انعكس على تصرفات اليهود الذين اقاموا الرقصات في هذه الارض ، لكن جاءت الانتفاضة بعد هذه المدة الطويلة وبعد كل النضالات التـي خاضها الشعب الفلسطيني لتؤكد حقيقة اخرى لليهود وهي ان هذه الارض ليسـت ارضا بلا شعب كما صورتها الصهيونية بل هي رض لها شعب مستعد ان يقاوم بضراوة من اجل الدفاع عنها ، وبالتالي فان بقاء الاحتلال يكلفهم ثمنا باهظا . يكفي انهم كانوا في البداية يأتون للنزهة ولاخذ الصور التذكاريـة في المنارة في رام الله او في المسجد الاقصى او في نابلس اما الان فحتى الجنود الاسرائيليون وهم في السيارات ومدججون بالاسلحة ، تداهمهم وتلاحقهم الضربات . وهذا بالطبع يخلق حالة من التوتر النفسي وعدم الشعور بالامن ، ومن ناحية اخرى يؤدي الى التدهور الاقتصادي الذي جـرى الحديث عنه وهذا يكلفهم ثمنا باهظـا ،بالاضافة الى فضح امر اسرائيل امام العالم ككيان ونظام عنصري في الوقت الذي كانوا والى حد كبير يطرحونها كبلد ديمقراطي في وسط صحراء مقفرة من الاستبداد والتأخر والظلم في البلاد العربية . وهذا من شأنه ان يزيد في التيار الذي اصبح يشعر بانه مضطر للاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وفي السيادة في الوقت الذي ينفـي فيه الصهاينـة وجود الشعـب الفلسطيني . وهذا ما يفسر ان هذه الحركة لم تعد تقتصر على القوى الديمقراطية ، فحتى الاوساط الصهيونية اصبحت تشعر بان هذه الحقيقـة تفرض نفسها ولا يجوز تجاوزها .

كانت الدعوة الى الاضراب ، فتجاوزتها جماهير الجليل الى العنف

الدكتور عبد العزيز الحاج احمد :

لقد غطى الاخوة الذين سبقوني كل الاشياء تقريبا لكن يهمني ان اركز على نقطتين من الظواهر . النقطة الاولى هي اشكال النضال السياسي التي مارستها جماهيرنا في الارض المحتلة والتصعيد ، واتجاه هذه الاشكال نحو العنف الذي كان واضحا جدا في الانتفاضة في الضفة الغربية وفي الجليل وفي غزة . في الانتفاضات التي سبقت ، كانت اشكال النضال الجماهيري تتجه نحو الاعتصامات الطلابية في المدارس والاعتصامات النسائية والاعتصامات الجماهيرية في المساجد . اما في هذه الانتفاضة فقد اتجهت اشكال النضال نحو المواجهة والتصدي المباشر لجنود الاحتلال الصهيوني . وقد كان ذلك واضحا في المظاهرات العنيفة التي كانت تمتد في كل انحاء الارض المحتلة ، من هجوم على جنود الاحتلال واقامة الحواجز واشعال اطارات السيارات وحصر مصفحات الجنود بين الحواجز والهجوم عليها ، وضرب سيارات الحكام العسكريين انفسهم بعد حصرها بالحواجز وتكسيرها . واكثر من ذلك فقد استخدمت المولوتوف في الجليل ، وانتزعت اسلحة الجنود الاسرائيليين وضربوا بها كما حصل في مخيم لمعي في البيرة . هذا يؤكد ان جماهيرنا تتجه باستمرار نحو التصدي العنيف ادراكا منها بانه لابد من البحث عن وسائل جديدة باستمرار واشكال متقدمة في النضال . صحيح انه كانت هناك عمليات عسكرية اثناء الانتفاضة وقبلها ، لكن لا بد ان تقوم منظمة التحرير الفلسطينية وفصائل المقاومة بتقديم وسائل بكمية اكبر وباشكال جديدة للجماهير والقوى المنظمة في الداخل حتى يستمر التصعيد في اشكال النضال . وفي تقديري ايضا فان امتداد الانتفاضة طوال هذه الفترة الزمنية في الضفة الغربية كان حافزا كبيرا للفلسطينيين في الجليل ، رغم ان لجنة الدفاع عن الارض دعت الى الاضراب فقط في يوم الارض . هذا يؤكد ان كل فرد من شعبنا يحاول القيام بدور اكبر مما قام به من سبقه . الظاهرة الثانية التي اود التحدث عنها هي التلاحم النضالي الذي ظهر من خلال مشاركة كافة التنظيمات الجماهيرية في الارض المحتلة : الحركة الطلابية ، قطاع المرأة ، النقابات المهنية والعمالية وفي نفس الوقت جميع التنظيمات والاحزاب المتواجدة في الارض المحتلة . كما ان هذه الظاهرة تؤكد قدرة قيادة الجبهة الوطنية في الارض المحتلة على توجيه الحركة الجماهيرية . وقد كان ذلك واضحا في الشعارات التي طرحت وكيف استغلت الشعارات . بدأت الشعارات بتأييد المنظمة وهذا كان يتم باستمرار ورفض الاحتلال ومقاومته، ثم بدأت الشعارات تطرح قضية محددة وهي قضية الاستطيان في سبيطيه اخلاء المستوطنين من كفرقدوم . وبعد انعقاد مجلس الامن تحركت الجماهير للتصدي للامبريالية الممثلة بالفيتو . وقد استغلت الحركة الوطنية وقيادتها بالذات الفيتو وربطت شعاراتها ، الفيتو ، رفض الاستيطان ، ومن ثم المقدسات . وتحركت الجبهة الوطنية لتوحيد الموقف ولتوحيد الشعارات فجاءت استقالة البلديات مسببة باسباب مباشرة وهي رفض الاستيطان واخلاء المستوطنين من كفرقدوم ورفض انتهاك حرمة المقدسات، لا للفيتو الامريكي ، واضيف اليها لا للرجعية . وقد حددت البلديات المستقيلة مطالب معينة لاننا ، كما ذكر الدكتور شوفاني ، لا نتوقع ان يلجأ الكيان الصهيوني الى التراجع، وادراكا من قيادة الجبهة الوطنية لذلك ربطت النضال بشعارات محددة يمكن ان تؤدي الى اجبار الكيان الصهيوني على التراجع . واذا تصعد النضال وتراجع الكيان الصهيوني في نقطة واحدة (ولو على سبيل المثال اخلاء كفرقدوم) فستكون هذه بداية سلسلة من التراجعات . يهمني ايضا ان اؤكد على التلاحم والوحدة الوطنية للمناضلين في الارض المحتلة ، تكريس قيادة منظمة التحرير، تأييد المنظمة واعتبارها الممثل الشرعي

الوحيد للشعب العربي الفلسطيني اينما كان . وجاءت انتفاضة الفلسطينيين في الجليل لتؤكد انه هناك عربا في الجليل ، يجب أن يحسب حسابهم وهذه النقطة بالذات غسي غاية الاهمية لانه لا يمكن تجاوز حق الفلسطينيين في الجليل في تقرير مصيرهم ، ويجب ان تؤخذ هذه النقطة بعين الاعتبار في حال طرح اي حلول سياسية . كذلك فـــان الانتفاضة في الارض المحتلة في يوم الارض والمشاركـــة خارج الارض المحتلة وفي كل البلاد العربية ، تؤكد البعد القومي لحركة جماهيرنا في الارض المحتلـــة . لقد جاءت الانتفاضة ردا على اتفاقية سيناء ، وردا على محاولات الالتفاف حول منظمة التحرير، وردا على الطائفية والانعزالية في لبنان ، واكثر من ذلك تأكد البعد العالمي في رفضهـــا للامبريالية وكان ذلك ممثلا في رفض الفيتو كما ذكر الاخ عربي .

عبد الجواد صالح :

ساتطرق الى بعض الزوايا التي لم يتطرق اليها الاخوة او لم يفسروها بالشكـــل الكامل . بالنسبة لحرب تشرين ، فانها كانت نقطة تحول في نضال الفلسطينيين داخـــل الارض المحتلة . كان هناك نتيجة ايجابية بشعور المواطن العربي داخل الارض المحتلة بامكانية نهاية وانهيار الكيان الصهيوني في المدى البعيد ، كما تأكدت في المدى القريب امكانية انسحاب اسرائيل من الارض المحتلـــة بدون أن يقدم العرب اي ثمن لهـــذا الانسحاب . ولهذا بالفعل كان التجاوب مع البرنامج المرحلـــي تجاوبا ايجابيا وفعالا وعضويا وزاد من نضالات شعبنا . هناك عامل اخر ساعد بالفعل على وحدة الشعب الفلسطيني عن طريق وحدة النضال الفلسطيني بين عرب ١٩٦٧ وعرب ١٩٤٨ . ففي فترة الاحتلال الطويلة بعد عام ١٩٦٧ قامت نضالات مستمرة لشعبنا وانتفاضـــات مستمرة جعلت المواطن العربـــي في ١٩٤٨ يتساءل السنا جـــزءا من هذا الشعب ؟ وبالتالي اصبح هناك تجاوب ايجابي بين الفئتين ، وحدثت الوحدة النضالية ، وحدة اطراف المثلث ، عرب ١٩٤٨ وعرب ١٩٦٧ والعرب في خارج فلسطين . ضمن اطار الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية . كانت هناك كذلك ظاهرة ايجابية وهي ان الجيل الذي لم يكن يتجاوز عمره سنوات قليلة عندما قام الاحتلال ، والـــذي حاولت سلطات الاحتلال الصهيوني غسل دماغه ، هذا الجيل افشل كـــل مخططات الصهيونية ، وبالفعل بدأ هذا الجيل بقيادة النضال . وهناك ظاهرة في منتهى الروعة في داخل الارض المحتلة ، اود ان اضرب بعض الامثلة عليها . مثلا في الجلازون ، وهو مخيم للاجئين في شمال مدينة البيره اكتشفت السلطات المحتلة تنظيما لاطفال لا يتعدى معدل اعمارهم ١٣ عاما ، قاموا بتنظيم المظاهرات وكتابة الشعارات علـــى الجدران وارسال كتب انذارات الى العملاء واغلاق الطرق . هذه الظاهرة تنتشر في كافة انحاء الاراضي المحتلة وتساهم مساهمة فعالةفي نضالها. تطور النضال الجماهيري ظاهرة مميزة كذلك لهذه الثورة او هذه الانتفاضة الشعبية في اخر فترة ، فمثلا في فترات رفع منع التجول التي لم تتعد ساعة او ساعة ونصف في مدينة البيره وفي حلحول وغيرها، كانت هناك فئة من الشباب تختص في تنظيم عملية تموين المواطنين بالحليب والخبـــز بينما تكرس بقية الجماهير في تسعير المظاهرات . وكما ذكر الاخ عبد العزيز فان النضال تصعد فشمل اختطاف السلاح من الجندي الاسرائيلي وبالتالي استخدامه ضده . في هذه الانتفاضة تجاوزت جماهيرنا الثورة الفلسطينية وكافة الانظمة العربية وهنـــاك مثال على ذلك ، وهو ما حصل في اول يوم من أيام الترشيح ، لم يوجد في معظم المدن الرئيسية اي مرشح ، لا في البيرة ولا نابلس : ولا طولكرم ولا جنين ، في رام الله ظهر مرشح عميل واحد هو جنحو . ولو ارتبط نضال هذه الجماهير بالثورة الفلسطينية ، وبكافة فصائل المقاومة والعمل المسلح ، ولو استطاعوا مثلا ضرب هذا العميل ،فانني

اؤكد لكم ان الانتخابات البلدية كانت حتما ستفشل وهذه وجهة نظر كافة فصائل المقاومة . ولا بد من دراسة هذا التجاوز في نهاية الندوة .

بعض النتائج التي لم يتطرق اليها الاخوان ، ما تم من افشال فكرة التعايش ليس فقط بين سلطات الاحتلال وشعبنا المحتل وانما بين الحركة الصهيونية وهذا الشعب. لقد فشلت بالرغم من كافة الجهود التي بذلت من جانب السلطات الصهيونية ، سواء بتغيير المناهج او باقامة مخيمات الصيف المشتركة ، وبالرغم من كافة وسائل الاعلام من تلفزيون وصحف ومحاولات تشكيل صحافة موالية للاحتلال . رغم كل ذلك فشلت فكرة التعايش بين هذا الكيان الصهيوني وبين العرب تحت الاحتلال . كان هناك ايضا ظاهرة جديرة بالدراسة وهي اشتراك الموظفين ولاول مرة اشتراكا فعالا في هذه الانتفاضة فلاول مرة يتقدم اكثر من ١٥٠٠ موظف بتقديم استقالاتهم للمجالس البلدية تضامنا مع هذه المجالس ، تضامنا مع جماهير شعبنا ، وهذا ما لم يحدث في المرات السابقة وبالطبع فان هؤلاء هم موظفي دوائر الحكم العسكري في نابلس ورام الله والبيره ...

من نتائج هذه الثورة الشعبية غير المسلحة انها مهدت الطريق ، مهدت الارض للانخراط في الكفاح المسلح ، وفي اعتقادي ان الانسان الفلسطيني الذي تجرأ بمهاجمة الدروع الصهيونية قادر الان على حمل السلاح ومجابهتها مجددا . ازالت هذه الثورة الشعبية، الوجه الديمقراطي المسوخ الذي كانتتحاول فيه الحركة الصهيونية البروز امام العالم . وهذا ما اثبته قرار ادانة الصهيونية بانها حركة عنصرية ولم يعد هناك مجال ، وخاصة في الغرب ، ان يحاول الاعلام الصهيوني ان يبشر بهذه الديمقراطية بعد وسائل القمع التي استخدمها ضد شعبنا .

غرب الجليل يريدون معرفة مكانهم في مشروع « السلطة الوطنية »

احمد خليفة :

اعتقد ان المسافة لا تزال طويلة بين النتائج التي ادت اليها الانتفاضة وتاثيرها على تغيير البرامج الاسرائيلية . الانتفاضة كانت شاملة ، شملت اعدادا كبيرة ولهذه الانتفاضة اهمية كبيرة في مدلولاتها ،ولكن ليس في التأثير الفوري العملي الذي يمكن ان تحدثه باتجاه الغاء الاستيطان من الضفة الغربية او باتجاه تشكيل متاعب جديدة ملموسة للاحتلال الاسرائيلي الذي يغطي اراضي ١٩٤٨ و١٩٦٧ . وبعد ان اتضحت صورة الانتفاضة ومداها واهميتها وقيمتها ، يصبح السؤال المركزي والرئيسي الواجب طرحه هو ، كيف يمكن تطوير هذه الانتفاضة ، بل هناك سؤال ادنى مستوى ، كيف يمكن المحافظة على اندفاع واستمرار هذه الانتفاضة ؟

الانتفاضة في الضفة الغربية لاتزال تتخذ اشكال نضالات جماهيرية وسياسية وهي ذات مستوى ارفع من النضالات التي سادت في الضفة الغربية بعد الاحتلال . فقد شهدت الضفة الغربية بعد الاحتلال مباشرة وفي السنة الاولى تقريبا اضرابات مدارس واحتجاجاتواعتصامات ومظاهرات وصدامات معالشرطة الاسرائيليةاحيانا واضرابات تجار ، كانت احيانا شاملة واحيانا جزئية ، لكن انتهت كل هذه النضالات الى التهدئة. اما في غزة فقد اخذت مقاومة الاحتلال اشكالا ارقى كثيرا ، ارتقت الى ثورة جماهيرية مسلحة واحدثت متاعب كبيرة جدا للاحتلال وايضا انتهت هذه الانتفاضة في قطاع غزة بالقمع شبه الكامل لهذه الثورة الجماهيرية المسلحة . انتفاضة الجليل لها مدلولات

هامة جدا ويجب العمل على استمرارها وعلى ان تأخذ اشكالا ارقى .

اعتقد ان الاخوان قد عددوا كل العوامل التي حركت هذه الانتفاضة. حرب تشرين والهزيمة التي الحقت بالعدو الاسرائيلي والهزيمة النسبية ايضا بنهوض الثورة الفلسطينية وازدياد مكانتها الدولية . وقد ذكر الاخ عربي عواد نقطة هامة جدا هي الشعار الذي طرح في المجلس الوطني الفلسطيني باقامة دولة فلسطينية مستقلة (ولا ادري اذا كان هذا الشعار استراتيجيا او تكتيكيا) ثم التأييد العربي والدولي المتزايد للمقاومة الفلسطينية . يبدو ان مجموع هذه العوامل حرك الجماهير في الضفة الغربية للنضال مرة اخرى باعتبار ان هناك هدفا طرح امامهم وهو دولة فلسطينية مستقلة ، وبدا هذا الهدف ملموسا وممكنا في الضفة الغربية وايضا لدى المقاومة الفلسطينية في الخارج على ضوء نتائج حرب تشرين . طرح هذا الشعار ، وكان من الواضح جدا ان هناك ضرورة للاستمرار في الكفاح المسلح من اجل تحقيقه باعتبار اننا نعرف جميعا المعارضة التي تواجهها الدولة الفلسطينية المستقلة من قبل الامبريالية والنظام الهاشمي وبعض الدول العربية الاخرى رغم موافقتها الشكلية على قرارات الرباط . الدولة الفلسطينية المستقلة موضوع ليس من السهل تحديده وقد تجد المقاومة الفلسطينية نفسها مضطرة لتواجه بقوة السلاح كل الهجمة الضارية التي تستهدف تصفيتها . ولذلك فان المقاومة الفلسطينية في الخارج لم تلق السلاح واستمرت في الكفاح المسلح. الوضع في الضفة الغربية ، لظروف ليس هنا مجال الخوض فيها ، لم يمكن جماهير الضفة الغربية من المشاركة بالحجم المطلوب والفعالية المطلوبة في الكفاح المسلح . ولذلك، وبحكم الظروف الموجودة هناك ، كانت الاشكال التي يتخذها نضاله ،الاشكال السياسية المعروفة التي قد تنتهي الى لا شيء ، اذا لم يتحول جزءا من النضال الفلسطيني العام . وهذا النضال الفلسطيني العام اذا لم يظل يشدد على موضوع الكفاح المسلح واستخدامه ونقل الكفاح المسلح ايضا الى الداخل ، فقد يصبح هذا العامل الهام جدا ، وهو شعار الدولة الفلسطينية الملموس ، قد يصبح غير ملموس في حال التخلي عنه . فاذا كنا نريد استمرار هذه الانتفاضة الجماهيرية وتطويرها الى اشكال ارقى من النضال فيجب الاتجاه الى التشديد على موضوع الكفاح المسلح وتوفير الوسائل اللازمة لامكان القيام به .

ثم ان هذا البرنامج المطروح والذي يقود الى طرح هذه النقطة هو انتفاضة عرب الجليل . الدولة الفلسطينية المستقلة رقعتها واضحة ، لا تشمل عرب الجليل في المدى القريب . واذا كان لنا ان نعتبر ان النهوض الفلسطيني العام وطرح الشعار المرحلي جعل عرب الجليل كما ذكر الدكتور شوفاني ، لا يتمسكون بالارض كوسيلة انتاج بل كوطن . وكانت نضالات الجماهير في الضفة الغربية حافزا لهم ايضا للتحرك فاذا كان تمسكهم بالارض كوطن ، فهم يريدون ان يعرفوا اين مكانهم في هذا الوطن حتى يكونوا قادرين على الاستمرار ، ولو تطلب الامر وقتا طويلا ، وحتى يكونوا مستعدين ايضا لتطوير كفاحهم وتحمل القمع القاسي جدا الذي سيوجه ضدهم . انني اوافق الاخ عربي عواد على ان طرح شعار الدولة الفلسطينية المستقلة قد حث الجماهير في الضفة الغربية على النضال ولا اقول انه شعار خاطىء بل كان شعارا صائبا في ذلك الوقت ، وقد يكون لا يزال شعارا صائبا ايضا في هذا الوقت ، ولكن ما تحاول الامبريالية انتزاعه مقابل الدولة الفلسطينية المستقلة هو الاعتراف باسرائيل. الاعتراف باسرائيل يضع عرب الجليل خارجا وله تأثيرات سلبية كثيرة على الثورة الفلسطينية . اذا لم يأت هذا الاعتراف فستتعرض المقاومة الفلسطينية لاستمرار الهجمة الهادفة الى القضاء عليها ، والى نزع السلاح من يدها او تحجيمها بحيث لا

تعود قادرة على استئناف النضال عن طريق الكفاح المسلح واقتصار الجزء الاكبر منه على الوسائل السياسية . والاشكال السياسية في تقديري لن تقود الى شيء .

يجب التنبه للعلاقة الجغرافية ــ السياسية بين الجليل وجنوب لبنان

محمود سويد :

يخيل لمن يطلع على ما دار في الندوة اننا امام نقلة نوعية ازاء الانتفاضة الاخيرة التي شهدتها المناطق المحتلة ، امام نقلة نوعية لنضال الشعب الفلسطيني بعد ١٩٦٧ . في تقديري ، ان الانتفاضة الاخيرة هي حلقة من سلسلة **النضال الفلسطيني في المناطق** المحتلة بعد ١٩٦٧ تتميز بتقدم وتطوير اساليب النضال ، وبتمحيص لاساليب واشكال النضال في المراحل السابقة ، انما لا تشكل نقلة نوعية . النقلة النوعية مرتبطة ، في تقديري ، بشكل اساسي بالقيادة السياسية وبالموقف السياسي . ولا يمكن الكلام عن نقلة نوعية في النضال الفلسطيني في المناطق المحتلة ، دون ان يكون هناك فعلا الموقف السياسي والقيادة السياسية التي تترجم النضالات الى برامج يومية وتنقلها من الحالة العفوية الى الحالة المنظمة ذات الاهداف المتراكمة شيئا فشيئا . ولا بد هنا من ملاحظة ان طاقات الشعب الفلسطيني وقدراته على النضال وعلى التضحية تسبق دائما (ولا تزال) الاشكال التنظيمية للقيادة السياسية لحركة الشعب الفلسطيني ، المتمثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية وفي حركة الشعب الفلسطيني السياسية ، منظمات المقاومة . لا شك ان التجربة الغنية للشعب الفلسطيني خلال ثلاثين او اربعين عاما على الاقل ، وعلى الاقل بعد عام ١٩٦٧ ، لم تترجم حتى الان ببلورة اشكال تنظيمية قادر فعلا على ان تستوعب القدرات الهائلة على العطاء لدى الشعب الفلسطيني وان تعطي لهذه الطاقات الهائلة القدرة على التقدم في نضالها باشكال ارقى . حتى الان لم تستطع الثورة الفلسطينية ان تبلور الموقف السياسي وان تبلور الجبهة المتحدة، اذا لم نقل انها لم تستطع حتى الان ان تعطي الحزب القائد ، لم تبلور حتى الان الجبهة المتحدة التي هي اقل ما يمكن ان يطلب منها، بعد كل هذه التجربة الغنية من النضالات الجبهة المتحدة التي تستطيع ان تبلور القرار والمواقف السياسية والتي تستطيع ان تقود نضالات الجماهير بشكل لا يؤدي في النهاية الى سقوطها في اشكال من خيبات الامل المتراكمة والتي تؤثر في النهاية على مسيرة النضال . نضال جماهير المناطق المحتلة لا يزال ، رغم قيام الجبهة المتحدة بالداخل وعلى الرغم من علاقة منظمات المقاومة باشكال متعددة بهذا النضال في الداخل عبر خلايا قاصرا عن بلورة الحاجات الراهنة في النضال الفلسطيني ، والتي اكرر واشدد على انه لا يمكن بلورتها الا من خلال القرار السياسي الواحد والموقف السياسي والجبهة المتحدة التي تعبر عن الارادة الفلسطينية المستقلة . هذه هي الملاحظة التي اردت ايرادها بالنسبة لنضال الضفة الغربية وغزة وبالنسبة للانتفاضة التي نشهدها في الفترة الاخيرة والتي لا بد ان تحفز القيادة السياسية للشعب الفلسطيني على ان تعود وتراجع مواقفها في المرحلة الاخيرة وتنتهي الى شكل افضل ومتقدم على المرحلة السابقة .

بالنسبة للجليل لا شك ان الملاحظة الاولى التي لا بد ان تطرح في هذا السياق هي ان الجليل يطرح في الواقع على مسألة السلطة الوطنية في الفترة السابقة بعد حرب تشرين ١٩٧٣ الى الان ، ضرورة اعادة النظر في فهم المرحلية التي انبثقت عنها مسألة السلطة الوطنية . من الواضح ان مسألة السلطة الوطنية كانت منصبة على امكانية انتزاع كيان فلسطيني وسلطة فلسطينية على الضفة الغربية وربما الضفة الغربية وقطاع غزة نتيجة التوازنات التي نتجت بعد حرب تشرين اما انتفاضة الجليل وما

يمكن ان ترتديه من اهمية فائقة اذا نظرنا اليها بارتباطها الوثيق بالعمق في جنوب لبنان وتواجد الثورة الفلسطينية في جنوب لبنان ، فانها تطرح مسألة اعادة النظر في الفهم المرحلي للنضال الفلسطيني . هل يقال لعرب الجليل ان يهدف الان هو اقامة سلطة في الضفة اما انتم فعليكم تأجيل نضالكم او عليكم تجميده حتى تنجلي قضية الضفة الغربية وغزة ام ان المسألة تطرح بشكل يؤدي فعلا الى تصحيح مفهوم مرحلية النضال، والى اعادة النظر في الاساليب التي مورست خلال الفترة الماضية ، وربما تكون حافز لبلورة الموقف الفلسطيني الواحد والقرار الفلسطيني الواحد وبلورة الجبهة المتحدة التي تعبر عن استقلالية الارادة الفلسطينية وعن تطوير نضالاتها . ربما كانت انتفاضة الجليل فعلا لاعادة النظر وتطوير الموقف .

اود ايضا ان اشدد في نقطة مستقلة على ارتباط انتفاضة الجليل بالمعركة في لبنان. المعركة في لبنان التي تطرح على الثورة الفلسطينية لاول مرة امكان الحصول على موقع فعلي ، امكان ارادة مستقلة فعلية ، امكان القدرة على التعبير المستقل والحر عن الموقف ازاء كل مشاريع التسويات ، وتأخذ هذه المعركة بعدا اضافيا واهمية اضافية بانتفاضة الجليل .فالطبيعة الجغرافية في الجليل والاكثرية العربية في الجليل، بالاضافة الى وجود الثورة الفلسطينية في جنوب لبنان وما يشكله جنوب لبنان من عمق مؤات جدا ومناسب جدا لاشكال النضال المسلح ، للجليل ، مسألة جدا مهمة وتستحق وقفة طويلة لتطوير اساليب النضال في الجليل ولتطوير كل اساليب النضال الفلسطيني في الارض المحتلة ، وهنا اود ان اشير الى ان اي افتعال لخلاف او تناقض في الادوار بين « راكح » وبين منظمة التحرير مسألة تضر وتسيء للنضال الفلسطيني وغير صحيحة وغير واقعية . اذا كان دور منظمة التحرير غائب فلسبب يتعلق بمنظمة التحرير ، واذا كان دور « راكح » بارز فلأن « راكح » موجود ، وليس هناك اي تناقض بين الدورين ، وكل امكانات منظمة التحرير للعمل في الجليل ممكن ان تكون اساسية دون ان ينتقص ذلك من الادوار التي يقوم فيها حزب « راكح » ، وبالتالي فان التنسيق والتكامل ليس فقط مفيدا وانما ضروري وقد يأخذ اشكالا فعالة ، وليس هناك اي مبرر لوجود اي تناقض في هذه الادوار .

اود ان انتهي الى التأكيد على ان بلورة الموقف الفلسطيني من خلال القيادة الفلسطينية التي لا بد ان تشارك فيها التنظيمات في الداخل ، يعني ان منظمة التحرير يجب ان تكون على صلة بتقدير الظرف وتقدير الموقف من الداخل . ولا شك بان للقيادة السياسية ولبلورة الموقف السياسي تأثيرها على النضال في الداخل ، وهي تسبق اقامة خلايا وتوصيل الاسلحة ، لانها هي التي تضع الاطار وهي التي تضع الاهداف اليومية للنضال في الداخل وتأتي بعد ذلك اقامة الخلايا وتوصيل الاسلحة وتطوير اساليب النضال ... الخ . ان تشديد النضال في الداخل هو الذي يؤدي في النهاية الى تدهور الوضع الاقتصادي والامني في اسرائيل ،والذي يؤدي في النهاية الى تضاؤل الهجرة والى فشل محاولات تهويد الجليل ، والى فشل محاولات الاستيطان . اذن تشديد اساليب النضال ومتابعتها واستمرارها هي التي تؤدي في النهاية الى انجازات على هذه الاصعدة سواء في المناطق المحتلة او في الجليل او في اسرائيل بالذات .وكما اشار الاخ احمد فلا يمكن انتظار نتائج سريعة لهذه الاشكال من النضال على الوضع الداخلي الاسرائيلي بمواقف سياسية او بمواقف حزبية ، ولا يمكن تعليق امال على نتائج داخلية انما تشديد النضال هو الذي يؤدي الى افشال كل هذه المخططات والى الاستمرار في الشعور المستمر بالاحباط لدى المستوطن اليهودي ودفعه الى النزوح مجددا عن فلسطين .

القسم الثاني : تقييم الانتفاضة ودروس المستقبل

الدكتور احمد حمزة :

هنك قضية ذكرت ولكن الاخوان لم يبرزوها تماما ولم يشددوا عليها بالشكل المطلوب . تحدثنا عن انتصارات الثورة الفلسطينية وعن بروز الشخصية الفلسطينية وعن بروز الدور القيادي الذي تلعبه منظمة التحرير الفلسطينية وتأييد المنظمة كممثل شرعي وحيد لجميع الفلسطينيين . ولكن هذا التقدم وهذه الدروس كان يصحبها طرح شعارات وافقت عليها هيئة الامم المتحدة ووافق عليها كل العالم ، وهي التأكيد على حقوق الشعب العربي الفلسطيني ، ومن اهم هذه الحقوق شعار تقرير المصير على الارض . اعتقد ان هذا الشعار استوعبته جميع جماهير الشعب العربي الفلسطيني في الداخل وفي الخارج وفي الجليل والمثلث وهذا الشعار اثر على معنويات ونفسيات شعبنا العربي في الجليل والمثلث . فليس من قبيل الصدفة والعفوية ان تظهر الانتفاضة في الجليل في الوقت الحاضر . لقد ظهرت بعد انتصارات الشعب العربي الفلسطينيفي الخارج وبروز هذا الشعار . فقد اصبح الفلسطيني يشعر ان له حق ، وهو حق تقرير مصيره على ارضه وكذلك شعار السلطة الوطنية او الدولة الفلسطينية . ماذا قامت دولة فلسطينية او سلطة فلسطينية على جزء من فلسطين نكون قد حققنا جزءا من هذا الشعار وهو ان تمكين جزء من الشعب العربي الفلسطيني من تقرير مصيره على جزء من ارضه . وهذا الكلام لا يعني ان الشعار انتهى . اعتقد انه بالنسبة للاجئين الموجودين في لبنان فانه عندما تقول أن لك حقا بتقرير مصيرك على ارضك ، فذلك يعني اولا رجوعه الى ارضه وهذا شيء ممتاز جدا ، ان يرجع الى ارضه وان يقرر مصيره . وبالنسبه للاجئي عام ١٩٦٧ ، فاذا قامت دولة فلسطينية في الضفة الغربية والقطاع فان هؤلاء الفلسطينيين سيتمكنون من الرجوع الى ارضهم وتقرير مصيرهم على ارضهم . وبالنسبة للاجئي ١٩٤٨ الموجودين في الضفة ، يمكن تلبية طلباتهم وافساح المجال لهم في العودة وتقرير المصير على الأرض . لذلك اعتقد ان على الاعلام الفلسطيني والاعلام العربي واجب المزيد من التأكيد على هذا الشعار الذي يحظى بتأييد جميع القوى التقدمية في العالم ، وذلك لتعميقه في نفوس جميع الفلسطينيين اينما كانوا ، في لبنان وسوريا وشرق الاردن والضفة الغربية والجليل وفي اي مكان اخر . ان تأكيد وتعميق هذا الشعار هو من الضروريات الملحة في الوقت الحاضر .

الانتفاضة والانتصار في لبنان تجاوزا اطارات التسوية المطروحة .

الدكتور الياس شوفاني :

الحقيقة انني كنت اود تحاشي الكلام عن شعار السلطة الوطنية واعتقد ان موقفي منها معروف ، انا كملتزم بالثورة الفلسطينية وملتزم بقرارات المجلس الوطني الفلسطيني . لكن لنناقش هنا نقاشا موضوعيا . شعار السلطة الوطنية في الضفة الغربية لا يمكن ان اتكلم عنه بمعزل عن السياق السياسي لما يحدث في المنطقة . نحن لا نرسم خرائط على الورق من منطلق المربع الاول ، وانما نطرح شعار السلطة الوطنية في اطار التسوية الشاملة للمنطقة وفي اطار المفاوضات ، اذا سمح لنا بالمشاركة في جنيف ، والتفاوض مع العدو ، وهناك لا بد من الاخذ والعطاء . فاذا كنا نريد ان نأخذ الضفة الغربية من تحت الاحتلال فماذا ندفع للعدو ؟ ثانيا : اذا كنا سندفع فما هو الذي سندفعه وما هو الاساس الشرعي لمثل هذا الدفع ؟ هذه اسئلة لا بد من الاجابة عليها . في تقديري ، ان اقامة السلطة الوطنية ليست خطوة الى

الامام في نضال الشعب الفلسطيني خاصة في الاطار المطروح حاليا وانما هي نكسة الى الوراء اذ انها تحرف النضال الفلسطيني عن الصراع القومي بين الشعب الفلسطيني كجزء من الامة العربية في نضالها مع الاستيطان الغريب الذي سيبقى في تركيبته الايديولوجية كما هو ، ويعترف به ، وبغير ذلك لا يمكن الوصول الى السلطة الوطنية . في تقديري انها نكسة الى الوراء لانها لن تساعد النضال الفلسطيني على الاستمرار وانها ستشقه . فشعار السلطة الوطنية لم يحرك جماهير الفلسطينيين ، القاعدة الاساسية للثورة الفلسطينية في لبنان بالذات ، اذ ان اكثر قواعد الثورة في لبنان تأتي بالاساس من الجليل . فامامنا اهل صفورية ، اهل سعسع ، اهل البصة . فتقديري ان شعار السلطة الوطنية كان سيفسخ النضال الفلسطيني ولا يدفع به الى الامام . بالاضافة الى ذلك ، انا اتفق مع الاخ محمود في شيء المحت له سابقا ، ان انتفاضة عرب الجليل على خلفية ما حدث في لبنان خلال سنة او اكثر وخروج الثورة الفلسطينية منتصرة وخروج الحركة الوطنية الشعبية في لبنان المتقدمة على قياداتها ، يفتح افاقا جديدة لن تستطيع في تقديري اي قوى ان تكبحها وستسير الى الامام . وانتفاضة الجليل على خلفية ما حدث في لبنان وخروج الثورة الفلسطينية منتصرة بمكاسبها السياسية خلال سنة ٧٤ و ٧٥ ، هو نتيجة مباشرة لاستثنائها القسري من المشاركة في التسوية وليس ، نتيجة الرفض الابات للتسوية . الدليل امامنا ، ان الاتحاد السوفياتي الذي قبل بالتسوية ولم يتمكن من تنفيذ اي شيء خرج خاسرا . الثورة الفلسطينية استثنيت من التسوية ونتيجة لعرقلة التسوية انجزت ما انجزته من مكاسب سياسية . اذن ، الثورة الفلسطينية في مواقعها الحالية وفي الظروف الراهنة في المنطقة لن تخرج باي شيء من التسوية المطروحة لانها تطرح في الاساس التنازل عن الارتباط بالارض ، وهي النقطة التي اردت ان اشدد عليها في الاساس . وهنا اصل الى الكلام عن منظمة التحرير . هناك مثل في الانجليزية يقول انك لا تستطيع اكل الكعكة والاحتفاظ بها . مطروح ، وباعتراف خارجي ، ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني . اين هو الشعب الفلسطيني ؟ نصفه تحت الاحتلال ، يقول الاخ عربي عواد ان اساس الصراع هو قضية الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال ، فماذا عن قضية الشعب الفلسطيني غير الواقع تحت الاحتلال وهو اساس النضال ؟ هل يناضل لرفع الاحتلال عن نفسه ؟ او يناضل لرفع الاحتلال عن رقعة من الوطن العربي ؟ اذن الصراع مع الشعب الفلسطيني يجب ان لا يحور ، هو صراع بين الشعب الفلسطيني والمستوطنين الصهاينة على الانتماء للارض كوطن ، مجمل الارض. في الطرح الاساسي للثورة الفلسطينية بقبول الدولة الديمقراطية هناك انتماء لكامل الارض ، يسمح ، نتيجة للظروف الحالية بانتماء عنصر بشري اخر لنفس الارض ، ولكن لا يسمح بتقسيم هذه الارض . انني اتفق مع الاخ محمود بالنسبة لاعادة النظر في البرامج المطروحة اذا كان لا بد من مرحلة النضال فلنرى الواقع ، فمرحلة النضال تنبع من واقع معين ، اين نحن متواجدون الان ؟ ما هي مواقعنا في موازين القوى ؟ وماذا يتطلب منا الوصول الى الاهداف المطروحة حاليا ؟ وهذا يحتم علينا اعادة النظر . المطلوب منا اذا اردنا سلطة وطنية في الضفة الغربية ان نجتاز الحاجز الاردني فما هو الثمن الذي سندفعه مقابل ادخالنا في هذا الاطار . هناك تلميحات عن الاتحاد الفيدرالي ، وهذا الاتحاد الفيدرالي هو الذي ، اذا نجح ، سيقود الشعب الفلسطيني الى تركيبة عجيبة غريبة من نوعها ، تكون في اطارها السياسي تابعة من المملكة المتحدة المطروحة ، وفي حلها لمشروع السلطة نوعا من مشروع آلون . فهل هذه خطوة الى الامام في النضال الفلسطيني ؟ وهل هناك امكان للحصول على اكثر من ذلك في اطار موازين القوى المطروحة حاليا ؟ اعتقد اننا الان في لبنان في

موقع نقدر فيه على الحسم السياسي . وانني اتفق مع الاخ محمود في ان الاطر التنظيمية للنضال الفلسطيني متاخرة ومتخلفه عن النضال الفلسطيني والجماهير الملتفة حوله في هذه المرحلة . العقل السليم يقول انك موجود في جنوب لبنان وقواعد الجنوب كلها ملتزمة معك ، انت موجود في قواعد عسكرية في جبال لبنان الجنوبي ، امامك حركة وطنية مساندة قادرة على قلب موازين القوى في المنطقة عامة والتصدي للامبريالية في النقطة التي كانت الامبريالية ترتع بها ، فمن الضروري اعادة النظر في هذه البرامج ومرحلتها انطلاقا من هذه النقطة بالذات . امامنا واقع ، فانتفاضة الجليل هي رد فعل لتحرك صهيوني من شعور بالخطر الحقيقي ، حيث ان الجليل لا يزال في اساسه عربيا ، والكيان الصهيوني يواجه ازمة استيطان فعلية من الناحية الديمغرافية ، فالناس الذين يسكنون المدن لا يحبذون الذهاب الى الريف . وهناك تحرك في لبنان وهذا التحرك قد يقلب لبنان الى دولة مواجهة ، والمستوطنات الاسرائيلية التي بنيت منذ عام ١٩٢٥ ، مثل حميسا ، الون ، منحسوبا ، غير كافية للتصدي لهذه الحركة . اذن ، فاذا انقلب لبنان الى دولة مواجهة فيها هذه التركيبة الفلسطينية — الوطنية ، لا بد من التصدي لها بحركة تهويد واسعة للجليل ، يكون احد مركباتها الاساسية الاستيلاء على الاراضي . اذن القضية ليست خيالية كما قد يتصور المرء . النقطة واقعيه وملموسة ويمكن الانطلاق منها على اساس خط جديد للبرامج المطروحة . انا اقول ان لا مبرر في هذه المرحلة لمرحلة النضال . انطلقنا على اساس صراع على الارض مع كيان قائم ، فلنبق على هذا الصراع ونضم الشعب الفلسطيني بفئاته المختلفة ،المنسية والقائمة حول لواء منظمة التحرير، الى ان يصبح هناك شيء يحتم علينا المرحلة .

احمد خليفة :

كي لا يبدو ان النقاش يدور حول قضية اخرى غير القضية التي من اجلها عقدت الندوة وهي الانتفاضة في الضفة الغربية والجليل . الحديث حول موضوع السلطة الوطنية له صلة وثيقة جدا بالانتفاضة التي جرت ، لانه بعد ان حددنا حجم الانتفاضة واهميتها ، كان السؤال الذي تبقى هو ماذا نفعل لاجل استمرار هذه الانتفاضة . انني شخصيا اعتقد ، وقد طرحت موضوع السلطة الوطنية وسبقني الى طرحه الاخ عربي عواد ، بان طرح شعار السلطة الوطنية واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كشعار مرحلي ، ساعد جدا في حدوث الانتفاضة وفي ما نسميه بالنهوض الفلسطيني الان . واكثر من ذلك فقد ساعد طرح هذا الشعار على استقلالية العمل الفلسطيني وحال دون حدوث تسوية عربية كان يمكن ان تتم . لانه بعد حرب تشرين ، وخاصة بعد صفقة سيناء ، التي نفذها النظام المصري لصالح الامبريالية الاميركية والطبقة في مصر التي تريد عودة الامبريالية الاميركية الى مصر، كان هناك استعداد لدى النظم العربية لان تعقد صفقة على حساب الشعب الفلسطيني يكون الكاسب منها النظام الهاشمي. فجاء طرح شعار السلطة الوطنية الفلسطينية واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كشعار مرحلي ساعد جدا في الحؤول دون اتمام مثل هذه التسوية . هذا الشعار كان في تلك المرحلة صحيحا لانه كان يبدو حسب ميزان القوى في ذلك الوقت انه ممكن التحقيق كشعار مرحلي . لكن الامبريالية الاميركية والعدو الاسرائيلي حاولوا تحويل هذا الشعار من شعار مرحلي الى شعار استراتيجي ونهائي . اي ان العدو يريد انتزاع اعتراف فلسطيني باسرائيل .

وفي ظل غياب هذا الاعتراف ، واذا كان هناك اصرار من قبل الثورة الفلسطينية على

عدم الاعتراف باسرائيل ، ستجد الثورة نفسها مضطرة للتشديد اكثر فاكثر على الكفاح المسلح . هنا اقول اننا اذا اردنا استمرار هذه الانتفاضة ، يجب من الان تهيئة الادوات اللازمة لاعادة التشديد على الكفاح المسلح ، مستفيدين من هذا النهوض الجماهيري ، مستفيدين من قضية زج الكثير من الجماهير في الجليل والضفة الغربية في النضال الفلسطيني بمستوى متقدم من الوعي والاستعداد للتضحية .

عربي عواد :

القضية الهامة التي يجب التركيز عليها في نهاية الندوة هي النتائج المترتبة على الانتفاضة الجماهيرية في ارضنا المحتلة والمتطلبات التي تفرضها . واضح تماما من مجرى الانتفاضة نفسها ، ان عدونا المتمثل لم يتورع عن استخدام اشرس الاساليب القمعية في مواجهة هذه الانتفاضة مما يدل على اننا في حاجة ماسة الى مواجهة هذا النهج الارهابي الوحشي بتصعيد النضال وتطويره وتعبئة اوسع الجماهير الفلسطينية داخل الارض المحتلة وخارجها وجذبها وتوحيدها في اوسع جبهة ، بحيث تضم كل القوى الوطنية الفلسطينية كما ذكر . هذه مسألة في غاية الاهمية وليست هناك اية اوهام ابدا عند جماهيرنا بمختلف قطاعاتها التي كانت تخوض غمار المعركة والتي واجهت هذه البربرية الصهيونية . بل بالعكس ، فالمعركة هي بالنسبة لها اوضح من اي وقت مضى . ان الطريق هو طريق المواجهة المتصاعدة ، وبالتالي فهذه المسألة في غاية الاهمية . وعلى منظمة التحرير وكل القوى الوطنية الفلسطينية اخذ ذلك في عين الاعتبار .

ومن ناحية اخرى ، نحن مطالبون ايضا بان نكثف نشاطنا على مختلف المستويات. صحيح ان الجماهير هي القوة الاساسية وهذه حقيقة اكدتها الانتفاضة ، ولكن لا شك ان هناك ترابطا موضوعيا بين نضال شعبنا وبين حركة التحرر العربي في مواجهة الغزوة الصهيونية، من حيث انها ليست مقصورة في اطماعها على الشعب الفلسطيني وارضه وانما هي تمتد الى الارض العربية وضد حركة التحرر العربي بوجه عام وهي اداة بيد الامبريالية . لكن بقدر ما هناك من تأثير من حركة التحرر العربي واوضاعها على الحركة الفلسطينية كذلك هناك تأثير بالمقابل من حركة هذا الشعب على حركة التحرر العربي . كلنا مجمعون على ان البلاد العربية تمر في ظروف غير ملائمة وان رياح الامبريالية الاميركية تهب على المنطقة وتنالها بشكل او باخر، مما يضع عقبة كبيرة امام شعبنا في نضاله لكن رغم الوضع السلبي حدثت الانتفاضة ، ليست في الضفة الغربية وقطاع غزة فحسب وانما في الجليل الذي عانى ما عاناه من اضطهاد عنصري وقمع خلال ٢٨ سنة . هذا يكفي وحده ليثبت ان في مقدور شعبنا الفلسطيني ان يواجه السلبيات وان يتجاوز تأثيراتها . ومن هنا فان دفع نضال هذا الشعب وتطويره من شأنه ان يؤثر تأثيرا ايجابيا . وعندما نتحدث عن هذا الشعب ونضاله لا نقصد فقط الارض المحتلة ، وانما كذلك في لبنان . وفعلا فان مجرى المعركة في لبنان لم يؤثر على الشعب الفلسطيني فقط ، وانما سيؤثر ايضا على حركة التحرر العربي ، هذه علاقة جدلية . ومن هنا هذا التكالب الاستعماري الرجعي اليميني في المنطقة العربية لدفع مجرى الاحداث في لبنان بحيث لا تسير في اتجاه انتصار للحركة الوطنية اللبنانية بقواها الوطنية والتقدمية متلاحمة مع الثورة الفلسطينية ، لان ذلك سيترك تأثيره الملموس على مجرى حركة التحرر العربي في اتجاه تمهيد الطريق امام الشعب الفلسطيني ونضاله وعندما يجري الحديث عن اهداف الشعب الفلسطيني ونضاله في هذه الفترة ، وعندما يجري الحديث عن الاهداف التي طرحتها منظمة التحرير في

البرنامج المرحلي في المجلس الوطني الثاني عشر ، لم يرد في الذهن مطلقا ان الظروف اصبحت الان ناضجة تماما لتحقيق هذا الهدف . بالعكس ، يدور اشرس نضال من اجل تحقيق هذا الهدف . انني اتفق مع الاخ الذي ذكر ان هذه القضية توضع في وجهها مؤامرات وعقبات متعددة الاشكال : المذابح التي تجري في لبنان ، تحرك الحكم في الاردن ، اتفاقية سيناء والبنود المعلنة والسرية فيها ، كذلك ما يجري في المنطقة العربية من افتعال الصدامات مثلا بين الجزائر والمغرب ، وكذلك الذي يجري في منطقة الخليج . كل ذلك في الواقع اجواء ، المقصود منها ليس ضرب حركة التحرر العربي بوجه عام ، انما ايضا وبشكل خاص ، ضرب الشعب الفلسطيني وحرمانه من تحقيق الهدف الذي ورد في البرنامج المرحلي ، وكيسنجر علق على الانتفاضة بانها موجهة للمخطط الاميركي . من هنا فان القضية الاساسية التي نخرج بها من الندوة هي اننا مطالبون على ضوء الانتفاضة الرائعة التي جرت في الضفة الغربية وقطاع غزة والجليل ، بالبحث عن وسائل تطوير النضال ، تعميقه ، تعبئة اوسع القوى والجماهير الفلسطينية وان يتخذ هذا النضال اشكالا جديدة . صحيح ان الكفاح المسلح هو ارقى الاشكال ، لكن التجربة اثبتت ايضا ان الاشكال الاخرى الملائمة والضرورية ، السياسية والجماهيرية ، وهي التي تمكن كل مواطن من شعبنا من المساهمة بدوره في المعركة ، ثم التحرك على النطاق الدولي ، وقد شاهدنا تأثير الذي لم يكن فقط مجرد الحصول على تأييد عالمي ، وانما كان له دور في الهاب الجماهير وتحريكها .

الدكتور الياس شوفاني :

انني لا اتفق مع الكلام الذي طرح هنا وهو ان الكلام عن السلطة الوطنية لا يمت بصلة الى هذه الندوة ، بل ان الكلام عن السلطة الوطنية هو في صميم هذه الندوة اذا كنا نريد استخلاص الدروس والعبر وماذا يجب ان نتعلم في المستقبل ، وماذا يجب ان نطرح من برامج ، ففي صلب الموضوع تصور برنامج الثورة الفلسطينية للمستقبل . من المفروض عقد المجلس الوطني الفلسطيني في القريب وفي تقديري انه يجب تطوير الكلام بعد هذه الانتفاضة عن برامج الثورة الفلسطينية ، حتى يعيد المجلس الوطني الآتي النظر في البرامج المرحلية التي طرحت في المجلس الثاني عشر .

هذه الانتفاضة وضعت النضال الفلسطيني على صعيد جديد . اذا كان لا بد من طرح شعار جديد فيجب بالاساس العودة الى البرنامج الاساسي للثورة الفلسطينية ، وتطوير بعض جوانبه بحيث تتم المرحلة القادمة عن رفع مستوى الصراع وتنظيم العلاقة بين الفلسطينيين اصحاب الارض الاساسيين والارض والمستوطنين ، باطار اكثر تطورا على اساس الدولة الديمقراطية ، وتطوير الاسس المبدئية التي طرحت في الدولة الديمقراطية الى شعارات اكثر تقدما تحفز الناس في الداخل بمختلف مناطقهم على النضال من اجل تحقيق هذه الشعارات اذا كان لا بد من مرحلتها ، باعطائهم المزيد من الارتباط بالارض . المزيد من القدرة على تحديد العلاقة بين الناس والارض . ولا اعتقد ان ذلك صعب جدا . فهو مرحلة نحو الدولة الديمقراطية وليس نحو تقسيم اضافي لفلسطين .

محمود سويد :

في تقديري ان المرحلة التي وصلها النضال الفلسطيني حاليا ، وكل الانجازات التي تحققت خلال السنوات الماضية على الصعيد السياسي والعربي والعالمي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وتصعيد النضال الفلسطيني وتطوير كل هذه

الانجازات والمكاسب مرتبط الان اشد الارتباط بتطوير البنية الداخلية للقيادة الفلسطينية وتطويرها بشكل يلبي فعلا حاجات المرحلة التي وصل اليها النضال الفلسطيني . في تقديري ان التطوير المطلوب للبنية الداخلية للقيادة الفلسطينية هو ان تكون القيادة السياسية والاجتماعية . فالقيادة الفلسطينية لا تزال في مجالات متعددة لا تمارس ، (وان كانت تمارس على الصعيد السياسي) ، على الكثير من الاصعدة المكملة للصعيد السياسي . ولا بد من هذا التطوير الذي بدونه تبدو كل هذه المكاسب والنضالات مهددة في حال استمرار البنى الحالة للقيادة الفلسطينية في اشكالها وفي قدراتها الحالية .

عبد الجواد صالح :

اود ان اتكلم باختصار عن موضوع امكانية ووسائل تطوير هذا النضال الجماهيري في داخل الارض المحتلة بنقاط مختصرة والعمل في اطارين . هناك اطار طويل الامد ، من العناية بالتراث الشعبي للشعب الفلسطيني الى العناية بمشاريع الاسكان ومساعدة الشباب الذي يتخرج بايجاد امكانية العمل في داخل الارض المحتلة ، الى موضوع مساعدة الطلاب حتى يتمكنوا من اتمام دراستهم والرجوع الى الارض المحتلة . وايضا لا بد من التنسيق بين اجهزة المقاومة التي تعتني بالارض المحتلة، وتطوير هذا التنسيق حتى يتم القيام بعمليات مسلحة ضد التواجد العسكري الصهيوني في مختلف الاراضي المحتلة (عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧) بتعاون كافة فصائل المقاومة . العمل بالحوار المستمر مع كافة الفصائل التي تعمل داخل الاراضي المحتلة لتطوير نضالاتها حتى تلتزم بالكفاح المسلح . ولا بد من العمل لتطوير اجهزة منظمة التحرير بشكل ثوري يخدم هذه النضالات الجماهيرية لتتمكن من قيادتها .

من نابلس الى بيروت
دمي علامة والطريق طويل

علي الخليلي

— ١ —

تأججي ايتها النافرة . آمنت بالاقمار تنبع زعترا وحجارة مضيئة . لا انت شائخة في دمي . لا انت موهنة في الصعاب . اكتب على جدرانك ما حييت . استنفر الخيال . جسدي صوتك :

— قف ! هويتك ؟

— حجر ، حجر ، حجر .

تشابهت فيك . لا اقسم باحتمالات الاماني ولا اختزن مطري . غيوم الحرائق اكملتني وبلغت الرشد . ها انت تكتفين بالاشارة يا ايتها الحبلى بأطفال الحرب . ونكتفي بالموت الرائع حتى نغرق في صوتك . انهضي من الاذهان نعدو في سهوبك . كل التعب : هذا القهر ، هذا الانفجار نلقي في خلاياك ، فلا تمنحينا ملامح اللجوء ، نابلس ، لا تفتحي كل الابواب . ما زالت النشوة في اولها ، وارعش قبل الوصال . هذا « عيبال » وهذا « جرزيم » ، سمعنا واطعنا : يا نار لا بردا تكونين لا نزهة الابدان . اخفض راسي للعلم الفلسطيني . حمامة ام رصاصة يا قمري . وانت انت : لا تختبئين تحت التراب . لا تسألينا هل اخرج من اصابعكم والبس الليل . تتناثرين في الذهن . هذا الصوت صحوة المحارب الجميل . هذا الصوت ذاكرة الفلسطيني . كوني دليلي . للصحارى وراءك طعم النهايات . للبحر امامك صبح البدايات . واذ ينبثق الاطفال من الازقة يحملون وجوههم قناديل قناديل :

« يا قمرنا طل طل وضوي الكرة الارضية
« ما خلقنا نعيش بذل خلقنا نعيش بحرية

تنفجر براعم اللوز . ينمو الاطفال . وفي الخط الفاصل ما بين قلبك وبين الجبل علاقة نهار . بنادق الجنود تنتصب . وانت انت تتناثرين تحت الرصاص . هكذا هكذا يتناثر الاطفال داخل لحمك . رايتك اجمل من كل الامهات . ورآك مصطفى مسعود اجمل مما رأيت . مصطفى ابن العتال ببنطاله الممزق وانفه الممتلىء بدخان البارود والغبار والمخاط . سألناه : لماذا تحلم بهذه الطريقة ؟ قال : انا افرح لاول

مرة . وكانت المجنزرة الاسرائيلية توزع بقايا دمه على طول الزقاق . يا مصطفى يا عشق الطلاب والطالبات . امك تزغرد وترشق جنود اسرائيل بالحجارة . قالت جارتها العجوز : ليت رحمي ينضج من جديد . ونكتفي بالاشارة يا جبل النار .

— ٢ —

كانت الشرارة باقتحام مدرسة « قدري طوقان » بنابلس . في خاصرة المدينة يطلع السهم الشرقي فيضا مشتعلا حيث تصحو المدرسة كل صباح ، تماما قرب السجن المركزي ، وقرب مبنى الحاكم العسكري، وعلى بعد خطوة حمراء من مخيم «بلاطة» . عشرات الجنود المدججين بالسلاح يقتحمون المدرسة . الطلاب اعلام فلسطينية خفاقة : يا صهيوني ارحل عنا . ثورتنا ثورة مستمرة . فدائيون فدائيون . فيندفع السلاح الحاقد الى الاجساد الفتية والكتب والاقلام . يصدح الدم الفلسطيني امام العالم كله . وينتشر الزعتر في موائد كل الفقراء . وها نحن نوفي العهد . ليس للسر غطاء . اكشفوا جسد الطفل : « تشهد مدن الضفة وقراها تظاهرات يقوم بها الشبان والشابات تدعو الى انهاء الاحتلال الاسرائيلي . وفي قرية ابو ديس قرب القدس تجري اهم التظاهرات بتشييع طفل عربي يبلغ العاشرة من العمر قتل برصاص جندي اسرائيلي » نتدفق في شراييك . انطقي ايتها الحجارة ، فالاصابع الاطفال اللثغات تعلمنا ان نوقد العناقيد ، يا صدر امي .

— اطلق النار !

فيتكاثر البرقوق الاحمر ، ونفهم معنى الاشياء الصعبة . ويقول الرجل : عانق وجعي يا عصفور . انا اذا اتمدد في كل فلسطين .

— ٣ —

احجار فلسطين لها نبض حقيقي . بأمكاني ان احدثكم عن ذلك بهدوء وحب . وقد تعلمت ، في اللحظة التي اخرج فيها من دائرة « الجسر » ان اتحسس اول حجر اصادفه ، ثم المس وجهي ، فأكتشف نفسي من جديد هذه ليست صلاة ، لان «النهر» العجوز الشاحب يشق رأسي نصفين . كنت قد نهضت في الصباح وفي نيتي انا اعانقكم واحدا واحدا . انني الح على مسؤولية فرحي معكم . ولكن « عمان » تتراكم فوق الجرح فنادق فنادق . ولا يمكنك ان تعرفها من خلال الرماد . لم افاجأ بلقائها . هذه الجبال تعني لنا الكثير . قبل ان يذوب الندى وقفت على رصيف الشارع الرئيسي . ليست الاسماء مهمة ، الآن ، فسائقو السيارات العامة يميزون الفلسطينيين . جدي وجدتي ، وعلى طول الطريق الى جسر « دامية » ظلا يحلمان بأشجار فلسطين .

— يا امراة ! فلسطين على بعد حكاية صغيرة من هنا .

— فارس استشهد في بيروت . وعدنان اعتقل بنابلس ،

وفي الخليل والقدس ورام الله والبيرة والناصرة يرفعون اعلام فلسطين .

— لا تدخن يا ابا فارس ، اريدك قويا تحرث الارض وتعصر الزيتون . ضحك جدي ، وشعرت بقوة ملء اعماقي . افرغتنا السيارات امام نقطة تفتيش اردنية .

تناثرنا في الحجرات الطينية . لـم نتبادل النظر في عيونهم . خرجنا مـن جغرافيا الصحراء الى تاريخ الدم واللوز والزيتون والبرتقال . كان النهر يفصلنا عن فلسطين بهمسة واحدة . ابتسم لنا العتالون ، وتكدسنا امام الصهاينة . بنادق ـ خوذات ـ اجهزة الكترونية ـ عيون حاقـدة ـ اسلاك ـ حواجـز ـ تفتيش ـ تفتيش ـ تفتيش . ها انت تغضب ، وتكتم الحمى . ولكنك لن تبكي ساعة معانقة التراب . ها انت حزين وممتلىء بالتناقض ، فهل تمتلىء بوجوه رفاقك القدامى . لماذا تنفعل هكذا . انت الآن داخل النبض الفلسطيني . انت الآن في الداخل . تحسس حجرا وجها كأنك تقابل نفسك لاول مرة منذ مئات السنين . اندفع الى الزعتر والميرميـة والحميض والخبيزة ، فتلمس بمنتهى الدقة عضلة في صدرك تخفق تخفق تخفق . التق مع بقايا الاهل . ولكنك لا تبكي . لماذا ايتها الغيمة . لماذا ؟ ما بين عينيك وعيني يتكامل الحب . انقذيني من موت لا يوصلني . انقذيني من وصال ميت . فمن يقترف موتنا في الصبح الجميل ، واي الاعشاب العربية لم تشرئب اليك . تنفست حيـاة وفرحا . قاسمتك رصاصة تعرفها اغاني الصيادين والحجارين والحدادين ،فاستوفي

شرطي : نصحو حتى تجدينا بين يديك لافتة واضحة :

نعم للثورة ،

نعم للبحر ،

نعم للوز الاخضر ،

نعم للجيل الجديد

نتشكل فيك خلية ، خلية . والازقة العتيقة تعرفنا وجها وجها .

اهز جسدي لك زيتونة ، نخلة ، تينة ، لوزة . اقطفي فرحي .

ينهمر الرصاص : اشمك .

ينهمر الرصاص : احسك .

ينهمر الرصاص : اواعدك تحت المطر ، قميصك قرنفلة وبدنك بيت .

يوما ، خجلت من يدي ، فامنحيني منجلا لاستطيل اليك .

— ٤ —

قلت لكم ان احجار فلسطين لها نبض حقيقي . هذا صحيح . وقد اكتشف الشبان والشابات الفلسطينيات هذا السر قبلنا جميعـا . تجمعوا مثل حبة جوافه ، ثـم انتشروا مثل وردة جورية : مجموعة تجمـع الحجارة وتفرزها وتوزعها في اماكـن معينة . ومجموعة تصنع المقاليع . ومجموعة مـن فقراء العشاق الرائعين تهاجم العدو مباشرة . هكذا : حجارتنا الفلسطينية ضد دبابات وآليات اسرائيل . امـا المجموعة الاخيرة فتعمل على تهريب العناصر بين زواريب الازقة والاحياء .

في فلسطين ، تنمو ايضا اطارات المطاط ، تماما مثل اي الكائنات الحية . ١١٤ سيارة شاحنة ملأتها اجهـزة الحكم الصهيوني باطارات المطاط من مدينة نابلـس وقذفتها في وادي الباذان على بعد ١١ كيلومترا مـن المدينة ، وظلت المدينة تشتعـل

باطارات المطاط . هذا الشعب يزرع حتى النار . قال الحاكم العسكري . ونكتشف وحدنا جذور القمح في بلادنا .

ولكن اسرائيل .. لا تفهم هذه الاسرار ، فتبطش وتفقد آخر خيط في يدها :

ـــ ضرب الجماهير بلا استثناء بالعصي واعقاب البنادق .

ـــ مداهمة البيوت وتحطيم ما فيها .

ـــ اعتقالات .

ـــ غرامات مالية باهظة .

ـــ رصاص ـــ قنابل .

ـــ تضليل اعلامي ، كذب مستمر .

ـــ ٥ ـــ

في الزقاق تتسلق الدالية عيوننا . قلت : اتكئي على حبة القلب . قالت : اتوافد قطرة قطرة ولا اكتمل . وقالت : ما هاجرت عصافير البلد . وقالت : القمح واف والاطفال يكبرون . ولكن الاشارة الحمراء توقفنا صفا . نزعت جدتي غطاء رأسها امام « باب العامود » وقالت : في القدس اكشف شيب رأسي للعصافير . وقالت : من هنا تندفع الطريق الى حيفا . وكان فرحي بحرا . انا لا اخجل من موت رائع . ايها البحر الابيض المتوسط استقبلني شابا فتيا . اكلت من خبز القدس ، فتجمعوا حولي :

ـــ حدثنا عن بيروت .

شجرة شجرة نمونا . كنت اغمض عيني واعلن ان بيروت في بدني . انطلقنا من بيت مصطفى . ومصطفى يا رفاق عتال كادح ، حبسوه مرة في زمن الملك لانه قال : ما يدوم حال . وضربوه في زمن الاحتلال لانه قال : لا يحرث الارض غير عجولها .

ـــ نعرف بيروت ولم نرها .

ـــ نعرف اسماء كل المخيمات والشوارع والاحياء .

ـــ نحلم بها .

ـــ نعرفها من ايار الكحالة الى نيسان عين الرمانة .

ـــ نعرف الوجوه والتفاصيل .

اسألينا حالة لا تموت فيها داخل بيوتنا . زفاف المدن العتيقة منتشر في الطرق كلها ، وصوتك يحتمل انفعالاتي انهياراتي . واعرف ان الفرح مسؤوليتي . يحكى ان بذرة قررت الهبوط الى قاع الابيض المتوسط ، فقاومتها الموجة الغضوب . تجذرت البذرة في جسدي يوما وغاصت . هكذا عرفت طريقها الى القيعان الحمراء ، ذلك اننا لم نفقد الاحساس بعنف الاشياء . فالعالم ندخله كل يوم جديدا جديدا . وغيوم الحرائق تحلم معنا .

— ٦ —

يحاصرونك . اسألي عنقي هل يطيع الانتحار . علاقتي بك موت مستمر . علاقتي بك عشق مستمر . لا سكري يصفو ولا لغتي تتعلم حقد الحروب . ها أنت عقلة زمن الحرب . يحاصرونك . لغتي تتكاسل وحدها اذ تنتشر رقاب الاشجار تحت كل جسر . اغفري للماء نزوته في السيول المجنونة . يا طفلي في بيروت لا تنزل الى الشارع . يا طفلي في بيروت كن خشبة في البيت ، آنية فخار ، دمية اخزنك في القاع. هذا الموت عقلاني جدا فلا الطقوس تبقى ولا الشعر الجميل . تخرس قنابل الهاونات ام تتشكل في عروقنا . ليحكم بيروت عشرة قناصين فتحلم بيروت برغيف الخبز . ها انت متعبة في الحلم وميتة تحت عيني . يحاصرونك مدينة الصدف ام سيدة الاعماق . الموت علاقة يومية . لا تنكسري تحت زندي . اصبح تحت الشرفات المهدمة : اراك ايها البحر وارى عكا . دمي علامة والطريق طويل .

سليم البهلول

توفيق فيـاض

(قصة)

عدة شهور مرت على مخيم جنين والحياة فيه تكاد تسير على وتيرة واحدة ، فمنـذ ان اجتاحته القوات الاسرائيلية الغازية ، والرجال القليلون الذين بقوا في المخيم بعد الاحتلال ، يرتدون المنامات المقلمة ، ويتداولون الكراسي الصغيرة المصنوعة من القش الملون في مقهى سعيد الزرعيني، الواقع على حافة الشارع المتعرج الذي يخترق وسط المخيم . بعضهم يلعب الـورق ويحتسي الشاي الدبسي ، المتواتـر على الطاولات الواطئة المشققة الجرباء ، والتي تلذوعت حوافها باعقاب السجائر المنطفئـة عليها . وبعضهم يعانق خراطيم النراجيل المهدبة ، منحنيا عليها بألفة ورقة عجيبتين ، واحجار النرد تتراكض بين الصدور غارة ككائنات صغيرة محاصرة ، لا تيأس من البحث عن مخرج لها من بين اسوار « الطاولات » البنية الباهته ، وانامل اللاعبين المشعوذة ، تطاردها . تمسكها تحكم الحصار حولها ، تخضها . تصطك . تفركها ، تلوحها ، فتفر من بينها ثانية لتصطدم بالاسوار من حولها ، والانامل تعاود الكر خلفها .

وبين العشرة الطيبة والشيش بيش تشتبك القوات المصرية على قناة السويس . تتراشق بالمدفعية الثقيلة والرشاشات . والفدائيـون الفلسطينيون ينصبون كمينـا لدورية معادية في الاغوار ، يعطبون آلياتها ويشتبكون معها بالرشاشات الخفيفـة والقنابل اليدوية ، فتغير طائرات الميراج والسكاي هوك الاسرائيلية على منطقة اربد تقصف مخيمات اللاجئين بالصواريخ . تحرقها بالنابالم ، تطـارد الفارين من الموت بالرشاشات . تحصدهم ، ثم تعود الى قواعدها سالمة .

يحتد النقاش ، تنفصل الخراطيم عن الشفاه المقبلة ، والعشرة الطيبة تطوى ، فلا يجدي هذه المرة « الدبش » ولا « الدام » تنفع ، لاختلاط عدد القتلى والجرحى بارقام العشرة الطيبة والاحجار المدورة . فتتوقف الحيوانات الصغيرة عن تراكضها ، والانامل الملاحقة ترتد . تطوى الطاولات ، تفرقع . تقتتل حجارتها . تهدأ . تفح التنهـدات اليائسة من ياقات المنامات المخططة . تشتعل السجائر ، واكواب الشاي الدبسي تتقافز نحو الشفاه المزمومة ، ثم تعود الى الطاولات الجرباء ، فتفرد فلسطين بينها . تشرح . تحل قضيتها عسكريا . تحل سلميا . تعود الضفة الغربية الى الملك حسين . تعود الى منظمة التحرير الفلسطينية . لا تعود البتة . يحتدون . يقتتلون ، فيحـل الحل سيارة عسكرية تتوقف امام المقهى .

تتعلق العيون بالقبعات الخضر . تتراكض بين نجوم داود اللامعة علـى الجباه .

على الكتوف. تقهر ، فترتد مهزومة حزينة الى العشرة الطيبة واحجار النرد المتراكضة من جديد ، ولا يفرقهم الا بصاق سليم البهلول الغاضب على السيارة العسكرية ، وشتائمه المتلاحقة للجنود الاسرائيليين ، لاصرارهم على احتلال فلسطين وعدم انسحابهم منها ، ومن ثم وقوفه في طرف الزقاق وامطار لاعبي الورق والنرد ، بكل ما يصادفه في الزقاق من الحجارة ، والاحذية العتيقة ، ونفايات الاشياء ، لعدم مناصرته في شتم الجنود المحتلين ، وانقاذه من الضرب المبرح كلما وقع في ايديهم . ولانهماكهم في لعب الورق طول النهار ، بدلا من انضمامهم الى الفدائيين الفلسطينيين الذين تتناقل العجائز والصبايا اخبارهم ، ومحاربة اليهود حتى ينسحبوا من المخيم .

وفي سورة غضبه ذات يوم ، صعد سليم البهلول فوق سطح المقهى . شمر قمباز القصير المهلهل ، وبال عليهم دون ان يحسب لما سيحل به بعد ذلك من حساب . وكان هم سليم كله ان « يقل » قيمتهم ، وان يشعرهم بأنهم ليسوا رجالا ، لانهم لا يثورون لرجولتهم الا عندما يكون الامر متعلقا به . اما عندما يضربهم الجنود الاسرائيليون ويشتمونهم ، فلا احد منهم يجرؤ على رفع رأسه ، بل ينسلون كل الى بيته كالنعاج ، الا انه باء بالفشل هذه المرة ايضا ، ولم ينبه غير الضرب والرفس من « ابو كرش » كما كان يسمي سعيد الزرعيني صاحب المقهى ، بعد ان انصب بوله على مجمرة نرجيلته فقطع عليه « كيفه » وحرمه لذة « النفس » ، فصمم على الانتقام هذه المرة من « ابو كرش » ومن كل من يجلس على مقهاه انتقاما شديدا .

وقد شغلته قضية الانتقام هذه عدة ايام متوالية ، بعد ان سيطرت عليه تلك الفكرة الرائعة ، بأن يغافل احد الجنود اليهود ، ويسرق بندقيته ويخفيها في مكان ما من المقهى ، ثم يوعز للجنود بشكل من الاشكال كي يعثروا عليها ، فيرفشوا في كرش « ابو كرش » ويجروه مع كل من في المقهى الى السجن . الا انه تصور نفسه وهو يهمس في اذن احد الجنود اليهود يدله على مكان البندقية ، والنجمة تلمع فوق رأسه وهو ينحني عليه ، فاحس برعشة باردة تهزه ، وراح يلعن نفسه لوصوله الى مثل هذه الفكرة الخبيثة ، التي ستحوله الى « داسوس » وتقرب النجمة « المسننة » من من جبينه ، فأقلع عنها وهو غاضب من نفسه ، حتى انه راح يضرب رأسه بقبضته لاخراجها من مخه نهائيا . وما ان كاد يخرجها حتى وجد نفسه متورطا بفكرة اكثر تعقيدا . وهي ان يكمن للجنود خلف المقهى في الليل بعد ان يسرق البندقية ، ويطلق النار عليهم ويختفي ، مما سيحمل الجنود على الاعتقاد بأن « ابو كرش » هو الذي فعل ذلك ، فيبعجوا له كرشه ويغلقوا له المقهى ، وربما نال كل من الزبائن نصيبه من الضرب والرفس والاهانة ، مما سيجعلهم يطلقون النار فعلا على الجنود كي ينتقموا لانفسهم ، وخاصة محمود « ابو شنب » ، الذي لا ينفك عن تفتيل شنبه المعطر امام الذاهبة والآتية من صبايا المخيم .

شد سليم البهلول على رأسه بكلتا يديه ، يوقف تفكيره عن الجري داخله ، وقلبه يكاد يطير من الهلع ، مجرد ان قفزت صورته الى مخيلته وهو يحمل البندقية الرشاشة ، وطلقاتها السريعة تتلاحق من بين يديه ، اللتين راحتا ترتعشان بسرعة عجيبة ، واقسم ان لا يعود الى التفكير في ذلك مطلقا . لانه لو فعل ذلك ، فان البندقية سترتد حتما الى صدره وتقتله ، مما سيسبب حزنا عميقا لحبيبته « فطوم » ، بل ويعطي فرصة لجميع اعدائه للشماتة به . وهكذا اقلع سليم البهلول عن هذه الفكرة ايضا . بل وكف نهائيا عن التفكير بالانتقام من « ابو كرش » و « ابو شنب » ، كي لا يورطه ذلك بفكرة اخرى تسبب له الخوف والهلع .

وفيما كان يسير في اتجاه المقهى ذات يوم ، لاح الرجال ذووا المنامات المخططة له ، وتناهت اليه فرقعات احجار النرد ، فراح قلبه يخفق بسرعة ، وعاودته فكرة الانتقام منهم مرة اخرى . وسرعان ما تشابكت كل المخططات القديمة في رأسه وغاب عن كل شيء . ولم يعد الى نفسه ، الا حين احس فجأة على هدير السيارة العسكرية من خلفه تكاد تدهمه ، وهي تطلق صفارتها بشكل مفاجيء . وقبل ان يسارع الى تجنبها دفعه احد الجنود بعقب بندقيته وهو يطلق ضحكة ساخرة ، فسقط سليم على وجهه وسط الغبار المنعقد فوق رأسه . فسارع الى النهوض ، وقد تملكه الغضب والحقد وهو يلحقهم ببصقة كبيرة ، وما ان هم بجمع بصاقه مرة اخرى حتى اكتشف انه كان يقبض على حجر مدور في يده ، ورغم ان السيارة قد ابتعدت عن مرمى حجره ، الا انه قذفه خلفها بكل قوته ، وهو لا يزال يترنح ، فسقط على الارض مرة اخرى .

اطلق محمود « ابو شنب » ضحكة عالية ، وراح شنبه يتراقص كفكي عقرب هائج على وجنتيه العريضتين اللامعتين . اما « ابو كرش » ، فكاد يغمى عليه من الضحك ، وهو لا يستطيع ابعاد مبسم النرجيله عن شفتيه ، فشرق بمائها وراح يسعل ضاحكا ، وكرشه المتضخم يتناثر بحركات غريبة نحو ذقنه .

نهض سليم البهلول ، وهو يجمع لعابه متذوقا فيه طعم الدم ، ونظراته المتوقدة لا تزال تتعلق بشنب محمود المتراقص حول انفه الضخم ، وبكرش سعيد الزرعيني المتناثر على ركبتيه ، فراح ينفض التراب عن ثيابه المهلهلة وهو يتعثر في مشيته نحوهما ، وما ان مر بهما حتى نثر بصاقه عليهما وانطلق هاربا .

وفيما كان يجري ، لمعت في ذهنه ، تلك الفكرة التي كان يبحث عنها طيلة الوقت دون ان تسبب له الخوف والهلع . فتوقف لاهثا وهو يلتفت خلفه باحثا اذا ما كان ثمة من يلاحقه ، وقد تهلل وجهه وارتسمت على شفتيه بسمة انتصار عريضة .

فرك يديه وعيناه تجولان الطريق حوله ، فوقع نظره على حجر كبير مدور . انفرجت شفتاه . سال اللعاب من بسمته . تقدم نحوه . نظر حواليه يغافل المارة . انحنى عليه . التقطه . دسه في عبه وانطلق .

انحنى في اول زقاق ، واستدار خلف المقهى . التصق بالجدار ، وربض في انتظار الدورية الاسرائيلية حتى تعود . تلفت حوله . تثبتت عيناه في اول الطريق . تحفزت اعصابه . تعلقت عيناه بقرص الشمس . كانت الشمس تتعلق في نهاية المخيم . دمعت عيناه . خيل اليه انها تكاد تسقط فوق البيوت . دق قلبه بسرعة . سقطت عيناه على اول الطريق مرة اخرى .

اطلت الدورية . كانت السيارة تسير بسرعة جنونية ، مثيرة خلفها زوبعة من الغبار ونفايات الاشياء . ارتعشت يد سليم . حك ظهره بالجدار ناهضا ببطء ، كما لو كان يريد الدخول فيه ، وقد اخذ قلبه يخفق بسرعة عجيبة ، وانفاسه تتلاحق بانتظام مكبوت . شدت يداه على الحجر . كورهما . نفخ فيهما . اقتربت السيارة . نقل الحجر الى كفه اليمنى . تلاحقت انفاسه على الحجر بسرعة . مرت السيارة . اتبعها الحجر بكل ما يملك من قوة ، والتصق بالجدار وهو ينتفض .

اصاب الحجر احد الجنود في رأسه ، فأطلق صرخة رهيبة اطارت قلب سليم من الهلع . ارتعشت ساقاه . امسك بالجدار .

صرت عجلات السيارة بشدة . توقفت . توقفت ايدي اللاعبين في المقهى على النرد والورق . عادت السيارة بسرعة مذهلة ، تجمد سليم على الجدار . توقفت ثانية . تجمد محمود « ابو شنب » و « ابو كرش » ، وكل من يجلس على المقهى في اماكنهم، دون ان يعوا ما الذي حدث .

وقبل ان يصحو « ابو كرش » لنفسه ، وينهض للاستفسار عما حدث بلهجته المتملقة ، كان الجنود قد قفزوا من السيارة وراحوا يعملون بالجالسين اعقاب بنادقهم واحذيتهم الثقيلة ، دون اي سؤال .

وما كاد سليم البهلول يرى ضابط الدورية يدوس بحذائه على شنب محمود « ابو شنب » وهو يتمرغ بالتراب ، حتى نسي خوفه وراح يغالب ضحكه خوف اكتشافه ، الا انه وجد نفسه يقهقه باعلى صوته ، حين سقط « ابو كرش » على الارض من شدة الضرب ، وراح يتمرغ بين ارجل الجنود ، وكرشه يعلو ويهبط ككرش ثور مطحول ، مما فضح امره ، فلاذ بالفرار باقصى سرعة ، مشمرا عن ساقيه المعوجتين ، مصطدما بكل ما يصادفه في الطريق .

★ ★ ★

والحقيقة ان قضية احتلال اليهود هذه للضفة الغربية ، وعدم انسحابهم منها ، لم تكن لتطرأ على بال سليم البهلول مطلقا ، الا حين كانت سيارة الدورية تمر وسط المخيم بسرعة جنونية ، فتفزع اطفال المخيم الذين يلعبون في الطريق ، وتروع الدجاج والحمام الذي يبدأ بالتطاير والزعيق ، مما كان يربكه ، ويدب فيه الرعب ، فلا يدري اذا ما كان عليه ان يفر امام الدجاج المتراطم بساقيه ووجهه ، ام امام السيارة المتفتلة في الزقاق كالزوبعة وتكاد تهرصه بالجدار ، بالاضافة الى ضحك الجنود منه وزغته بفوهات البنادق التي ما ان يراها تمتد نحوه حتى يتوقف قلبه خوفا من نيرانها التي قد يلعب الشيطان بها ذات مرة ، فتخترق صدره وتقتله .

ولولا ان «عمر الشقي بقي» ، كما كان يقول له « ابو كرش » دائما لكانت السيارة دهسته منذ زمن . ولكنه كان ينجو من دهس مؤكد في كل مرة كانت تمر فيها الدورية من وسط المخيم .

اما الشيخ عبد الرحيم « ابو دقن مقمله » كما كان يسميه سليم . فقد كان اكثر الناس تمنيا له بالموت ، وخاصة تحت عجلات سيارة الجنود اليهود ، مما كان يزيد من عدائه له ، وحقده عليه ، فلو انه كان يتمنى له الموت العادي ، او حتى الموت تحت عجلات سيارة احد ابناء المخيم ، لما زاد ذلك من حقده عليه ، اما ان يتمنى له الموت تحت عجلات سيارة الجنود اليهود الذين يحتلون المخيم ، فهذه ميتة لن يقبلها .

ولو توقف الامر عند ذلك من استفزازات جنود الاحتلال له ، لربما كان سليم البهلول يكتفي بالبصاق عليهم كلما مروا وشتمهم ، ولربما نسي مع الوقت حكاية الاحتلال هذه، لو لم يطلع الجنود عليه بحكاية جديدة ، لم تكن لتطرأ على باله البتة .

فبينما كان يجلس ذات يوم على درب الحنفيات يداعب الفتيات ، واذا بسيارة الجنود تتوقف في وسط الطريق، وراح احدهم يدعو الناس من مكبر للصوت في يده،ان يذهبوا الى بيوتهم ولا يخرجوا بأمر من الحاكم العسكري ، وانهم سيطلقون النار على كل من تأخر او خرج من بيته ، حتى يسمحوا لهم بالخروج مرة اخرى . الا ان سليم

راح يضحك منهم ، وقد ظن ان الجندي قد اصابه شيء من الجنون ، ولكنه عندما رأى الناس يتراكضون الى بيوتهم ، والفتيات كففن عن ملء جرارهن واسرعن الى العودة ، وقف سليم في طريقهن محاولا منعهن من الانصياع لاوامر هذا الجندي المجنون، وان عليهن سماع ما يقوله لهن من اذن واخراجه من الاذن الاخرى ، الى ان وجد نفسه فجأة ، يقف في عرض الطريق وحيدا ، دون ان يفقه ما الذي حصل ، وكيف انصاع الناس لكلام هذا الجندي المجنون بينما لم يستمع اليه احد ، ولم يصح من افكاره هذه الا على صوت الرصاص يتناثر بين رجليه ، فوضع طرف قميازه بين اسنانه وولى هاربا ، وقلبه يخفق هلعا ، ثم قبع في المغارة التي كان يسكنها في وسط المخيم . ولم يستطع الخروج ليومين متتاليين ، اذ ما كان يحاول ذلك ويطل برأسه من المغارة ، حتى يلعلع الرصاص حوله ، فيعود وهو يرتعش من الخوف ، حتى انه شعر ذات مرة بانه يكاد يبول في ثيابه ،فاقلع عن فكرة الخروج صابرا على الجوع والعطش ،ومكتفيا بشتم الجنود والبصاق عليهم من داخل المغارة .

ولم تتوقف حكاية منع التجول عند هذه المرة، بل راحت تتكرر المرة تلو المرة، فتمنعه من الذهاب الى الحنفيات وجلب الماء لحبيبته فاطمة ، والتي يدعوها هو « فطومة ست البنات » ، والقيام بما تطلبه من خدمات ، كي لا تتعب ، ولكي يكيد جميع بنات المخيم اللواتي لم ينجحن في محاولاتهن لاستمالة قلبه ، وتحويله عن حب « فطومة » حتى ولا « الست » عايده « ام تنوره قصيره » ، كما كان يسميها ، والتي وعدته بالزواج منه اذا ما احبها وتخلى عن حبه « لفطومة » . رغم ان فطومة متزوجة وام لثلاثة اطفال ، بينما انست عايدة لا تزال صبية كالغزال .

★ ★ ★

وقصة حب سليم البهلول « لفطومة » ، وفقدانه لعقله ، تعود الى اكثر من خمس سنوات ، وهي الفترة التي مضت عليه منذ ان استقر في مخيم جنين ، بعد ان اقام في جميع مخيمات اللاجئين من قبل . وثمة من يردها الى عام « الهجيج الاول » حين كان سليم لا يزال صبيا ، وفاطمة لا تزال طفلة صغيره بعد ، وانه منذ ذلك الوقت وهو يبحث عنها في كل مكان ، ويتنقل من مخيم الى مخيم ، الى ان طاف جميع مخيمات اللاجئين في الجزء الذي لم يحتله الاسرائيليون من فلسطين ، حيث كان يقيم سنة او سنتين علّه يعثر عليها . بل وفي كل مخيمات اللاجئين في لبنان والاردن .

والغريب انه لم يكن يسأل عنها قط . وانما كان يعتمد في بحثه عنها على علامات فارقة في جسدها لم يهتد احد اليها رغم اجتهادهم ، او على دليل آخر لا بد يحتفظ به كل ذلك الوقت ، ولهذا كان دائم الجلوس على درب الحنفيات الى ان اصبح ذلك عادة ثابتة لديه حتى بعد ان وجدها .

هذه هي الرواية التي اجمع عليها اكثرية اللاجئين في المخيم ، على اختلاف القرى والمدن التي نزحوا منها ، ولكن مع اختلاف واحد ، فمنهم من يقول انها حبيبة صباه ، ومنهم من يروي انها لا بد وتكون اخته ، لشدة الشبه بينهما ، ولذلك الحب الذي تغمره به ، وذلك العطف الشديد عليه . فاطمة تطعمه . وفاطمة تغسل له ثيابه وترتقها . وفاطمة تقص له شعره وتقلم اظافره ، بل واسكنته في براكية من التنك بنتها له بنفسها في ساحة البيت المخصصة لها ، ولولا ضيق حماتها به منذ الشهر الاول وطرده رغما عنها لابقته بقربها ، ولما كان يسكن المغارة الواقعة في وسط المخيم ، والتي كانت تستعمل ملجأ للاطفال من غارات الطائرات الاسرائيلية على المخيم ، ومبولة للصغار

والكبار . اما سليم فعلى الرغـــم من كـسل التأويلات يدعوها حبيبته « فطومه » ، ونـــور عينـــه .

وكثيرا ما كانت النساء تحاول الكشف عن هذا السر من فم سليم البهلول نفسه ، الا انه كان يغضب لمجرد سؤاله ، ويشتم كل من تحاول سؤاله وجره للحديث عـــن « فطومة » ، ثم يقاطعها ويناصبها العداء . اما العجائز منهن ، فلم يكن ليشغلهـــن ويقلقهن من كل تلك الروايات التي تحاك حول سليم البهلول وفاطمة غير شيء واحد فقط ، وهو اذا ما كان سليم البهلول رجلا ككل الرجال ام لا . فكن يتعمدن مداعبته ، ولكزه في اسفل بطنه حتى يغرق في الضحك ويستلقي على ظهره ، بينما تتعلق اعينهن في تنية قمبازه علّه ينحسر ولو قليلا ، كي يستطعن اكتشاف ما يردن اكتشافه ، الا انه كان يعرف نواياهن ، فيشد على اطراف قمبازه بكلتا يديه ، امعانا في استثارة فضولهن وتعذيبهن ، بل وكان يلكزهن بدوره في مؤخراتهن ، فيتصنعن الغضب ويضربنه . اما الحاجة وفيه فقد كانت تتعمد ضربه على فخذيه ، ولما احس سليم ان يدها بدأت ترتفع ذات مرة على فخذه نحو وركيه ، صك فخذيه وعضها في ذراعها ، ثم ولى هاربا ، وصار يتحاشى الاقتراب منها .

والذين يعرفون سليم من قرية زرعين ، يؤكدون على انه كان في طفولته جميـــــلا ووادعا . حتى ان كثيرا من النساء ممن كن يترددن في شهور حملهن الاولى على بيت والديه كي يداعبنه . وكانت ام فاطمة اكثرهن ترددا وهي في شهور وحامها لقربهـــا من بيتهم ، فولدت فاطمة شديدة الشبه به ، وقد امضيا سني طفولتيهما في قريـــــة زرعين ، الى ان اجتاحتها عصابات « الها جاناه » وشتتت اهلها ثم اضرمت النار فيها .

الا ان الشيخ عبد الرحيم ، كان الوحيد الذي لم يقتنع بقصة جنون سليم ، وانـــــه ليس الا ماجنا فاسقا يتستر بجنونه على فسوقه . وكل ما في الامر ان « ابو ، دقـــن مقمله » ، كان يحسده ويغار منه لتودد النساء في المخيم له ومداعبته ، بينما ينفرن منه ولا يقتربن منه البته ، لانه دائم النظر الى ارداقهن المهتزة كلما مررن به ، او الـــى صدورهن العامرة ، بل وكثيرا ما كان يتعمد حك جسمه بأرداف الفتيات كلما سنحت له الفرصة بذلك ، متصنعا التودد لهن ومباركتهن . ولكي يخفي نواياه السيئة هذه ، لم يلق الا سليم البهلول يتستر خلفه ، فراح يشيع عنه انه فاسق وماجن وما مصيره الا جهنم وعذاب السعير ، مما كان يجعل بدن سليم يكش لمجرد ان يتصور نفســـــه يتقلب في النار ، وكلما احترق جلده يتبدل ليحترق ثانية ، فيغمض عينيه ويحاول الهرب من هذه الصورة البشعة لنفسه . ثم يقنع نفسه ان الله لا يمكن ان يكون قاسيا الـــى هذا الحد ، ويلعن « ابو دقن مقمله » لافترائه على الله ووصفـــــه بهـــذه الاوصاف القبيحة ، وحين رأه سليم ذات يوم يتلصص على افخاذ الحاجة وفية من شقوق باب الدار وهي تجلس خلف « لجن » الغسيل نصف عارية ، راح يزفه في عرض الطريق باعلى صوته وهو يصفق بيديه لكي يفضحه بين الناس ، مما اثار غضب الشيخ عبـــد الرحيم وزاد من سخطه عليه ، وانهال عليه ضربا بمحجانته .

وحين هبت الحاجة وفية خارجة من بوابة الدار بعد ان تسترت ، للدفاع عنـــــه وحالت دونه ودون محجانته قائلة بأن « ليس على المجنون حرج » كما جاء في القرآن الكريم ، راح الشيخ عبد الرحيم يستغفر ربه ، وهو لا يزال يلوح نحوه بعصاه مـــن فوق كتفها وهو يلتصق بها ، مؤكدا انه ليس مجنونا وانما هـــو فـــاسق ، يسكنـــــه شيطان رجيم ، وسيفسد عليها حجتها اذا ما ظلت تعطف عليه وتدافع عنه .

وحين احتلت القوات الاسرائيلية الغازية مخيم جنين ، وطالت حكايا الحرب وما خلفته على السن الناس ، نسي الشيخ عبد الرحيم حكاية سليم البهلول ، بل وكف الناس عن الانشغال بقصة حبه « لفطومة » ، وانسياء كفت عن التحلق حوله ومداعبته واستدراجه للحديث ، مما ملأ نفسه حزنا ونقمة على هؤلاء اليهود الذين اتوا وعكروا عليه حياته ، ولولا انه كان يلاحقهم بالشتائم والبصاق ومن ثم رجم الجالسين على المقهى ، لكان الناس في المخيم قد نسوا وجوده مطلقا . ولكنه ما كاد يفعل فعلته الاخيرة مع الجنود ومحمود « ابو شنب » ، و « ابو كرش » حتى عاد مرة اخرى ليتوسط الاحاديث والحكايا كأيام زمان .

ورغم انه كان سعيدا بذلك ، الا انه لم يجرؤ على المرور من امام مقهى « ابو كرش » لعدة ايام متتالية ، بعد ان سمع بأن الجنود كادوا يقتلون محمود « ابو شنب » ثم جروه من شعره وهو غائب عن وعيه ، وقذفوا به داخل السيارة تحت ارجلهم واخذوه . بينما لا يزال « ابو كرش » طريح الفراش ولا يستطيع النهوض بعد ان كسروا له ضلعين ، فترك شؤون المقهى لابنه جابر ، الذي لا ينفك يترقب مروره من امام المقهى كي يكسر عظامه ، بعد ان عجز وباقي الرجال من العثور عليه في المخيم ، ذلك اليوم ، ولولا ان «فطومة» اخفته في بيتها وحمته ، لكانوا قتلوه كما كانوا يهددون، يحرضهم الشيخ عبد الرحيم ابو « لحيه مقمله » ، مقسما ان سليم البهلول ، ليس ماجنا وفاسقا كما كان يقول عنه دائما وحسب ، وانما هو « شوعي » ملحد ولا بد من طرده من المخيم ، والا فانه سيجر الدمار على المخيم كله ، وخاصة اذا اكتشف الاسرائيليون ذلك ، وعندها ستكون المصيبة مصيبتهن . ويبدؤون باعتقال الناس وحبسهم ، ولكي يؤكد ذلك راح يقسم بأنه رآه في سجن جنين مع زوج فاطمة « الشوعي » مثله اكثر من مرة ، حين كان يذهب يوم الجمعة ليؤم بالمصلين من المساجين ايام حكم الاردن ، حيث لم يركعا خلفه ركعة واحدة ، ثم نقلوهما الى الجفر كي لا يسمما افكار المساجين بارائهما الهدامة حيث مات زوج فاطمة وبقي سليم ، الذي ما ان خرج من السجن حتى صار يبحث عن زوجة صديقه وشريكه في الالحاد لكي يعيش معها على الطريقة « الشوعية » .

وقبل ان يتوقف الشيخ عبد الرحيم من تحريضه عليه رغم شفاعة الحاجة وفية له خرج محمود « أبو شنب » من السجن . وما كاد يدخل المخيم حتى انهال الناس عليه، يسألونه عما فعله به « اليهود » ، واذا ما كانوا قد عذبوه كثيرا وكيف .

الا ان محمود « ابو شنب » رفض التحدث الى اي احد في المخيم ، حتى ولا الى صديقه الحميم « أبو كرش » ، وقد اوصى والدته ان لا تفتح الباب لاي طارق مطلقا . اما سليم البهلول فما كاد يسمع ان محمود « أبو شنب » قد خرج من السجن ، حتى سارع الى بيت « فطومة » كي تخفيه من وجهه ، لئلا يقتله ، خاصة بعد ان عرف ان اليهود ، قد قصوا له شنبه ، ولم يكن سليم يتصور انه سيجر على « فطومة » ، مصيبة اكبر مما قد جره عليها حتى الآن .

فما كاد يمر اليوم الاول على خروج محمود «ابو شنب» ، حتى راح الناس يتجنبون المرور من امام بيتها، بل وكفت النساء عن التحدث اليها، والابتعاد عن طريقها كلما رأوها مقبلة في الطريق . واذا ما مرت بأناس يتحدثون ، صمتوا الى ان تبتعد عنهم ، دون ان يردوا عليها تحيتها . حتى « أبو صالح الدكنجي » الذي كان يرحب بها دائما ، اخبرها انه لا يستطيع بيعها اي شيء على الحساب وعليها ان تسدد الحساب القديم ،

فغامت الدنيا في عينيها وخرجت من دكان « ابو صالح » ودموعها تسح على وجنتيها بضمت .

كان سليم البهلول يحبو في ساحة الدار ، بينما اعتلى اطفال فاطمة ظهره وراحوا ينهرونه ويلكزونه كانحمار في خاصرتيه ، حين دخلت فاطمة ودموعها لا تزال تسح فوق وجنتيها ، فقفز الاطفال عن ظهره وتعلقوا بثوب امهم ، بينما نهض سليم ببطء وهو يضحك ضحكته البلهاء المتقطعة ، التي سرعان ما تجمدت على شفتيه حين غصت بدمعها وهي تأخذ اطفالها متجهة بهم الى الداخل ، ثم اقفلت الباب خلفها . فوقف سليم ينظر الى الباب المغلق وهو لا يستوعب ما الذي حدث ، ثم طأطأ رأسه وخرج ، وهو يحس برغبة ملحة بالموت .

انكفأ سليم البهلول على نفسه ، واصبح لا يغادر مغارته الا عندما لا يجد ما يأكله ، فيذهب الى « فطومة » ، ويقف خارج البيت وينأديها ، فيخرج اليه احد اطفالها يحمل بعض الارغفة والبطاطا المسلوقة او حبات زيتون ، فيأخذها ويعود ادراجه الى المغارة عارضا عن مداعبة الصبية له .

وحين كانت « فطومة » هي التي تخرج اليه ، كانت تمسكه من يده وتدخله ، فينقاد الى يدها دون ان يستطيع النظر اليها ، ثم تسخن الماء له ، وتغسل له شعره الطويل ، كما كانت تفعل في السابق ، ثم تضع الطعام الساخن له وتحضر الشاي ، فيتناول طعامه على عجل ليعود بعدها الى مغارته ، وينزوي مرة اخرى ليفكر من جديد بقضية الاحتلال هذه وما آلت اليه حاله ، وكيف سيتخلص من هؤلاء « اليهود » ويحملهم على الانسحاب ، كي تعود الحياة في المخيم الى سابق عهدها ، فتعود اليه ايامه الحلوة التي ضاعت ، ويعود الى « فطومة » الفرح .

★ ★ ★

مر اسبوع كامل على سليم البهلول دون ان يذهب الى بيت فاطمة ، ودون ان يراه احد في المخيم ، الا ان احدا لم يفطن الى غيابه ، بعد ان تعود الناس انزواءه وابتعاده عنهم . ولولا افتقاد الاطفال له واستهوائهم لرجمه في لعبهم واغاظته، لما كان يفطن اليه احد ، سوى فاطمة التي افتقدته منذ اليوم الثالث لاختفائه ، اذ ارسلت ابنها يحمل الطعام له فلم يجده فوضع الطعام في المغارة وعاد ليخبر أمه انه لم يجده ، فعادت وارسلته في المساء ليرى اذا ما كان قد عاد ، ومن ثم في صباح اليوم التالي ، الا انه كان يعود ويخبرها انه لم يجده، وانه لميجد سوى القطط التي كانت تأكل الطعام الذي وضعه له في المغارة .

وسرعان ما شاع خبر اختفاء سليم في المخيم وانتشر . قال البعض انه لا بد وان يكون قد « فطس » في المغارة دون ان يدري به احد ، الا انهم سرعان ما اكتشفوا انه لم « يفطس » وانه قد نقل معه « طراحته » التي كان ينام عليها ، فقال البعض الاخر انه لا بد وان يكون قد انتقل الى بيت فاطمة ، وانها قررت اخفاءه في بيتها والعيش معه خفية .

وما كاد هذا الخبر يشيع ، حتى وجدت فاطمة نفسها محط ود جميع العجائز في المخيم ، اللواتي انهلن عليها بزياراتهن المتواترة يحملن لها ولاولادها الهدايا الصغيرة، فما ان تشيع احداهن حتى تستقبل الاخرى ، وفاطمة لا تفقه مما يجري حولها شيئا . وقبل ان تخرج من حيرتها لهذه الزيارات المفاجئة لها وهذا الحب الذي تغمرها به

العجائز فجأة ، كفت العجائز عن زيارتها مرة واحدة ، ورحن يؤكدن ان فاطمة لا بد وان تكون قد اخفته في مكان مسحور ، اذ انهن لم يتركن زاوية واحدة الا وبحثن فيها عن سليم ، الا انهن لم يعثرن له على اثر .

فراح محمود « ابو شنب » ، يؤكد مرة اخرى وبسمة العارف في الاشياء على شفتيه ، انه كان يعرف ما يقول ، حين كشف للناس عندما خرج من السجن ان سليم كان « داسوسا » لليهود ، والبرهان على ذلك انه حمل « شروشه » ورحل ، عندما فضحه في المخيم كله ، ومن يعلم الى اي المخيمات ارسله « اليهود » هذه المرة ليمثل دور البهلول كي « يتدسس » على الناس لهم .

ولكن الشيخ عبد الرحيم ، رغم انه وافق محمود ابو شنب ، على ان سليم البهلول ما هو الا « داسوس » للصهاينة ، فانه لم يتنازل عن رأيه السابق فيه ، واصر على انه « شوعي » ملحد ، وما كونه « داسوسا » للصهاينة الا تأكيدا اخر على انه « شوعي » ، لان « المسكوب » كلهم صهاينة ، والدليل على ذلك ان الذي انشأ « الشوعية » في روسيا ، هو يهودي صهيوني ، ولهذا ساعدوا اسرائيل على كسر العرب واحتلال فلسطين كلها ، بحيث اعطوهم سلاحا فاسدا ، ودبابات لا تسير في الصحراء ، وطائرات تنفجر لوحدها في الجو ، ثم ورطوهم في الحرب ولم يوقفوا النار حتى انتصرت اسرائيل عليهم ، اما سليم البهلول فهو واحد من مئات « الدواسيس » الذين بثوهم في الضفة الغربية وسوريا ومصر ، لكي يزودوهم بالمعلومات الدقيقة عن مواقع الجيوش العربية ، ولكي يرشدوا الطائرات التي كانت تقصف هذه المواقع كما اثبتت الحرب . ولذلك فان سليم البهلول نجا بجلده وهرب حين افتضح امره ، ولم يعد قادرا على بث ارائه السامة في المخيم. ومن يدري الى اين هذه المرة، حيث سيكف عن تمثيل دور البهلول ، وتغييره بدور « السنكري » او « الاسكافي » ، لان هؤلاء « الشوعيين » ، مدربون على كل شيء ، مؤكدا بأنه يعرف هؤلاء « الشوعيين » جيدا منذ ان كان في مصر ايام الملك فاروق ، ويعرف كل الاعيبهم ، بل وراهن على ان سليم البهلول ، يعتمر العمة الآن ويلبس الجبه في مخيم آخر او في احدى قرى الضفة الغربية ، ويؤم بالناس . لان كل من سمع عنهم من امثال سليم من « الشوعيين » ، يحفظون القرآن عن ظهر قلب ، ويعرفون في اصول الدين ، وكأنهم قد تخرجوا من الازهر الشريف ، كي يستطيعوا تزوير الدين والافتراء على الله كذبا ، ليحملوا الناس على الالحاد ، والعياذ بالله .

اما فاطمة ، فقد حزنت على اختفاء سليم ، محملة نفسها الذنب في اختفائه لاهمالها له ، وقد ساورها الخوف عليه ، اذ لا بد وان يصطدم بدورية لجنود الاحتلال في الجبال فيقتلوه ، واذا ما نجا من رصاص المحتلين فانه لن ينجو من الوحوش التي تملأ الوعر .

كاد الناس ينسون قصة اختفاء سليم البهلول من مخيم جنين ، بعد يومين او ثلاثة من اكتشاف ذلك ، لولا تلك اللعنة التي حلت بالمخيم كله فجأة . فقد صحا الناس ذات ليلة على لعلعات الرصاص في ازقة المخيم . وقبل ان يعرفوا ما الذي حصل ، كان جنود الاحتلال يداهمون البيوت ، وسلاحهم مصوب الى صدورهم مقتادين كل الرجال والشباب الى سياراتهم العسكرية ، بعد ان كانوا يقلبون البيوت رأسا على عقب بحثا عن « المخربين » الذين يختبئون داخل البيوت .

واغرب ما في الامر ان الجنود كانوا يتفحصون كل فأس يعثرون عليه ، نسم

يصادرونه ، مما اخار اهالي المخيم ، اذ لم يستطيعوا فهم العلاقة ما بين بحث الجنود عن « المخربين » كما كانوا يدعون الفدائيين الفلسطينيين ، وعن الفؤوس في آن واحد ، حيث ظل الامر لغزا مبهما حتى الصباح ، اذ سرعان ما شاع في المخيم ان احد الجنود قد لقي مصرعه في الليل بضربة فأس قوية في رأسه وجرد من سلاحه ، اثناء قيامه بدورية في ازقة المخيم .

كانت هذه هي المرة الثالثة التي يداهم فيها جنود الاحتلال بيوت المخيم ، بحثا عن الفدائيين الذين بدأت الاذاعات ومقهى سعيد الزرعيني تتداول اخبارهم واخبار معاركهم مع جنود الاحتلال بالقرب من نهر الاردن ، وفي جبال طوباس والخليل ، الا ان هذه المرة كانت تختلف عن سابقتيها ، فبينما كان الجنود يبحثون في المرتين السابقتين عن فدائيين مرت آثارهم بالقرب من المخيم ، كانوا يبحثون هذه المرة عن فدائيين ، يقولون انهم من ابناء المخيم نفسه . فاعتقلوا معظم الرجال والشباب الصغار ، وفرضوا منع التجول على المخيم ليل نهار ، ولا يزالون يحاصرونه من كل الجهات وفي كل الازقة ، مهددين باطلاق النار على كل من يخرق منع التجول ، ولكي يثبتوا انهم يعنون ما يقولون ، راحوا يطلقون النار في الهواء بين الفينة والاخرى لالقاء الرعب في قلوب الاهالي . بل واطلقوا النار على عنزة الحاجة وفية واردوها قتيلة ، مجرد ان اطلت من باب الدار ، وكادوا يقتلون الحاجة وفية نفسها ، لولا انها كانت لا تزال على عتبة الدار حين اطلقوا النار .

واتجهت كل الافكار الى محمود ابو شنب ، الذي داهمه الجنود في بيته ، وجروه وهم يضربونه باعقاب البنادق ، ودمه يطفح من فمه ، اذ ان جميع اهل المخيم يعرفون ان محمود ابو شنب « ولد نشمه » ولم يفوت في حياته اهانه تلحق به دون ان ينتقم لنفسه ، وخاصة اذا كانت هذه الاهانة تتعلق بشنبه المفتول ، الذي كان يعتز به ويعطره منذ مطلع شبابه ، وانه لا بد وان يكون قد انضم الى الفدائيين الفلسطينيين منذ ان خرج من السجن ، دون ان يشعر به احد ، ولهذا كف عن الجلوس على مقهى سعيد الزرعيني ، ومعاكسة الفتيات ، ومما يؤكد ذلك ان الجنود قد عثروا على الفأس الملطخة بالدم في الزقاق بالقرب من بيته ، وسرعان ما راح الناس يهمسون باسمه همسا كما يليق بالابطال ، كي لا يسمعهم الجنود الذين « يتمرسون » في الازقة خلف النوافذ والابواب ، فيثبتون التهمة عليه ، لان بطلا مثل محمود لا يمكن ان يعترف لهم ، ولا بد وان يخرج في النهاية ليستأنف عمله الفدائي مرة اخرى .

ونام الناس في الليلة التالية ما بين مصدق نبأ انضمام محمود ابو شنب الى الفدائيين الفلسطينيين وغير مصدق . اذ انه لو كان فدائيا حقيقيا لما كان يقتل الجندي الاسرائيلي بالفأس ، ولكان اطلق النار عليه من بندقية رشاشة من نوع كلاشنكوف ، او رماه بقنبلة يدوية كما يفعل الفدائيون في غزة ، بل لكان يقضي على الدورية كلها .

وما كادوا يستسلمون للنوم ، حتى لعلع الرصاص مرة اخرى في ازقة المخيم ، وتعالت صيحات الجنود المتراكضين هلعا في الازقة ، وهم يطلقون النار في كل اتجاه ، حتى لكان الرصاص يخترق النوافذ المقفلة ويصطدم بالجدران الداخلية ، مما جعل الناس الذين هبوا من نومهم فزعين ، يتجمدون في فراشهم وعيونهم الخائفة تتعلق بالابواب والنوافذ ، وقبل ان ينهضوا من فراشهم ويستعدوا لمداهمة الجنود كما في المرة السابقة ، دوت صرخة قوية في ارجاء المخيم ، تعالت على لعلعات البنادق الرشاشة واصوات الجنود تنادي « ف.. ط.. ط.. و.. م » ثم خبت .

لم ير الناس في المخيم ما الذي حدث ، الا ان بعضهم راح يؤكد ان سليم البهلول كان يتنقل من زقاق الى زقاق كالنمر ، والرصاص يتدافع من بندقيته الرشاشة نحو الجنود كالشهب وهم يتساقطون الواحد تلو الآخر ، بينما راح البعض الآخر يؤكد انه لم يكن سليم البهلول ، وانما كان محمود ابو شنب نفسه ، ولا بد ان يكون قد هرب من الجنود الاسرائيليين وهو في طريقه الى السجن وعاد ليقاتلهم .

وثمة من اكد انه لم يكن سليم البهلول ولا محمود ابو شنب ، وانما كانوا ثلاثة شبان كالفهود ، لم يستطيعوا التعرف عليهم ، لانهم كانوا ملثمين « بحطات » مرقطة، وثيابهم بلون الارض والجدران ، وحين كانوا ينتقلون من جدار الى جدار ، كانوا يمرون كالريح فلا يسمع لهم همس .

واكن الناس المقربين من الشيخ عبدالرحيم الذي اعتكف في المسجد يتعبد بعد تلك الليلة ، فيروون على لسانه ، انه عندما جره الجنود في الصباح الى المقبرة في سفح الجبل كي يتعرف على الشهيد ، مد يده ليكشف عن وجهه ، فطالعته بسمة سليم البهلول ، وقد شع من جبينه نور الهي عجيب كاد يغشى بصره ، فتلعثم لسانه ولم يعد قادرا على الكلام ة ولم يصح من غيبوبته الا عندما دقه احد الجنود بعقب بندقيته بين كتفيه . وحين مد يده الى يد سليم المسجاه الى جانبه كي يرفع شاهده ، توقفت على سوار من شعر عنبري اللون كشعر فاطمة ، يطوق معصمه .

ولكي تؤكد ما يرويه الناس عن الشيخ عبد الرحيم ، اقسمت الحاجة وفية بقبر النبي وبحجتها ، انها رأت سليم البهلول ، فيما يراه النائم تلك الليلة ، عريسا فائق الجمال ، يزفه الناس في المخيم على فرس شهباء ، وحين قطع الرصاص عليها حلمها ، سمعته ينادي بأعلى صوته « فط .. ط.. و.. م »

اما فاطمة ، فتروي الجارات عنها ، انها عندما خرجت تلبي نداء سليم البهلول وهو يخر شهيدا على عتبة بيتها ، قدت الثوب عليه ، وراحت تزغرد وتزغرد وتزغرد، حتى بعد ان جرها الجنود من شعرها المحلول وغابوا بها .

التوازنات المسلحة

ملاحظات حول الحرب الاهلية في لبنان

خالد جابر

ربما كانت الحرب الاهلية في لبنان * ، اكثر اشكال الصراع السياسي العربي دلالة في المرحلة الراهنة . فهي بؤرة صراعات عديدة ، لا تنحصر بكونها صراعا بين طرفين محددين : يساري — يميني ، مسلم — مسيحي ، فلسطيني — لبناني الخ . ، بل هي تلخيص مكثف لتاريخ لبنان الحديث والمعاصر ، بوصفه جزءا من تاريخ الصراعات في المنطقة العربية ، بكل ما تحمله هذه الصراعات من تنوع وتعددية ، لا تعني لبنان وحده بل تعنيه بوصفه كيانا ، اي بوصفه نقطة توازن عربية وعربية امبريالية .

ان المسألة اللبنانية ، لا تطرح كمسألة مستقلة . ولم يسبق لها ان طرحت هكذا . منذ امارة فخر الدين وحتى اليوم ، كانت هذه المسألة في صلب ما كان المؤرخون البرجوازيون يطلقون عليه اسم المسألة الشرقية . وما نطلق عليه نحن اليوم اسم الصراع بين الشرق العربي والامبريالية الغربية .

لم يكن تكون الكيان اللبناني في التاريخ المعاصر عام ١٩٢٠ ، حين اعلن الجنرال غورو ولادة دولة لبنان الكبير ، وليد تطور موضوعي مستقل . او وليد نضج مجموعة من الظروف الموضوعية الداخلية التي تقود الى تبلور وعي قومي يفرض انفصالا عن بلاد الشام . بل كان لحظة في التجزئة المفروضة بقوة العنف الامبريالي الخارج من الحرب العالمية الاولى والمتلهف الى مزيد من السيطرة على العالم بأسره . فأتى الكيان اللبناني ، كجزء من سيطرة تستقيم بتجزئة بلاد الشام الى دول ودويلات واعطاء الصهاينة فلسطين . ان هذه التجزئة هي الصيغة السياسية لعملية طويلة ومعقدة ، بدأت مع بعثات التبشير ، ثم بعثات التجارة ، وضربت الاقتصاد الطبيعي ، ودمرت الحرف وسحقت الانتاج . ثم اتت على اشلاء التنظيم الاجتماعي القديم ومع بروز نظام الطوائف الحديث ، كتكريس للميل الى تدمير الانتاج ، وسحق المركز العربي من اطرافه . هكذا سلخت الاقضية الاربعة ، وغرض الكيان كي يكون كيانا ، ولم يتكرس عربيا الا بعد الحرب العالمية الثانية ليلعب دور نقطة توازن مع الامبريالية . هذا التوازن هو التعبير عن عجز البرجوازية العربية وجبنها وعدم قدرتها على انجاز مهمات المرحلة الوطنية الديمقراطية .

---

* هذا المقال هو استكمال لدراستنا السلطة والتوازن في لبنان المنشورة في شؤون فلسطينية ٥٠-٥١.

ان كون الكيان ، نقطة توازن مع الامبريالية ، لا يعني ازليته . بل يعني ان انفراطه وتركيبه هو محصلة صراعات المراكز العربية مع العدو الامبريالي وبمقدار عجز هذه المراكز عن الحسم بعيد التوازن العربي ــ الامبريالي انتاج الكيان . غير ان هـــذه العلاقة الصراعية العربية ــ الامبريالية تأخذ اشكالها المحددة في لبنان ، من ضمـــن التركيبة الطائفية . فهي صراع لضرب الغلبة المارونية ، وليست صراعا من اجل فرض غلبة جديدة . اي ليست محاولة لاستتباع الطائفة الغالبة من قبل الطوائف المغلوبة . فهذا الاستتباع العكسي لا يصح اذ هو نفي للكيان نفسه .

فالكيان لا يستقيم بغير غلبة الطرف المرتبط بالغرب الامبريالي ، حيث تقيم الحركة الشعبية العربية توازنا معه . من هنا لم يكن انفراط التوازن اللبناني سنـــة ١٩٥٨ مجرد لحظة صراع على السلطة ، بل كانت صراعا على الكيان نفسه . لم تكن محاولة لتكريس مطالب طائفية ــ رغم ان هذه المطالب رفعت . بل كانت في جوهرها محاولة لرفض الصيغة ودمج لبنان بالمد القومي الصاعد .

ان الصراع داخل الكيان ، ليس صراعا داخليا . شكله الداخلي هو التعبير المباشر عن صراعات اكثر عمقا . لكن هذا الشكل الداخلي بالغ الاهمية ، لانه يعكس فعليـــا مدى نضج الحركة الوطنية العربية ، ومدى استعدادها للذهاب بعيدا في صراعها من اجل حل المسالة الوطنية الديمقراطية بشكل جذري . من هنا ، يأخذ شكل الصـــراع داخل الكيان ، طابعه المؤقت دائما ، لان الكيان نفسه هو شكل مؤقت . شكل لـــم يعترف به الا نتيجة ظروف الصراع العربي ــ الامبريالي ، ومعرض للنقض بعد ذلك ، عندما تتغير موازين القوى . وهذا ما جرى سنة ١٩٥٨ ، وما يجري حاليا منذ انـــدلاع شرارة الحرب الاهلية ، على اثر اغتيال المناضل الوطني معروف سعد .

كان هذا المدخل العام ضروريا ، لنستكشف وقائع الحرب الاهليـــة في لبنـــان ، ودلالاتها . فما هي الظواهر ، وما هي المسائل التي تطرحها هذه الحرب ؟

لبنان ١٩٧٦ :

لبنان يتغير ، ينهدم . كل شيء تغير واشياء كثيرة تهدمت . انهارت السيادة . الجيش الذي يقاتل الى جانب الكتائبيين وحلفائهم في المسلخ وحوش الامراء ، ينكفيء داخل ثكناتـــه ، ولا يستطيع القتال الى جانب شمعون في الدامور . المغاوير يهربون في الدامور . الشمال ، البقـــاع ، الجنوب ، لا مكان لسلطـــة الدولة . معارك طاحنة بين طرابلس وزغرتا . احتلال همجي للمسلخ ، تصفية الاوكار الانعزالية في الدامور . الوسط التجاري يصبح ساحة مواجهة بمختلف الاسلحة . تتوقف المعارك . المبادرة السورية . رسالة رئيس الجمهوريـــة . رغم ذلك استحالة تشكيل الحكومة وبداية حرب الثكنات . ظاهرة جيش لبنان العربي بقيادة الملازم احمد الخطيب تتسع الى حد محاولة قيادة الجيش الاستيلاء على السلطة لمنع انهيار الجيش . ١١ آذار ، انقلاب عسكري يقوده قائد موقع بيروت . جيش لبنان العربي يتابع احتلال الثكنات . قائد موقع بيروت لا يستولي على السلطة ، يستولي على الاذاعة والتلفزيون . المصفحة التي تحمي التلفزيون كتب عليها الجنود عبارة جيش لبنان العربي . الحسم السياسي يفشل ليبـــدأ الحسم العسكري . معارك طاحنة في بيروت والجبل تقود الى هزيمة عسكرية للانعزاليين . السلطة في الارض ، لا احد يلتقطها . الاحزاب الوطنيـــة تعلن هدنة مسلحة . المبعوث الاميركي براون يأتي الى بيروت . المبعوث الفرنسي

غورس يتبعه الى بيروت . الاقتصاد ينهار بشكل كامل . المصارف تنهب . الجيش رمز السلطة ينقسم ويدخل الحرب الاهلية . السلطة في الارض . لا احد يستلم السلطة .

المسألة الاساسية التي تحتاج الى تفسير وتحليل . تقع هنا . لماذا لا يتقدم تيار ثوري ليقبض على السلطة ويعلن ولادة لبنان الجديد ؟

هذا السؤال هو المدخل الى فهم الحرب الاهلية . فهم اواليتها ، عناصرها ودلالاتها.

الصراع العربي ــ الامبريالي والصراعات العربية :

بعد مجزرة عين الرمانة في ١٣ نيسان ١٩٧٥ ، بدأ الصراع المكشوف المسلح في لبنان . وبدأت الحرب الاهلية غير المعلنة منذ فشل حملة ايار ١٩٧٣ لتصفية الثورة الفلسطينية تأخذ شكلها الملموس ، بوصفها قتالا اهليا واسعا يضم مجموعات متعددة وشرائح اجتماعية مختلفة ، تتنازع مسألة السلطة في لبنان ، او جانبا بالغ الاهمية من توازناتها . هو وجود الثورة الفلسطينية او تصفيتها .

ان النظرة السريعة الى التمايزات والاستقطابات التي ولدتها الحرب الاهلية ، تشير بشكل عام الى وجود معسكرين واضحين : معسكر ما يصطلح على تسميته بالخط العربي في لبنان (الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية) والمعسكر الانعزالي . المعسكر العربي ، يرتبط بالداخل العربي ، بالقوى العربية الخارجة بنصر جزئي من حرب تشرين . والمعسكر الانعزالي يرتبط بالقوى الامبريالية . الانظمة العربية توحدها سياسة تضامن عربي اثبتت فاعليتها في حرب تشرين ، والمعسكر الامبريالي، يتراجع ، يحاول شن هجومه المضاد . هذه الصورة الواضحة ، سرعان ما بدأت تنكشف ، لتتداخل الاوراق ، وتبرز مجموعة استقطابات جديدة .

التضامن العربي يتساقط بعد اتفاقية سيناء ، والخط العربي في لبنان ينقسم الى اكثر من معسكر . هنا تواجه الثورة الفلسطينية التي تقود الصراع سياسيا وعسكريا محاولة اذابتها في استراتيجيات ليست من وضعها ، وتختلط الاوراق .

ان هذا الانقسام في الخط العربي في لبنان ، يعبر في الواقع عن حقيقة موضوعية ، تسم المسار الصراعي المعقد الذي مرت به الحرب الاهلية . فالنقطة الفاصلة في الانشقاق الحاصل تبدأ مع انهيار آخر معالم التوازن اللبناني ــ الجيش ــ عبر ظاهرة جيش لبنان العربي، وانتقال الثورة والحركة الشعبية في لبنان الى الهجوم الاستراتيجي العام ، الذي جعل من معركة الجبل معركة حسم كاملة . هنا يبدأ الانشقاق الفعلي ، وتبرز الى السطح خطوط متعارضة ، تجمد مسار القتال ، وتطرح العودة الى الحل السياسي .

اذا اردنا تحليل مسار الحرب الاهلية في لبنان ، من زاويتها المركزية ، اي بوصفها صراعا بين الحركة الوطنية العربية واللبنانية والامبريالية الاميركية ، فاننا يجب ان نتوقف عند موضوعة دراسة اوالية الصراع الذي يحكم المنطقة . فالنضال العربي ضد العدو الرئيسي الصهيوني ــ الاميركي ، استطاع ان يفرز جدلية قوانينه الخاصة من خلال الصراع نفسه . المعركة العربية مع العدو الرئيسي هي معركة قومية . اي انها معركة جميع الطبقات الوطنية العربية . لكن هذا الصراع العام يجب ان يمر بخصوصية الوضع العربي : **جدل الوحدة ــ التجزئة وبكون الصراع الطبقي محددا في التحليل الاخير .**

ان السمة الخاصة التي تلخص النفوذ الامبريالي في بلادنا ، هي تجزئة الامة العربية الى اقطار وكيانات . تحكم هذه السمة صراعاتنا مع الامبريالية . اي تحكم شكل المواجهة ومراكز انطلاقاتها ، ومسار الصراع الذي يميز كل مرحلة من مراحلها. فالدلالة السياسية التي يقدمها المطلب الوحدوي ، والصراعات الدائرة حوله ، لا يمكن اعتبارها مسألة هامشية . انها في صلب مهمات المرحلة الوطنية الديمقراطية . ان الصراع مع العدو الرئيسي الصهيوني — الامبريالي ، هو الصراع الذي يحمل المسألة الوطنية الديمقراطية بكل تعقيداتها . فنتائج ميزان القوى مع العدو الرئيسي، لا تنعكس على العلاقات الطبقية في كل قطر على حدة فقط ، بل ايضا على علاقات الاقطار والكيانات فيما بينها . هذا ما تقدمه لنا التجربة الناصرية . فالمد الوطني الناصري الذي خرج من حرب السويس وقد هزم الاستعمار القديم ، طرح مسألتين متكاملتين : الوحدة ، باعتبارها التعبير الملموس عن تغير ميزان القوى مع العدو الاستعماري الذي قام بتجزئة الامة العربية ، وتصفية الراسمال الاجنبي والكومبرادوري . والواضح ان الانكفاء الناصري والتراجع المؤقت عن الصدام مع الامبريالية الاميركية هو الذي سمح للطبقات الرجعية بضرب الوحدة ، ومحاولة الاجهاز على الحركة الناصرية ، بعد محاولتها الالتفاف على الامبريالية الاميركية في حرب اليمن . وهذا هو احد التعبيرات الواضحة التي لحرب حزيران ١٩٦٧ .

ان مسألة الصراع مع العدو الوطني ، في سبيل انجاز الاستقلال ، تمر حتما عبر تغيير الاطر السياسية التي فرضها الوجود الاستعماري . من هنا فمسألة الثورة الوطنية العربية هي بالضرورة مسألة الوحدة . ومسألة الوحدة تفترض بالضرورة تغييرات في الميزان الطبقي الداخلي . فالانقسام الى اقطار وكيانات كامن في التفتت اللامتساوي الذي احدثه الاستعمار في البنى الانتاجية العربية . وفي ضرب الدورة الاقتصادية الشرقية لمصلحة دورة جديدة تزيد في التفتت لارتباطها بخارجها . ان هذا التفتت اللامتساوي للانتاج ، يقود الى تبلور متفاوت للصراع الطبقي بين قطر واخر . ولا يجرى توحيد هذا التبلور المتفاوت عبر عملية داخلية خاصة بكل قطر على حدة ، لكنه يجرى على ارضية الصراع الوطني مع العدو الامبريالي . ان التحرك باتجاه الوحدة ، الذي هو تعبير عن تغير في ميزان القوى مع العدو الرئيسي لمصلحة الحركة الوطنية العربية ، ينضبط ضمن العلاقات الطبقية الظرفية التي لتركيبة الاقطار . فالبرجوازية تحاول ادارة المد الوحدوي بشكل يعطل انعكاسه على علاقاتها مع الطبقات المحكومة داخل قطرها ، اي على سلطتها ، وحصرا ضمن حدود اعادة توازن جديد مع الامبريالية . واذا كانت الوحدة تفترض اساسا بروز قطب موحد ، يقوم بتصفية الكيانات القائمة على دعم الامبريالية ، كي يستطيع ادارة صراعه معها بشكل يحسم مسألة ميزان القوى لصالح الحركة الوطنية العربية بشكل واضح ، فان مسألة **التضامن العربي** كانت شكلا لمواجهة هزيمة حزيران ٦٧ وذلك لثلاثة اسباب :

اولا : لان الهزيمة في الحرب الوطنية ، لا تعرض الطبقة البرجوازية الحاكمة للانهيار فقط ، بل تحمل امكانيات تعريض المجتمع ككل لخطر التفتت .

ثانيا : عجز حركة الطبقة العاملة العربية عن التصدي لقيادة الصراع الوطني مع العدو الرئيسي وطرح بناء الجبهة الوطنية العربية المتحدة التي تضم البرجوازية في لحظة بدء انهيارها ، وتحت قيادة الطبقة العاملة . يعود هذا العجز الى اسباب ذاتية وتاريخية ، ربما كان احد اهم مظاهرها عدم وجود حزب للطبقة العاملة في مصر . ان مظاهرات ٩ و ١٠ حزيران الجماهيرية الحاشدة التي طالبت ببقاء عبد الناصر في

السلطة ، عبرت عن هذا العجز الشعبي بالذات . وسمحت للبرجوازية مرة اخرى بالتصدي لمهمات توحيد المجتمع والاعداد للصدام الجديد .

ثالثا : في الوقت الذي استطاعت فيه الامبريالية الاميركية . تحقيق تقدم ملموس على الجبهة العربية . كانت مواقعها في العالم بشكل عام وفي العالم الثالث بشكل اكثر تحديدا تتعرض للتراجع . وتسمح ببروز حيز من الاستقلالية النسبية لكتلة دول العالم الثالث . هذا الحيز هو الذي سمح بتضامن عربي بعد الهزيمة . بعد ان استطاعت الانظمة الاكثر رجعية، ضرب آثار المد الوحدوي الجذري .وتصفية بؤرة حرب اليمن. وبعد ان فرضت ظروف الهزيمة على البرجوازية المصرية تراجعا ملموسا في ادارتها للصراع الوطني .

هكذا برز التضامن العربي ، عشية حرب تشرين ، ليشكل محاولة خروج من المأزق التاريخي الذي وجدت فيه البرجوازية العربية بعد هزيمة حزيران ٦٧ . فالتضامن هو الوجه الاخر للحرب المحدودة ، التي تحاول فيها البرجوازية العربية ، فرض تنازلات على العدو الصهيوني — الامبريالي دون ان تطرح مسألة وجوده اساسا . اي انها شكل صراعي محدود . من هنا يأتي التضامن العربي هشا . فالصراع مع العدو الصهيوني — الاميركي اكثر تعقيدا من الاكتفاء بفرض تنازل محدود جزئي عليه . رغم ايجابية هذا الفرض . فحين ينتقل العدو الاميركي الى الهجوم الجزئي بعد اتفاقية سيناء ، فان هذا التضامن يسقط عند اول خطوة ، وتبدأ البرجوازيات في محاولة التملص منفردة من المعركة لتحفظ رأسها . هذا التضامن هو بالضرورة تضامن هش . اي لا يستطيع الارتقاء الى مرحلة اعلى . **فالوحدة ليست مرحلة اعلى من التضامن .**

تتخذ المسألة النظرية التي نطرحها ، بعدا خاصا ، تطبقيا في الحرب الاهلية في لبنان. فالاستقطاب الذي برز بعد مجزرة عين الرمانة ، سرعان ما بدأ يتشكل وينقسم ويأخذ مسارات مختلفة . هذا التشكل ، الانقسام ، المسارات المختلفة ، يأتي من خصوصية الواقع اللبناني ، بوصفه انعكاسا للوضع العربي في نقطة تماس مع الامبريالية ، التي يشكل الكيان اللبناني جزءا من اشكال هيمنتها .

الهجوم والهجوم الوقائي :

بدأت الحرب الاهلية في لبنان رسميا بهجوم كتائبي ، تجلى في مجزرة باص عين الرمانة . فما هي خلفيات هذا الهجوم ، وما هو معناه العميق في مسار الوضع اللبناني وعلاقته بالوضع العربي .

لقد خرج لبنان من حرب ١٩٥٨ الاهلية ، بتوازن جديد ، اعاد تكريس صياغة الكيان — الميثاق الوطني ، التي ولدت سنة ١٩٤٣ . التوازن الجديد الذي سمي الشهابية ، هو تعبير عن توازن بين الحركة القومية العربية بقيادة عبد الناصر والامبريالية الاميركية . لقد تضمن هذا التوازن مجموعة مسائل :

١ — كرس مبدأ الغلبة المارونية ، ضمن سياسة اهتمام بالمناطق . وانصاف الطوائف الاخرى ، لا تمس مبدأ الغلبة .

٢ — اقام سياسة لبنانية عربية متعاطفة مع السياسة الناصرية .

٣ ــ جعل الجيش ، الذي لم يمس في حرب ١٩٥٨ بشكل اساسي ضابط التوازن الجديد . ان هذه الصيغة لا تعني ان صراعات الحركة القومية العربية مع الامبريالية الاميركية قد توقفت . بل تعني أن الاطار اللبناني جرى تحييده . وهذا يطمئن الجمهورية العربية المتحدة ، الى ان سياسة لبنان السابقة ، في دخول محاور معادية لها ، وفي كونه بؤرة للتآمر عليها قد توقفت . ويطمئن الامبريالية الى كون الكيان اللبناني الذي هو احد اشكال هيمنتها على المنطقة لن يمس .

لقد استطاعت هذه الصيغة المتوازنة ان تثبت حتى عشية حرب حزيران ١٩٦٧ . فحين وجهت الامبريالية الاميركية والعدو الصهيوني ضربتها الى مصر ، كانت تحاول ضرب محاولات البرجوازية الوطنية العربية للتصدي للنفوذ الاستعماري (حرب اليمن هي مثال عيني على هذه السياسة) . ولقد انتهت حرب حزيران بهزيمة كاسحة للبرجوازية الوطنية ، عبرت عن نفسها في تراجع علني عن المد الوحدوي ، الانسحاب من اليمن ، ورفع شعار التضامن العربي في وجه الهجمة الصهيونية ــ الاميركية الشرسة .

لقد كرست نتائج حرب حزيران العدوانية ، اختلال ميزان القوى في المنطقة ، انعكس بدوره على الصيغة اللبنانية . يبرز هذا الانعكاس في قنوات لبنانية ، هي من ضمن سياق السياسة الشهابية نفسها . فاستكمال الانتقال الى الرأسمالية الوسيطة في العهد الشهابي ، انعكست في مزيد من الاستقطاب الطائفي ، تبلور الطائفة وضربها للاشكال العائلية والعشائرية بنسب متفاوتة . وربما كان بروز المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى ، تعبيرا عن تكون طائفة جديدة على المستوى السياسي ، كنتيجة لاستكمال الانتقال الى الرأسمالية الوسيطة . ان هذا التطور بذاته ، لا يخلخل الصيغة الشهابية ، لانه يمكن ادراجه وضبطه ضمن صيغة التوازن بالغلبة . غير ان المد الامبريالي بعد هزيمة حزيران عكس نفسه في محاولة الطرف الغالب ، نقض بنود الصيغة الشهابية ، لجهة السياسة الخارجية ، العربية اساسا ، ومحاولة اعادة تركيب التوازن بشكل جديد ضمن اطار الغلبة المارونية . هذا هو المعنى السياسي لبروز الحلف الثلاثي (الجميل ، شمعون ، اده) واكتساحه دوائر الجبل المارونية على حساب الشهابيين في انتخابات ١٩٦٨ .

ان ظاهرة الهزيمة لا تحمل بعدا واحدا ، بل هي تحمل نقيضها في آن . وهذا ما عبر عنه بروز ظاهرتين :

١ ــ تحول المقاومة الفلسطينية من شبه بؤرة ثورية الى حركة جماهيرية صاعدة ، تستقطب الجماهير الفلسطينية والعربية حول شعار الكفاح المسلح ، وضرورة دحر العدو الصهيوني بالقوة الجماهيرية المقاتلة .

٢ ــ قيام الانظمة البرجوازية الوطنية بترميم جدران اجهزتها ، وبناء جيوش وطنية مقاتلة، تستعد لشن هجوم مضاد على العدو . وهذا ما عبر عنه شعار «ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة » الذي اطلقه عبد الناصر .

انعكست هاتان الظاهرتان على الوضع اللبناني ، عبر دخول المقاومة الى الجنوب بدعم عربي رسمي ومد جماهيري مؤيد ، وفرضها اتفاقية القاهرة بعد صدامات جماهيرية ومسلحة في لبنان .

يقود هذان الاتجاهان الى اختلال جذري في بنية التوازن اللبناني . هذا الاختلال

هو ما دفع طرفين يتقاتلان على هذا التوازن ، للتحالف غير المعلن على اسقاط السلطة الشهابية وضرب المكتب الثاني ، حتى يتصارعا دون وسيط يريد توازنا سقط . وهذا هو معنى انتخاب سليمان فرنجية رئيسا للجمهورية باصوات جنبلاط والجميل وشمعون وسلام . فبانتخاب فرنجية ، بدأت عمليا الحر بالاهلية غير المعلنة .

حملة ايار ١٩٧٣ :

سنة ١٩٧٣ كانت كل الظروف العربية والدولية مهيأة ، لكي يقوم الطرف الغالب بمحاولة ضرب اشكالية التوازن السابقة عبر تصفية المقاومة . ركود الجبهات العربية حالة لا حرب ولا سلم . اعتداءات اسرائيلية متكررة على الجنوب اللبناني ، احتلال الجنوب ايلول ١٩٧٢ لمدة اربعة ايام . اغتيال القادة في فردان نيسان ١٩٧٣ . تهديدات اسرائيلية مباشرة . فكانت حملة ايار ١٩٧٣ محاولة لتصفية وجود المقاومة . استقال رئيس الوزراء السني القوي . سلام — وجيء برئيس ضعيف — الحافظ — وابتدأ تنفيذ المؤامرة . لقد فشلت حملة ايار لثلاثة اسباب رئيسية :

١ — عجز الجيش اللبناني ، عسكريا عن تنفيذ المهمة الموكولة اليه . يعود هذا العجز اساسا الى طبيعة تكون التوازن اللبناني . فتوازن الغلبة لا يحتاج الى جيش قوي وحديث لفرض سلطته . فهو معادلة وليس هيمنة . لذلك فشل الجيش اللبناني، فيما نجح الجيش الاردني .

٢ — وقوف الانظمة الوطنية العربية ضد التصفية وخاصة سوريا . فالانظمة العربية التي تستعد لحرب تشرين ، لا تزال بحاجة لاسباب سياسية وعسكرية بحاجة الى الوجود الفلسطيني المسلح .

٣ — بطولات الجماهير الفلسطينية التي تعلمت من تجربة عمان ان لا تلقي السلاح، وتقاتل ولا تتراجع .

ان فشل الهجوم الاول في ايار ١٩٧٣ فتح الباب امام بداية رفع المطالب الاسلامية — المشاركة . جاءت حرب تشرين ١٩٧٣ لتقلب المعادلات اللبنانية ، فالمد الجماهيري الوطني الذي اطلقته قدرة العرب على توجيه ضربة حقيقية الى عدوهم كان كبيرا . ولقد استفادت الثورة الفلسطينية الى اقصى الحدود من المد الجماهيري الوطني . فكرست منظمة التحرير ممثلا وحيدا للشعب الفلسطيني في مؤتمرات القمة . واعترفت الامم المتحدة بالمنظمة عبر دعوة الاخ ابو عمار الى الامم المتحدة سنة ١٩٧٤ .

الصدامات المعلنة :

ابرزت احداث صيدا ، واغتيال المناضل الوطني معروف سعد ، المطالب الوطنية ، وجعلت من شعار المشاركة وتعديل قانون الجيش واعادة التوازن اليه ، شعارات المرحلة . هنا فتحت الازمة . فالطرف الانعزالي ، الذي فرض عليه التراجع نتيجة فشل حملة ايار والمد الوطني القادم مع حرب تشرين ، كان يراهن على حل سريع للمسالة الفلسطينية (اقامة دولة فلسطينية) . وعندما ثبت ان هذا الحل لا يزال بعيدا عبر التأجيل الدائم لمؤتمر جنيف وسياسة الخطوة خطوة ، بدا العد العكسي للحرب الاهلية في لبنان . فالطرف الوطني المتحالف مع الثورة يطرح مطالب هجومية . والطرف الانعزالي يحاول الانتقال من الدفاع الى الهجوم الوقائي ، مستفيدا من بداية بروز التناقضات العربية .

في ١٣ نيسان ١٩٧٥ بدأت الحرب الاهلية المعلنة . في الطرف الوطني مطالب هجومية وخطوات عسكرية دفاعية . في الطرف الانعزالي ، مطالب دفاعية تتضمن هجوما تكتيكيا بالغ الدلالة (نقل مخيم تل الزعتر)وخطوات عسكرية هجومية محدودة. ان هذا الترجرج في الحسم عند الطرفين ، يأتي اساسا من عجز الطرف البرجوازي الماروني الغالب على فرض تكتيكه (سقوط الحكومة العسكرية بعد ٤٨ ساعة من تشكيلها) وعدم قدرة الطرف الوطني على تحديد اهداف تتجاوز المطالب الوطنية (الاسلامية) التي جرى فيما بعد الباسها ثياب العلمانية في البرنامج المرحلي الذي طرحته الاحزاب .

لقد بقيت المعركة في هذا الاطار المترجرج ، الى ان انتقل الطرف الانعزالي من الهجوم الوقائي الى الهجوم العام . فما هي الخلفيات والعناصر السياسية التي دفعت الى اخذ هذا القرار ؟

لقد اتت اتفاقية سيناء ، لتحمل اول انشقاق في الصف العربي داخل لبنان . واذا كان اثرها الظاهر على اطراف الحركة الوطنية والثورة الفلسطينية غير واضح (جميع هذه الاطراف رفضت اتفاقية سيناء وادانتها) فانها تركت اثرا كبيرا على مجرى الصراع . لانها ، وبوصفها جزءا من شكل الهجمة الاميركية لاستعادة مواقعها المهتزة في حرب تشرين ، سمحت للقوى الانعزالية بمحاولة الانتقال الى الهجوم العام ، عبر احتلال ضبية وفرض حصار تمويني على تل الزعتر ، واحتلال المسلخ — الكرنتينا . ومحاولة دفع احتياطيها العسكري — الجيش — الى المعركة .

لكن هذا الهجوم العام اصطدم بثلاثة أمور :

١ — ان حجم التراجع في اتفاقية سيناء ، لا يسمح للقوى الانعزالية بالانتقال الى هجوم عام يصفي جميع مواقع الخط العربي في لبنان عبر تصفية الثورة الفلسطينية . فاتفاقية سيناء هي اتفاقية يغلب عليها الطابع التراجعي دون شك ، لكنها لا تستطيع انهاء الصراع الوطني بشكل كامل ، بل تقننه ضمن فهم البرجوازية المصرية لحدود هذا الصراع . وهي لا تسمح بالتقسيم الذي يربكها اكثر ، والذي بدا واضحا داخل مخطط القوى الانعزالية في « تحرير المناطق المسيحية » .

٢ — الصمود الشعبي العظيم الذي استطاعت القوى الوطنية الفلسطينية واللبنانية قيادته ، لافشال الهجوم الكتائبي — الانعزالي ، تمهيدا للانتقال الى الهجوم المضاد .

٣ — الموقف السوري ، الذي لا يوافق على تصفية الثورة . بل يضعها كأحد عوامل استراتيجيته لادارة الصراع مع العدو الصهيوني .

لقد بدأت سياسة التضامن العربي تتساقط على ارض الحرب الاهلية في لبنان . فالتراجع غير المتساوي الذي برز عبر اتفاقية سيناء ، يعني ان حرب تشرين او نتائجها لم تستطع المحافظة على اولوية التضامن . وابتدأت الارض اللبنانية تشهد تفسخ التضامن العربي وبروز سياسة المحاور العربية .

ان الانجاز الهام ، او الظاهرة الاكثر دلالة ، التي عبرت عنها هذه المرحلة ، هي الالتحام الكامل بين الثورة الفلسطينية والحركة الشعبية اللبنانية . فالمطالب الوطنية اصبحت شعار الحرب الاهلية ، والثورة اصبحت جزءا هاما من الخريطة اللبنانية ومن المعادلة الجديدة التي لم تكتب بعد . فالتحام الشارع الوطني بالثورة ، لا يعبر فقط

عن محاولة الطوائف الاسلامية تعديل ميزان القوى اللبناني لصالحها ، بل هو اساسا التحام بالمد العربي القومي . اي التحام بما يتجاوز لبنان الى افق الالتحام الكامل بالمصير العربي . وهذا ما تعبر عنه التنظيمات البرجوازية الصغيرة السنية ، التي قلبت منطق ١٩٥٨ وتصدت لقيادة الصراع ، وتركت البرجوازية السنية ، تلهث وراء صيغة شهابية معدلة .

الهجوم الوطنـــي :

لقد فشل الهجوم الكتائبي الانعزالي في الدامور . حيث استطاعت الثورة الفلسطينية ان توجه ضربة قاضية الى موقع انعزالي هام ، في لحظة بدا فيها ان الثورة بدأت تنتقل الى هجوم شامل لضرب القوى الانعزالية ، بعد ان بدأ التفكك في الجيش . هنا اتت المبادرة السورية في صيغة الوثيقة الدستورية ، وبدا ان الحرب الاهلية ستتوقف عند صيغة توازن جديدة ، تحقق مكاسب اسلامية داخل توازنات السلطة اللبنانية ، تضعف الغلبة المارونية دون ان تقضي عليها وتحافظ على الثورة الفلسطينية دون ان تسمح لها بكبير حرية في الحركة السياسية ، مما يؤدي الى ترسيخ دور سوريـــا اللبناني باعتبارها نقطة توازن بين قوى لم تحسم بعد معركتها فيما بينها .

تتميز هذه التسوية بميزتين رئيسيتين :

١ ــ عدم اخذها بعين الاعتبار لميزان القوى الجديد الذي وضع القوى الانعزالية على شفير الانهيار بعد معركة الدامور .

٢ ــ محاولتها ربط الثورة الفلسطينية باستراتيجية عربية ضمن فهم معين للتسوية ــ الصراع مع العدو الصهيوني ــ الاميركي ، لا يعطي الثورة حجمها الحقيقي .

لذلك كان انهيار التسوية عبر انهيار الجيش ، بعد فشل كرامي في تشكيل حكومـــة جديدة على اساس الوثيقة الدستورية ، وعبر اتساع حركة الملازم اول احمد الخطيب الى درجة وجدت فيها قيادة الجيش نفسها مجبرة على القيام بتحرك ما لمنع انهيـــار الجيش بكامله .

ان حركة جيش لبنان العربي ، هي التعبير الفعلي ، عن معنى التحـــام الشارع الوطني بالثورة الفلسطينية ، اي بالمسالة القومية التي ابعد عنها قصرا بعد ثـــورة ١٩٥٨ . هذا الالتحام يعني ان الحرب الاهلية في لبنان ليست حربا طائفية الا بمقـــدار ما تلعب اشكال الصراع دورا في تدمير نفسها في الصراع . فشعار العلمنة الذي رفع هو الشكل الحديث لمطالب اسلامية تريد ضرب الغلبة المارونيـــة ، وليس تحسين مواقعها في داخلها . هذا يعني طرح مسالة السلطة على بساط البحث ، وتغير جذري في ميزان القوى يتجاوز الوثيقة ، ويتجاوز عنصر الضبط العربي ، الى فتح المعركـــة كاملة حول الكيان . اي فتح معركة الهيمنة الامبريالية ، كمتمم لحركة التقدم العربيـــة التي بدأت مجددا مع حرب تشرين ومع انتصارات الثورة .

ان انهيار التسوية عبر حركة جيش لبنان العربي ، وانقلاب الاحدب الذي طـــرح شعار اقالة رئيس الجمهورية ، وضع الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية في موقع الهجوم الاستراتيجي العام ، الذي يطرح مسالة السلطة لاول مرة منذ نشـــوب الحرب الاهلية . هنا يحدث انشقاق جديد في صف الخط العربي في لبنان . **فطـــرح مسالة السلطة في لبنان ، تطرح بالضرورة مسالة الكيان** . حين يطرح الكيان علـــى

بساط البحث داخل العملية الثورية ، فان هذا يعني الدفع بعيدا في خلخلة المواقع الامبريالية في المنطقة . وهذه المسألة هي جزء من مهمة ادارة الصراع العام ضد العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية . وهذا يهدد مواقع البرجوازية الوطنية التي في السلطة ، لانه يخرب استراتيجيتها ، ويضعها امام خيار لا تريده ، لذلك فهو ضمنيا يهدد سلطتها نفسها . ان طرح مسألة السلطة داخل الكيان اللبناني تفترض بالضرورة طرحها خارجه . اي تفترض على الاقل طرح مسألة القيادة الطبقية لحركة التحرر العربية وهذا ما تعجز عنه الحركة الوطنية نتيجة تركيبها البنيوي والتحالف الطبقي الذي يقودها .

هنا يأتي المأزق . تبقى السلطة في الارض دون ان يستطيع احد التقاطها بشكل حاسم . يهزم الطرف الانعزالي ، دون ان تعلن هزيمته ، حتى لا يقود هذا الى صراع جديد غير واضح النتائج بين اطراف القوى التي شاركت في الصراع ضد القوى الانعزالية .

من اجل توضيح هذا الطرح ، سوف نعود الى مثل تاريخي غير بعيد . فحين تعرضت الثورة لمحاولة التصفية في الكيان الاردني ايلول ١٩٧٠ ، كانت مسألة السلطة في الاردن هي المدار الفعلي للصراع. وحين تراجعت سوريا عن دعمها العسكري للثورة تحت دعوات التهديد الاميركي ونصائح الاصدقاء ، فان النظام السوري تعرض لتغييرات في ميزان القوى داخله .

ان مسألة السلطة في لبنان ، ليست مسألة لبنانية او لبنانية ـ فلسطينية فقط . لذلك عندما تعجز الحركة الوطنية العربية عن التقاط معنى المعركة الواحدة عينيا وتنظيميا ، فانها تعجز عن احداث الخلل المركزي الذي يعطل مسار التسوية ، ويدفع الصدام مع العدو الامبريالي الصهيوني نحو نقطة الحسم الجذري .

التراجع الاميركي ، الذي يحاول اليوم التسلل من جديد مع المبعوث براون ، يتسلل من شق العجز هذا وليس من شق التضامن الذي يجب لحمه .

من التوازن بالغلبة الى التوازنات المسلحة :

كانت معركة الجبل والفنادق ، مؤشرا جديدا بالغ الاهمية للواقع اللبناني الجديد . واقع انهيار التوازن اللبناني القائم على الغلبة المارونية الى غير رجعة .

فالتسوية ، بالوثيقة الدستورية ، سقطت مع انهيار الجيش ، اي مع عجز اطراف التوازن القديم عن اقامته من جديد حتى في ظل مظلة عربية . فوجود الثورة الفلسطينية تعبير عن تغير جذري في ميزان القوى اللبناني لمصلحة تقدم المسألة القومية . مسألة الصراع الذي لا يهادن مع العدو الصهيوني ، الذي هو صراع يعطي الحركة الشعبية طابعا هجوميا حتى في ليل الهزيمة الحزيرانية .

ان انهيار استراتيجية المظلة العربية ، كان تعبيرا عن عجز البرجوازية عن تدجين قوى اطلقتها التناقضات الموضوعية . لذلك كان الطابع الهجومي للمعركة ، من المطالب الى البرنامج الاصلاحي الذي يطرح السلطة دون ان يستطيع التقاطها ، مؤشرا الى طبيعة الصراع مع العدو الامبريالي ، الذي لا تستطيع المساومات حله ، بل لا يمكن حله الا بضرب النفوذ الامبريالي وتصفية قاعدته الصهيونية .

لقد استطاع التغير في ميزان القوى بعد انقلاب الاحدب ، ان يسمح بتوجيه ضربة

عسكرية الى الانعزاليين ، تهدد مواقع غلبتهم ، وتترك على الاقل ، الصراع مفتوحا مع العدو الامبريالي دون ان يستطيع اي طرف وطني التقاط لحظة مسألة السلطة .

هنا ، وامام مأزق استلام السلطة تبرز عدة حقائق :

١ ــ لقد اثبتت الحرب الاهلية ميلا وحدويا . ميلا يؤكد على ان الصراعات داخل الكيانات وان اتخذت شكل الصراع الطائفي ، فانه شكل مؤقت لصراع طبقي عربي يدور حول المسألة الوطنية وكيفية حلها .

٢ ــ ان المطالب التي رفعت عبرت عبر استحالتها (العلمنة) عن كون الحركة الوطنية الجذرية في لبنان ، لا تطرح السلطة في لبنان حين تطرحها . بل هي تطرح ، المسألة القومية ، مسألة تصفية الكيانات . اي رفض المساومة مع الامبريالية . هذه الوجهة الغالبة يجب ان لا نحجب تصورا اصلاحيا ذيليا اعتقد بامكانية تحقيقها خارج هذا السياق رغم كون هذا الاتجاه بقي رغم ادعاءاته الاعلامية بالغ الهامشية في مجريات الصراع الفعلي .

٣ ــ ان تعرجات الحرب الاهلية تقود الى مسألتين :

أ ــ قدرة الامبريالية الاميركية على شن هجوم مضاد والمناورة والمراوغة ومحاولة دفع الوضع العربي الى مزيد من التردي .

ب ــ يعود عجز الحركة الشعبية في لبنان عن استلام السلطة . الى عجز الحركة الوطنية العربية بقيادتها الطبقية الحالية عن حسم التناقض مع الامبريالية لصالحها .

لقد افرزت صراعات الحرب الاهلية توازنات مسلحة لم تحسم لصالح احد الاطراف وضربت قواعد الغلبة المارونية ، دون ان تطرح بديلها الثوري . ان التوازنات المسلحة هي التسمية الاخرى لصيغة اللاتوازن .

فالوضع اللبناني مقبل على فترة طويلة من عدم القدرة على اقامة توازنه الجديد ، لكن احدى انجازات هذه الحرب انها افهمت العدو استحالة التسوية الامبريالية وانها تحمل امكانية الدفع مجددا الى حرب وطنية مع العدو الصهيوني .

حول الازمة اللبنانية : عرض وتقييم للمسار السياسي للاحداث وخطوط سير القتال

(الحلقة الثانية)

نواف عبد الله

٦ ــ احداث زحلة ــ السهل وطرابلس ــ زغرتا :

كتبنا في الحلقة الاولى من بحثنا هذا ، انه منذ تشكيل الحكومة السداسية وما رافقها من توقف عن اطلاق النار من قبل كافة اطراف الصراع ، اخذت مسألة اعادة صياغة التحالفات السياسية اللبنانية تحتل الواجهة العلنية لمعظم تحركات اقطاب السياسة في لبنان (القصر وتحالفاته ، كرامي ــ جنبلاط ، العلاقات داخل التحالف الثلاثي كرامي ــ اده ــ سلام ، التحرك السياسي الواسع لشمعون ، دور الجوار والوساطة الذي تنطح الى لعبه شارل حلو وشاكر ابو سليمان ...) ، علاوة على ازدياد الاهتمام بالتحضير لمعركتي الانتخابات النيابية والرئاسية . (المقرة سابقا لنيسان ١٩٧٦ وآب ١٩٧٦) . وفي السياق نفسه أتت الخلوة التي عقدها المكتب السياسي لحزب الكتائب في الارز يومي ١٦ و١٧ آب لتثبت الخط الذي بدأ ينهجه الحزب منذ تشكيل الحكومة السداسية وليركز تكتيكاته السياسية على محوري تحرك : دفاعي وهجومي ، في المذكرة التي رفعها بيار الجميل بتاريخ ٢٣ آب الى رئيس الجمهورية ، والتي تناولت الكتائب عبرها مختلف قضايا الدستور والميثاق الوطني والاشتراع والعلاقة بين السلطات والمصالحة الوطنية والتمثيل السياسي والمشاركة والحريات والتجنس وشؤون الجيش والادارة والقضاء .

وفيما يخص العلاقات اللبنانية ــ الفلسطينية طرحت الكتائب «(**العودة الى الدول العربية في نطاق مجلس جامعتها ، وفي مؤتمر يفضل ان يكون على مستوى القمة لتحديد دور لبنان بالنسبة لقضية فلسطين في هذه المرحلة ، وتنظيم شكل التواجد الفلسطيني على ارضه**)» . (العمل ١٩٧٥/٨/٢٤) . **وكان الحديث هذا يدلل يومها على ان الكتائب وحلفائها من القوى الانعزالية اللبنانية انما يعدون للانتقال الى الهجوم مجددا في طرح مسألة التواجد الفلسطيني المسلح في لبنان ، مستفيدين من التقدم الذي راحت تحرزه السياسة الاميركية في المنطقة العربية منذ لقاء سالسبورغ، واتضاح عناصر الاتفاق المصري ــ الاسرائيلي** (سيعرف فيما بعد باسم « اتفاقية سيناء ») الذي وصل كيسنجر المنطقة العربية يوم ٢١ آب ليضع عليه اللمسات الاميركية الاخيرة .

ونذكر هنا ان القوى المضادة اللبنانية لم تكن لتنتقل الى الهجوم سابقا الا **في ظل ظروف عربية مساعدة تكتيكيا** ، حيث نرى انه :

١ ــ تم خلال فترة الجفاء التي اصابت العلاقات المصرية الفلسطينية ، اثر بيان اللجنة التنفيذية الصادر في آذار ١٩٧٥ ، تصعيد المواجهة في صيدا بعد اصابة المناضل الوطني معروف سعد وترتيب يوم دعم الجيش .

٢ ــ مع فشل كيسنجر في آذار ، واستعادة الثورة الفلسطينية للمبادرة السياسية على الصعيد العربي ، تحولت الساحة اللبنانية في الفترة ما بين مغادرة كيسنجر المنطقة وترتيب لقاء سالسبورغ (او الفترة ما بين مجزرة عين الرمانة وانتهاء حكم الوزارة العسكرية) ، الى مسرح للصدام مع الثورة الفلسطينية والسعي لتضييق الخناق عليها واحداث تغيير حاسم في السلطة السياسية اللبنانية لمصلحة الخط الاميركي .

٣ ــ لدى بروز بوادر خلافات مصرية ــ فلسطينية ، اثر لقاء سالسبورغ ، وما واكب ذلك من اشتداد الصراع الليبي ــ المصري ، وقبل وصول الوزير عبد الحليم خدام الى بيروت ، ضاعفت الكتائب من تصلبها ازاء مساعي كرامي لتشكيل حكومته السداسية ، مستفيدة في ذلك من رسالة السادات الى الجميل ومن ان الاعلام المصري الرسمي اخذ يحمل ليبيا القسط الاكبر من مسؤولية احداث لبنان .

٤ ــ استمرار القوى المضادة اللبنانية في الرهان على تصدع العلاقات الفلسطينية ــ العربية ، حيث عكفت جريدة العمل على تبشير قرائها طوال الاسابيع التي سبقت نجاح كيسنجر باقتراب موعد التسوية المنتظرة على جبهة سيناء ، وبالتالي موعد الازمة المتوخاة في العلاقات المصرية ــ الفلسطينية وهي الفترة نفسها التي شهدت خلالها الجبهة اللبنانية تصعيدا عسكريا ملحوظا من طرف العدو الصهيوني الهادف الى الابقاء على حالة التأزم الداخلي في لبنان وابتزاز الانعزالية اللبنانية للمواصلة في طرح مسألة التواجد الفلسطيني المسلح فوق الاراضي اللبنانية .

وعملا بهذه القاعدة التكتيكية ، تحركت القوى الانعزالية اللبنانية لتفجير الوضع في محافظتي البقاع (٢٨ آب) والشمال (٢ ايلول) . وقد تميزت الاشتباكات التي دارت في هاتين المحافظتين بسمات بالغة الخطورة هي :

أ) **اتساع رقعة الاشتباكات لتطال اكثر من نصف مساحة البلاد** (اي العمل لوضع مناطق البقاع والشمال ضمن دائرة الاقتتال) .

ب) **ادخال قوى سياسية واجتماعية جديدة في الصراع الدامي** الى جانب الاحرار والكتائب (التجمع الزحلي العام الذي يتزعمه جوزيف طعمه السكاف والياس الهراوي ، ثم جيش التحرير الزغرتاوي والتنظيمات العائلية الزغرتاوية) .

ج) تكاثر عمليات الخطف والخطف المتبادل والقتل « على الهوية » والاجرام الطائفي (وابرزها ، قيام عناصر زغرتاوية ، تحت اشراف طوني فرنجية بمجزرة في داريا لباص فيه مدنيون من طرابلس يوم ٧ ايلول) ؛ مما انعكس في **طغيان الشكل الطائفي الظاهر للقتال على الاهداف السياسية التي يحملها كل من الفرقاء المتنابكين.**

د) حدوث شيء من « **القبرصة** » **الجغرافية والسكانية** حيث عرفت مناطق لبنانية عديدة نوعا من الهجرة السكانية في اتجاهين :

١ ــ هجرة اسلامية في اتجاه المناطق الاسلامية الاغلبية (طرابلس ، سهل البقاع، بيروت الغربية) .

٢ ــ هجرة مسيحية في اتجاه المناطق المسيحية الاغلبية (بيروت الشرقية ، زحلة، زغرتا .)

ه) بداية التشكيك العلني بواقع تعايش الطوائف وانصهارها ، **وبروز الحديث بقوة عن التقسيم على المسرح السياسي الانعزالي** اللبناني بعد ان اخذت الكتائب تتهم في صفحات « العمل » جنبلاط والشيوعيين والفلسطينيين بالعمل من اجل « قبرصة » لبنان .

و) اتخاذ مجلس الوزراء اللبناني قرارا بالاستعانة بقوات من « الجيش اللبناني » للمرابطة في المناطق العازلة بين طرابلس وزغرتا . وبالرغم من خطورة هذا التدبير وكونه الاول من نوعه لجهة **« انزال جزئي ورسمي للجيش »** منذ بداية الصدامات المسلحة في نيسان ١٩٧٥ ، فانه افترض القيام باجراء مواز على كفة الميزان الاخرى : **عزل اسكندر غانم** القائد السابق للجيش وتعيين حنا سعيد قائدا اصيلا بدلا عنه . (١٠ ايلول) .

٧ ــ اتفاقية سيناء وتجدد القتال في العاصمة او مرحلة اكتساب الحرب الاهلية ابعادها الداخلية والخارجية . (من منتصف ايلول ١٩٧٥ الى نهاية كانون الثاني ١٩٧٦) :

مع ابرام الاتفاقية المصرية ــ الصهيونية (اتفاقية سيناء) في اول ايلول ١٩٧٥ ، بكل ما تتضمنه بنودها العلنية والسرية من تنازلات وطنية مصرية وما تحققه من انتصار لسياسة الخطوة ــ خطوة اي سياسة شق الصف العربي واضعافه وكسب التنازلات العربية عبر اسلوب « الانفراد بكل جبهة عربية على حدة » ، علاوة على ما تفقد اليه من تراخ في النضال العربي العام ضد الصهيونية ، وسيادة للاتجاهات التسووية ــ المهادنة ومن توطيد للنفوذ الاميركي في المنطقة العربية من خلال اعتبار الولايات المتحدة حكما ومراقبا في الصراع العربي الصهيوني ، **كان لا بد ان تتحول الساحة اللبنانية من جديد الى مسرح لتصعيد المواجهة مع الثورة الفلسطينية .** فكما بادرت القوى الانعزالية اللبنانية للاستفادة سريعا من النتائج السلبية المتولدة عن الاتفاقية المصرية ــ الاسرائيلية ، فان سائر القوى السياسية اللبنانية كانت كلها تتابع باهتمام بالغ مراحل التحرك الاميركي الجديد وتعد نفسها لمواجهةالنتائج التي ستترتب على احتمال نجاح كيسنجر . فقد اعلن فيليب تقلا في بيانه العام امام لجنة الخارجية في مجلس النواب ان لبنان يجتاز « مرحلة بالغة الخطورة » ، معربا في ذلك عن التحسب الرسمي ازاء مهمة وزير الخارجية الاميركية ونتائجها ، وابدى الرئيس كرامي قلقه على مستقبل الوضع على الساحة اللبنانية في تصريح ادلى به يوم توقيع الاتفاقية المصرية ــ الصهيونية وقال فيه ، **« العرب يواجهون مصيرهم وعلى لبنان ان يحمي وحدته »** . وقد اعتبرت الثورة الفلسطينية تجدد الاشتباكات في لبنان « تنفيذا لاتفاقية سيناء » . ومما يدلل ايضا على الترابط القائم بين النتائج المتولدة عن الاتفاقية المصرية ــ الصهيونية ومعاودة الانعزالية اللبنانية الى الهجوم العام **ان الجهات نفسها التي اعتبرت اتفاقية سيناء نتاج « استمرار وجود حالة متقدمة من التضامن العربي بقيادة مصر والسعودية المتحالفتين مع سوريا والمقاومة الفلسطينية» ونتاج « ازدياد تدهور وضع الولايات المتحدة في العالم ، وازدياد توجه ادارتها نحو وقف هذا التدهور ولو اضطرت الى تقديم تنازلات تكتيكية اضافية » ، هي الاتجاهات نفسها التي بقيت عاجزة عن فهم جوهر الصراع الدائر فوق الاراضي اللبنانية وراحت تساوي بين مواقف القوى الوطنية اللبنانية ومواقف التحالف الانعزالي المتآمر ،متهمة**

كلا الطرفين ((بالتصعيد)) ، بل اخذت تجنح في معظم مواقفها الى تحميل القوى الوطنية اللبنانية مسؤولية تدهور الاوضاع واستمرار القتال في لبنان . وما يزيد الامر خطورة، ان هذه الاتجاهات راحت تتنطح لصياغة بعض المواقف « التكتيكية » من قضايا الصراع الدائر ... فاتت معظم اجتهاداتها لتخدم وجهة ((**يمينية**)) في فهم وممارسة سياسة « التهدئة » . **وقد تراوحت طروحاتها من التعبئة والتحريض ضد قوى الحركة الوطنية اللبنانية بحجة النضال ضد استقطاب العملاقين الدوليين لاطراف الصراع على الساحة اللبنانية ، حتى اطلاق الدعوات الخجولة الى التراجع تحت ضغط الابتزاز الانعزالي المتمثل بالتهديد بالتقسيم .**

فبعد ان فجرت الانعزالية اللبنانية الموقف العسكري في محافظتي الشمال والبقاع، مستفيدة في ذلك من الوضع العربي الناجم عن ابرام الاتفاقية المصرية ـ الصهيونية، وبعد ان واكبت تحركها بسلسلة من التصريحات السياسية الهادفة الى الايهام بأن المنظمات التي تطلق على نفسها اسم « جبهة الرفض » هي التي ستتحرك في لبنان وتفتعل الصدامات ، **بحجة ان ((الرافضين)) لا بد وان يتحركوا من اجل تصعيد المواجهة مع النظام المحلي واحراج مصر وحشر سوريا** (جريدة العمل ، تصريحات نيابية متفرقة ، اتصالات مزعومة بين شمعون و « الرفض » وبين التحالف الثلاثي و « الرفض » ، اتجاه بعض تعليقات ميشال ابو جودة) ، انتقلت الكتائب وحلفائها من القوى اللبنانية المضادة الى افتعال سلسلة من الصدامات العسكرية في بيروت (بدأت ليل ١٧ـ٩/١٨) ، ومضت في تصعيد هجومها العسكري طوال ايام الاشتباكات الاولى ، بهدف بلوغ نقطتين اثنتين : **الاولى : الوصول الى ((اجماع سياسي عام)) على طلب انزال الجيش** وزجه في الصراع الدائر من اجل ابقاء سيف الاقتتال والاستنزاف الداخلي مسلطا فوق رأس الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية، وذلك لابتزاز التنازلات من الثورة ، وبالتالي اضعاف مواقعها وزعزعة ثقة الجماهير بقياداتها . **الثانية : دفع الفرز الطائفي الداخلي بغية تأمين قاعدة مادية لشهر سلاح التهديد بالتقسيم** ، ومن ثم الاستمرار في تأزيم الوضع السياسي وصولا الى طرح ازمة على جامعة الدول العربية من جهة انها ازمة في العلاقات الفلسطينية ـ اللبنانية . (وكان بيار الجميل قد ادلى في ٩/٢٠ ببيان دعا فيه جامعة الدول العربية الى بحث الوضع اللبناني ، وكان واضحا ان الهدف من تلك الدعوة هو افشال مهمة الوزير عبد الحليم خدام .)

وقد تركزت التحركات التكتيكية لهجوم القوى اللبنانية المضادة على المحاور التالية :

١ ـ **استنزاف قوى الثورة الفلسطينية وجماهيرها** ، ملتقية في ذلك مع مصلحة الاستعمار الاميركي في اشغال قيادات الثورة واجهزتها وصرفها عن متابعة قضايا السياسة العربية والدولية ، خاصة في مواجهة مرحلة توقيع اتفاقية سيناء وما بعدها .

٢ ـ **السعي الى شق وحدة الثورة الفلسطينية** ، وذلك بالترويج اليومي لمقولات ((**الفدائي المنضبط**)) و ((**الفدائي غير المنضبط**)) ، والعمل على تحميل « جبهة الرفض » مسؤولية كل ما يثير الاضطراب ، ومن ثم الدعوة لتصفية « جيوب الشغب» و « الاضطراب » كحد ادنى . (خاصة لما كانت تجده من تجاوب بعض الانظمة العربية لذلك) .

٣ ـ **محاولة شق وحدة الصف اللبناني المناصر للثورة الفلسطينية** ، وتقسيمه الى

قوى حركة وطنية وزعامات اسلامية تقليدية ، وتحريض هذه الزعامات على القوى الوطنيـــة .

٤ ــ **تصعيد عمليات القصف على مواقع القوى الوطنية في الاحياء الفقيرة والآهلة بالسكان بهدف تأليبهم ضد وجود القوى المسلحة بينهم** ، مستغلة موقف القوى الوطنية الساعي الى التهدئة بشكل عام ، التزاما منها بمصلحة الثورة الفلسطينية وتواجدها المسلح في لبنان .

٥ ــ **تصعيد الاشتباكات واشكال العنف الاجرامي المثل بالحرق** ، (الوســـــط التجاري ، سوق سرسق) ، والنسف والقتل والخطـــف والذبـــح الطائفي (على الهوية !) بهدف خلق حالة من الذعر العام في العاصمة وكل لبنان تدفع نحو الاسراع في انزال الجيش .

اما تكتيكات الكتائب وحلفائها في العمل داخل معسكر القوى الانعزالية المتصادمة مع الثورة والحركة الوطنية اللبنانية ، فقد تركزت على الخطوط التالية :

اولا : السعي الى توحيد القوى المضادة اللبنانية في موقف سياسي منسق ، الامر الذي بلغ ذروته باجتماع الشخصيات المارونية في بكركي يوم ٩/٢٤ واعلانهم عـــــن الاتفاق على :

أ) مواجهة الاحداث مهما كانت خطورتها برأي واحد وموقف واحد وعمل واحد .

ب) طرح مسألة التواجد الفلسطيني في لبنان والقول « برفض الحـــد من السيادة اللبنانية على اية منطقة في لبنان ورفض كل مساومة على هذه السيادة من اية جهـــة كانـــت » .

ثانيا : تحريك عقدة الخوف عند المسيحيين والتهويل بأخبار المذابـــــح الطائفيـــة (استغلال الحوادث التي وقعت في القاع وبيت ملات ودير عشاش وتل عباس) . وذلك بهدف :

أ) **حشد اوسع القـــوى المسيحية بحجة الدفاع عـــن النفس والمصير** ، واسقاط الدعوة القائلة بأن اساس الصراع يكمن في طائفية الكتائب وانعزاليتها وفي تصدرها تحرك القوى المضادة المتآمر على الثورة الفلسطينية ، وللايهام بأن القضية هي **مسألة امن الجماهير المسيحية و « الضمانات »** التي يخصها الميثاق الوطني اللبناني بها .

ب) تجييش الجماهير المسيحية ، من خلال تأجيج الاحقاد والضغائـــن الطائفية ، للدفاع عن الامتيازات السلطوية لفئة من الطائفة المارونية .

ج) الحيلولـــة دون بروز التناقضات داخل الصـــف المسيحي ، وتطويق القـــوى السياسية المعادية لوجهة التحرك الانعزالي .

د) دفع الفرز الطائفي بهدف الوصول الى التهديد بالتقسيم ، وافتعال سلسلة من المجازر الطائفية من اجل ذلك .

ثالثا : السعي للاستفادة القصوى من حالة التصدع التي اصابت العلاقات المصرية الفلسطينية والمصرية السورية على اثر ابرام اتفاقية سيناء ، وما تولد عنها من مواقف

مصرية ، **رسمية واعلامية** ، اتت في خدمة القوى المضادة اللبنانية . وابرز هذه المواقف هي :

أ) الاتجاه المصري **الرسمي** الداعي الى تصفية المنظمات التي تنضوي تحت تسمية « جبهة الرفض » مع ما يعنيه ذلك من ضرب للوحدة الوطنية الفلسطينية ، واثارة اقتتال فلسطيني ـ فلسطيني ، ومن اضعاف للموقف القومي والوطني المعبر عنه في سياسة منظمة التحرير وما يخلقه ذلك من شروخ تنفذ منها القوى اللبنانية المضادة . وقد عبر موسى صبري عن هذا الاتجاه في مقالة نشرها في جريدة الاخبار المصرية بتاريخ ٩/١٤ ، وقد جاء فيه « ان الاجدر بمنظمة التحرير ، ان تعيد تقييم نفسها ، وقدراتها ودورها ، وحدود التزامها وحقها . واولى خطوات التقييم ان تصفي الخلافات بين اعضائها ، سواء كانت شخصية ام عقائدية » ، ومضى ملوحا بضرورة **استخدام اسلوب التصفية الجسدية ضد هؤلاء الذي يمثلون على حد قوله « الانفلات والمزايدة والتبعية »** . ومما كتبته اخبار اليوم بتاريخ ٩/١٣ : « ان الاشتباكات الحالية في لبنان هي جزء من مؤامرة اعدتها جبهة الرفض لاحباط التسوية السلمية للنزاع العربي ـ الاسرائيلي » .

ب) مهاجمة الوساطة التي قام بها الوزير عبد الحليم خدام بشدة ، مما شجع القوى الانعزالية اللبنانية على العمل من اجل انهاء وساطته . وقد اخذت اجهزة الاعلام المصرية تتهم سوريا بالتدخل في لبنان « من اجل فرض زعامة حزب البعث » (عبد القدوس ، الاهرام ٩/٢٦) . وتساءلت **« لماذا يقبل لبنان الوساطة السورية »** (الجمال ، الاهرام ٩/٢٨) . ومضت الى الايهام بأن « خدام ذهب الى لبنان منصورا انه قادر على ان يستثمر مأساة لبنان للتهجم على مصر ومن اجل هذا قرر الرئيس فرنجية طرده من لبنان » (موسى صبري ، الاخبار ٩/٢٨) .

ج) **السياسة المصرية الرامية الى طرح الازمة اللبنانية على جامعة الدول العربية** والتي اخذت تكشف عن نفسها علنا بعد تجدد الاشتباكات في الساحة اللبنانية . والى جانب التحركات الدبلوماسية المصرية ، فقد عبرت صحف القاهرة عن هذا الاتجاه ايضا . فكتبت اخبار اليوم بتاريخ ٩/١٣ : « ان الحكومة اللبنانية طلبت مراقبين عسكريين وسياسيين عربا للاشراف على تنفيذ الاتفاقات مع المقاومة » . واعتبر مصطفى امين (الاخبار ١٠/٨) : « ان على الدول العربية ان تتخذ اجراءات فورية لوقف القتال الدائر حتى لو تطلب ذلك تدخل جيوش عربية » .

وازاء تفجر القوى الانعزالية للموقف العسكري على الشكل الذي بينا اعلاه ، تبنت الثورة الفلسطينية خطا يهدف الى منع الاستنزاف الداخلي ورفعت من اجله **شعار « التهدئة »** ومارست على اساسه سياسة ضبط النفس بهدف تفويت فرص **التصعيد المبرر** على الطرف الاخر وذلك خدمة لتحركها السياسي الرامي الى **الاستفادة من تناقضات المعسكر الانعزالي ومساعيها لتحييد بعض اطرافه** .وقد تشجعت الثورة الفلسطينية على الثبات على تكتيكاتها هذه نتيجة نجاح الوساطة السورية التي تمام بها السيد عبد الحليم خدام والتي اسفرت عن تشكيل هيئة الحوار الوطني اللبناني بتاريخ ٩/٢٤ ، سيما ان النحو الذي شكلت على اساسه هذه الهيئة مثل **هزيمة نسبية لحزب الكتائب ولسياسته في التصعيد والتأزيم والتهديد بالتقسيم** ، وذلك علاوة على الموقف المبدئي الايجابي للثورة الفلسطينية تجاه الوساطة السورية آنذاك والذي تعزز بالضرورة مع توطيد العلاقات الفلسطينية ـ السورية ، اثر اقدام النظام المصري على توقيع « اتفاقية سيناء » ، ودخول كل من منظمة التحرير وسوريا ميدان التصدي

لنتائج هذه الاتفاقية . وكان الوزير عبد الحليم خدام قد اعتبر في تصريح له يـــوم ٢٧ ايلول بأن « الاتفاقات السرية حول سيناء بدأت تظهر آثارها ومنها احداث بيروت ، التي هي جزء من مخطط شامل يهدف الى نقل المعركة من طبيعتها العربية ـــ الصهيونية الى معركة عربية ـــ عربية » .

من هيئة الحوار الوطني الى الجامعة العربية :

لقد مثل اذن الوصول الى تشكيل هيئة الحوار الوطني اللبناني انتصارا نسبيـــا « لخط التهدئة » ، اذ ان تشكيل الهيئة المعنية يحمل بحد ذاته **تأكيدا على وحدة لبنان بطوائفه وقواه المختلفة واقرارا مبدئيا بالحاجة الى احداث اصلاحات سياسية جذرية في بنية النظام اللبناني ، زيادة على الضمانات التي كان قد حصل عليها الوزير خدام بعدم اثارة مسألة الوجود الفلسطيني في لبنان داخل الهيئة** . ومن الجدير بالذكر ايضا ان هيئة الحوار تشكلت من اغلبية تناهض التحرك الكتائبي المتآمر ، كما انها عكست الوزن المتنامي للقوى الوطنية والعروبية في لبنان ولم تحصر التمثيل الماروني علـــى اشراك ممثلين عن حزب الكتائب بل ضمت بين اعضائها الموارنة ممثلين عن الاتجاه المعتدل داخل الطائفة : ريمون اده ورينيه معوض .

وما ان غادر الوفد السوري لبنان ، حتى عادت القوى اللبنانية المضادة الى خلق التوتر والقيام بالاستفزازات المسلحة (خطف : ٣٠٠ مخطوف يوم ١ تشرين الاول ، قنص ، اشعال الجبهات) والسعي لشل هيئة الحوار الوطني وتعطيل اجتماعاتهـــا والاستمرار في تأزيم الوضع السياسي مما حدا بالثورة الفلسطينية الى ادخال **بعض تكتيكات القتال الرادع من ضمن « خط التهدئة »** الذي اعتمدته ، فقصفت الاشرفية قصفا شديدا ليل ٧ـــ٨ تشرين الاول كما نظمت بعض العمليات العسكرية المحدودة في منطقتي عين الرمانة والناصرة ـــ سوديكو يومي ١٨ و ١٩ تشرين الاول . ويبقى في اساس الوضع القائم ، ان القوى اللبنانية المضادة ، وبالرغم من مبادرتها الدائمة الى تفجير الوضع العسكري وتصعيد القتال ، فهي لا بد كانت تعي ايضا عجزها عن بلوغ اهدافها من خلال حسم عسكري للصراع ، **بمعنى انها لن تستطيع انطلاقا مـــن معطيات الصراع آنذاك واستنادا الى قواها الذاتية المحلية ، احداث اي خلل راجح لصالحها في موازين القوى على الساحة اللبنانية للانتقال منه الى فرض تنازلات على الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية** . وتقودنـــا الى هـــذا التقدير اربعـــة عوامل ، هي :

اولا : انه ، بالرغم من الاستقطاب الشارعي الواسع الذي حققته القوى المضادة واستمرارها في الدعاوة والتحريض من اجل تعبئة الجماهير المسيحية وتجييشهـــا لخدمة التحرك الاستعماري ـــ الانعزالي ، فانها لم تتمكن مـــن توحيد كل القيادات المسيحية الرئيسية على قاعدة مخططها . (موقع الضعف الذي تحتله الكتائب فـــي التمثيل الماروني في هيئة الحوار ، مواقف البطريرك خريش وريمون اده ، الحسابات الداخلية المرتبطة بمعركة رئاسة الجمهورية والتي تقود بعض الشخصيات المارونية الى اتخاذ مواقف تكتيكية متمايـــزة باستمرار عن الكتائب ، التبايـــن الحاصل بين مواقف القادة السياسيين والروحيين للطائفـــة الاورثوذكسية ومعهم بعض الزعمـــاء الكاثوليك وبين الكتائب والاحرار) .

ثانيا : فتح اقطاب المعارضة معركة الرئاسة الاولى ومطالبة رئيس الجمهوريـــة بالاستقالة منذ مطلع تشرين الاول ، مما يضعف من مكانة فرنجية ومن دوره في الصراع الدائـــر .

ثالثا : الفشل المستمر في كل المحاولات التي بذلت من اجل زج الجيش علنيا وشرعيا في الصراع ، وذلك منذ عجز الحكومة العسكرية عن اتخاذ اية مبادرة هجومية ضد الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية ، زيادة على آثار عزل اسكندر غانم على وضع الجيوب والقيادات المضادة في الجيش .

رابعا : حجم القوى القتالية والكفاءة العسكرية التي يتميز بهما معسكر الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية .

واذا اضفنا الى العوامل الاربعة هذه ، عجز القوى اللبنانية المضادة عن استثمار المعطيات العربية المؤاتية لها ، خاصة حالة اشتداد الصراع الفلسطيني ـ المصري بعد ابرام الاتفاقية الاسرائيلية ـ المصرية ، **وتوظيفها بشكل مؤثر في موازين القوى الداخلية في لبنان** ، فاننا نكتشف ابعاد استمرارها في القيام بالاستفزازات المسلحة واشعال الجبهات العسكرية والابقاء على تأزيم الوضع السياسي من اجل حشد القوى العربية المساندة **ونقل الازمة اللبنانية الى اطار الجامعة العربية** وصولا الى تأمين تدخل عربي ضاغط وقادر على تحصيل التنازلات المطلوبة من الثورة الفلسطينية. ومن هذا المنطلق ، كان الجميل قد ادلى ببيان في ١٩٧٥/٩/٢٠ ، دعا فيه جامعة الدول العربية الى البحث في الازمة اللبنانية (وكان الهدف منه ايضا ، امثال مهمة الوزير عبد الحليم خدام) ، كما ان الرئيس فرنجية كان قد اقترح منذ شهر حزيران الاستعانة بقوات عربية « لضبط الوضع في لبنان » ، وذلك خلال احد لقاءاته العربية الرسمية . وكانت الانعزالية اللبنانية ترمي من تعريبها للازمة الى تحقيق الاهداف التالية :

١ ـ ايجاد الاطار الذي يسمح بأعادة طرح الازمة في لبنان كأزمة في العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية بعد ان تهاوت شعاراتها العلنية المعادية للثورة الفلسطينية مع تشكيل هيئة الحوار الوطني ونجاح الاطراف الوطنية اللبنانية في طرحها لمسألة المطالب الوطنية . (وهذا ما يفسر التصعيد العسكري الذي شهدته بيروت في ليلتي ١٣و١٤/١٠ ، اي عشية انعقاد مجلس الجامعة العربية ، على جبهتي الدكوانة ـ مخيم تل الزعتر ، ومحور التحويطة ، فرن الشباك ، الحازمية ـ مخيم جسر الباشا، وذلك لاعطاء القتال طابعه اللبناني ـ الفلسطيني) .

٢ ـ كسب معركة سياسية في جامعة الدول العربية ، باعتبارها احدى ساحات الصراع السياسي مع الثورة وحيث بأمكان القوى اللبنانية المضادة الاستفادة من التناقضات العربية باتجاه الضغط على الثورة الفلسطينية ، **وتوظيف المواقف العربية الساعية الى « تقليم اظافر الثورة » لصالحها في الصراع على الساحة اللبنانية** وصولا الى امكانية **الاستعانة بقوات عسكرية عربية لخدمة هذا الغرض .**

وبالرغم من ان دولة الكويت كانت صاحبة الدعوة الرسمية لعقد مؤتمر استثنائي لوزراء الخارجية العرب للبحث في ازمة لبنان ، فان جمهورية مصر العربية قد لعبت الدور الاكبر لتأمين نجاح الدعوة وذلك من خلال الاتصالات التمهيدية التي قامت بها اولا مع لبنان عبر محمد صبرا السفير اللبناني في القاهرة ، ومن ثم مع عدد من الدول العربية الاخرى ، وخاصة الخليجية . وقد اخذت مصر تتهم سوريا بالتفرد في معالجة الازمة اللبنانية والعمل لبسط نفوذ حزب البعث في لبنان (وكانت مصر قد تدخلت لدى الرئيس فرنجية من اجل عرقلة مهمة الوزير عبد الحليم خدام) مؤكدة ان مصر (على نقيض سوريا) لا تتدخل في الازمة اللبنانية ، وانما دوافعها تنبع من

المصلحة العربية العليا وحدها ، لما تحمله التطورات الممكنة على الساحة اللبنانية من احتمال انفجار عموم الوضع في الشرق الاوسط .

ولم يزاحم جمهورية مصر العربية في اهتمامها بعقد مؤتمر لوزراء الخارجية العرب الا حماس أدمون رزق ، المعلق السياسي في جريدة « العمل » الكتائبية وتبشيراته باقتراب موعد الحدث المنتظر (١/١٥) . وبالمقابل ، فان المقاطعة الفلسطينية للمؤتمر والهجوم السوري الشديد عليه ، وتضامن ليبيا مع موقفي منظمة التحرير وسوريا وتحفظ الجزائر أزاء المؤتمر رغم حضورها الجلسات ، كلها عوامل ادت الى **اضعاف شأن المؤتمر وتقليل اهمية القرارات التي صدرت عنه .**

وكان من اثر تلك المواقف ، علاوة على الانقسام الداخلي الحاصل في السلطة اللبنانية ، ان اكتفى الوفد اللبناني الى المؤتمر بطلب المعونات الاقتصادية للتعويض عن الخسائر المادية الناجمة عن القتال ، **وذلك اضافة الى ان حالة المقاطعة الفلسطينية والسورية فرضت على معظم الدول العربية الاسراع في الاعلان عن ان مسألة العلاقات اللبنانية ــ الفلسطينية لن تطرح على بساط البحث في المؤتمر .**

وكانت منظمة التحرير قد تداركت الامر من جهتها ووجهت في ١٣ تشرين الاول ، اي عشية انعقاد مجلس جامعة الدول العربية ، **مذكرة فلسطينية الى هيئة الحوار الوطني اللبناني** ، ضمنتها النقاط الخمس التالية :

أ ــ ترفض المقاومة اي اتجاه لاعتبار لبنان وطنا بديلا للفلسطينيين .

ب ــ ان العلاقات اللبنانية ــ الفلسطينية تحددها الاتفاقات المعقودة بين الطرفين .

ج ــ يحق للبنانيين مناقشة العلاقات اللبنانية ــ الفلسطينية ضمن اطر مؤسسات الدولة على ان تتعامل المقاومة مع محصلة المواقف اللبنانية معبرا عنها بالمواقف الرسمية .

د ــ ان الاتفاقات المعقودة تفرض على سائر القوى ، الاقرار بشرعية الوجود الفلسطيني في لبنان .

هـ ــ تطلب المقاومة من كل الاطراف التعهد بشكل نهائي بعدم اللجوء الى العنف في حل اي اشكالات مستقبلا .

وقد اقتصر البيان الختامي الصادر عن مؤتمر وزراء الخارجية على التأكيد على حرص الدول العربية المجتمعة على وحدة اراضي لبنان ووحدة شعبه كما حذر من امكانية استغلال العدو الصهيوني الموقف بشكل مباشر او غير مباشر .

حملة اسقاط كرامي وتشكيل الهيئة الامنية :

نتج عن فشل مؤتمر وزراء الخارجية العرب في تحقيق اية مكاسب للانعزالية اللبنانية ، سيما ان الانقسام الحاصل في الموقف الرسمي اللبناني (بين فرنجية وكرامي) ــ المعبر عنه في عجز وزير الخارجية اللبنانية عن التحرك الايجابي في المؤتمر ــ قد منع دولا عربية عدة عن الافصاح عن حقيقة مواقفها ، ان **تحولت الانعزالية اللبنانية مجددا الى محاولة حسم الصراع الدائر داخل تشكيلة الحكم**

اللبناني نفسه باتجاه دفع الرئيس كرامي الى الاستقالة والوصول الى انزال الجيش. وقد تركز تحرك تحالف فرنجية ــ شمعون ــ الكتائب على المحاور التالية :

١ ــ **شل هيئة الحوار الوطني اللبناني** واللجان المنبثقة عنها بحجة اولوية القضايا الامنية وارتباطها الوثيق بهدف « العمل على استعادة السيادة اللبنانية فوق كل اراضي البلاد » ، اي طرح اعادة النظر بالتواجد الفلسطيني المسلح في لبنان ، والشروع في حملة طعن « بشرعية » الهيئة المذكورة و « دستوريتها » و «صلاحياتها» والسعي لاحياء المجلس النيابي كاطار « دستوري » و «شرعي» بديل عنها (تصريحات مختلفة لشمعون والاسعد والجميل) .

٢ ــ **المضي في التصعيد السياسي** كما حدث في البيان المشترك الصادر عن الرهبانيات والرابطة المارونية والذي ركز على النقاط التالية: أ ــ اعتبار ان «الحكومة اللبنانية عاجزة عن القيام بأي عمل من شأنه اعادة الامن الى الربوع والطمأنينة الى النفوس » . ب ــ القول بأن لبنان « واقع تحت الاحتلال الفعلي » و « ان مناطق لبنانية (من محافظات الجنوب والشمال والبقاع وبيروت ومسماة في البيان) خرجت تماما عن سلطة الدولة اللبنانية واصبحت تحت سيطرة المنظمات الفلسطينية » . ج ــ « ان اي موضوع او طلب او مفاوضة لا يمكن اطلاقا ان تتم الا بعد سيطرة السلطة اللبنانية سيطرة تامة واضحة مطلقة على كامل الاراضي اللبنانية في كل الظروف والاحوال » . د ــ الدعوة الى طرح القضية اللبنانية « من زاوية السيادة » على الراي العام العالمي سواء عن طريق الجامعة العربية ام هيئة الامم المتحدة » . هـ ــ طرح الوجود الفلسطيني في لبنان كجوهر ازمة دائمة ناجمة عن « تدخل الفلسطينيين في شؤون لبنان الداخلية ، وامتدادهم في عمق المناطق اللبنانية واحتلال جزء كبير منها واشتراكهم المباشر في الحوادث الاخيرة » . و ــ التلويح والتهديد بالتقسيم من خلال طرح المعادلة التالية : اما الاستجابة لمطالب الانعزاليين في حربهم على الثورة الفلسطينية واما « ان يصبح التقسيم الواقع بقوة الاحتلال والتهجير الكرهي ، امرا ، لا سمح الله محتوما » .

٣ ــ **الاستمرار في تصوير الصراع الدائر كقتال لبناني ــ فلسطيني** وانتهاج خط تكتيكي يتستر بقبول اتفاقية القاهرة وبروتوكولات ملكارت **ــ شرط الالتزام بتطبيقها الصارم ــ** ويدعو الى البحث في **« صيغة »** التواجد الفلسطيني المسلح في لبنان من اجل « استعادة السيادة اللبنانية على كامل الاراضي اللبنانية » .

٤ ــ **اشعال الجبهات العسكرية عن طريق الخطف والقنص والارتكاز على التدهور المستمر في « الحالة الامنية » لمضاعفة الضغوط على الرئيس كرامي من اجل انزال الجيش او الاستقالة .**

فبالرغم من تمكن الانعزالية اللبنانية من شل هيئة الحوار الوطني التي كان كرامي يعتبرها من **اهم انجازاته « الترميمية »** ويعتمدها اطارا لممارسة سياسته في **« اخماد النيران » و « التهدئة »** ، وبالرغم ايضا من تهديد مصير لجنة التنسيق العليا ، الاطار « الكرامي » الاخر ، بسبب خرق القوى الانعزالية **لخمس اعلانات متتالية عن وقف اطلاق النار** في النصف الثاني من تشرين الاول ، وبعد ان واجه الحملات السياسية التي قادها التحالف الانعزالي ضد سياسته ، بهجوم مضاد استهدف فيه فرنجية « لانه قادر على انهاء القتال لو اراد » وشمعون « لانه رئيس قبيلة ، فخليه يضبط جماعته فينتهي كل شيء » ، بقي كرامي على مواقفه في رفض انزال الجيش ولم يذهب

الى الاستقالة ، اي الى حيث كان يريده التحالف الانعزالي ان يسير . **وقاد تشدد كرامي هذا ، التحالف الانعزالي الى مراجعة تكتيكاته والتبديل في عناصر مناورته السياسية بهدف جعل الاستقالة المطلوبة قرارا طوعيا يختاره كرامي بنفسه ولا يحجم عنه نتيجة الضغط الانعزالي .** فأخذ فرنجية يغطي تحركه واتصالاته السياسية الرامية الى تأمين شخصية سنية تخلف كرامي في رئاسة احدى التشكيلتين الوزاريتين المقترحتين بدلا عن الحكومة السداسية (عسكرية صرفة وعسكرية برئاسة مدني : تقي الدين الصلح او سليمان العلي . بحجة عجز كرامي عن ممارسة صلاحياته وتحميله مسؤولية التدهور المستمر في « الحالة الامنية » ، كما ان الجميل اخذ يعلن ايضا عن تفويضه الكامل لكرامي في اختيار « أنجح » السبل الى وقف اطلاق النار . وتجاه هذا الوضع ، اصبح كرامي مجبرا على المبادرة ، فأعلن يوم ٢٨ ت١ عن تشكيل « **هيئة امنية** » ، اتت في تشكيلها على صيغة حكومة مصغرة ، وما ان دعا كرامي الهيئة ــ الحكومة المصغرة الى الاجتماع حتى قوبل بتصعيد عسكري ومقاطعة لتحركه من جهة الاطراف الانعزالية التي اخذت تترقب فشله وتنتظر توجهه بالتالي الى الاستقالة بين لحظة واخرى . **الا ان الدعم المثلث** (سوريا ، الثورة الفلسطينية ، داخليا : جنبلاط سلام اده ، زيادة على الوزيرين تويني وعسيران) **الذي حصل عليه كرامي جعله يعتصم في السراي ويستفيد من الهزائم النسبية التي حصدتها القوى الانعزالية على جبهات القنطاري ــ الفنادق ، عين الرمانة والناعمة ليتمكن من احياء لجنة التنسيق العليا بدلا عن الهيئة الامنية والوصول الى الاعلان عن وقف لاطلاق النار يوم واحد تشرين الثاني .**

وتكتسب هذه الحقبة الصغيرة التي عالجنا فيها تفصيلا التكتيكات وقواعد المناورة السياسية التي اعتمدها كل من فرنجية والكتائب وكرامي ، اهميتها القصوى في مراجعتنا لمجريات الحرب الاهلية في لبنان كونها تمكننا من الوصول الى تحديد دقيق للدور الذي حمله الرئيس كرامي طوال المرحلة الممتدة من تجدد الاقتتال اثر ابرام « اتفاقية سيناء » الى تقديم استقالته الاولى عشية اقتحام منطقة الكرنتينا ــ المسلخ. **وهذا الدور ليس الشراكة الفعلية في السلطة التي تمكنه من المبادرة والتحرك الايجابي ، بل دور القادر من موقعه في السلطة ، ــ اي رئاسة الوزارة وتوابه فيها وزارة الدفاع ــ على منع رئيس الجمهورية والقوى الانعزالية ــ ومنها وزير الداخلية ــ من الاستئثار الكامل بالسلطة . فكما ان ثبات كرامي في رفض الاستقالة فوت الفرصة على تشكيل حكومة جديدة وانزال الجيش ، فانه ايضا لم يكن في موقع الحاكم الذي يستطيع فرض شروطه ، بل كان عنصرا رادعا من داخل السلطة لا يستطيع رئيس الجمهورية تجاوزه بطلاقة .**

مرحلة التدويل الاولى والبحث عن القاسم المشترك :

خرج اذن الرئيس كرامي منتصرا من السراي : فهو قد توصل الى تحقيق وقف لاطلاق النار وافسد مناورة تحالف القصر ــ شمعون ــ الكتائب ، بل انتزع من رئيس الجمهورية اشادة بما اطلق عليه اسم « **الطريقة الكرامية** » بالحكم وذلك في جلسة مجلس الوزراء التي اعقبت الاتفاق (١/١١) . وحاول كرامي الانطلاق من « **انجازه** » « **الامني** » هذا ، الى توفير شروط الحد الادنى الضرورية « لوقف الاقتتال» و « ترميم » الوضع السياسي عن طريق الاستمرار في لعب دور الوساطة ــ سياسيا الآن ــ بين اطراف الصراع والبحث عما اسماه « **القاسم المشترك** » ، فتحرك داخليا باتجاه الكتائب ، وعربيا عبر رسل اوفدهم الى سوريا ، وذلك بعد ان اطمأن

الى سقف التهديدات الصهيونية خلال مشاوراته مع السفير الاميركي غودلي واستلامه رسالة التأييد التي وجهها اليه كيسنجر في ٦ تشرين الثاني .

وبالرغم من تفجر الوضع العسكري مجددا بعد حادثة « **باخرة الاكوامارينا** » (٧٥/١١/٦) وما نتج عنها من صدام بين كرامي وقادة الجيش بعد ان رفع اليه العقيد فارس لحود ، قائد البحرية تقريرا كاذبا عن طبيعة حمولة الباخرة وبعد ان خالفت القيادة العسكرية اوامره بمنع تفريغ الاسلحة ومصادرة الباخرة وسحبت قوات الجيش اللبناني من مواجهة المسلحين الكسروانيين الذين نزلوا الى الشاطىء لحماية الباخرة ، وبالرغم ايضا مما ادت اليه الحادثة من احتدام بينه وبين الرئيس فرنجية الذي غطى مسؤولية الضباط المعنيين بقضية الباخرة ، فان كرامي حاول تجاوز الانفجار المستجد في الوضع العسكري والتصعيد السياسي الحاصل بين اطراف الصراع ليستمر في دور الوساطة الذي اختاره سعيا الى « القاسم المشترك » . **وقد تمكن القصر وحلفاؤه من استدراج كرامي الى القبول بمجلس الوزراء كاطار بديل عن هيئة الحوار الوطني للبحث في شؤون الاصلاح ومن ثم الى اعتبار الامر المطلوب مسألة « تفسيرات » للدستور وليس ادخال تعديلات اساسية عليه** ، بينما استمروا — القصر وحلفاؤه — في توتير الوضع العسكري وتحضير اجواء ساخنة لاستقبال برتولي ، المبعوث البابوي . وكان تحالف القصر — تسمعون — الكتائب ، وخاصة منذ فشل اجتماع وزراء الخارجية العرب ، قد بادر على الساحة الدولية الى تحريك عدة رسل — ابرزهم الرئيس السابق شارل حلو ، والوزيرين السابقين خليل ابو حمد وشارل مالك وبعض السفراء اللبنانيين المعتمدين في اوروبا والاميركتين — بهدف دفع بعض الدول الغربية باتجاه الصراع الدائر على الساحة اللبنانية ومطالبتها بمواقف اكثر حسما .

وشكلت الوساطة البابوية التي قام بها الكاردينال برتولي (وصل بيروت في ٩ تشرين الثاني ١٩٧٥) اولى الوساطات الدولية في الازمة اللبنانية . وقد بدا واضحا منذ بداية تحرك الكاردينال برتولي وقيامه بالاتصالات الاولى ، ان **الفاتيكان ينظر الى الصراع اللبناني من زاوية المخاطر التي يحملها الاقتتال الحاصل ، باشكاله الطائفية الغالبة ، على مستقبل الطوائف المسيحية في سائر الاقطار العربية واحتمال وقوع ردات فعل عدائية تجاه رعاياها ، مما يهدد سياسة الفاتيكان الحالية في الانفتاح على قضايا شعوب آسيا وافريقيا وتوجهه نحو تعزيز الحوار المسيحي — الاسلامي .** من هنا ، شدد برتولي على رفضه المطلق لاي كلام عن التقسيم مستغربا حتى حدوثه، ودعا الى تجديد تجربة التعايش اللبناني حتى ولو توجب ذلك تخلي المسيحيين عن بعض امتيازاتهم من اجل القيام بالاصلاحات الاجتماعية والسياسية الضرورية . **وكان في ذلك قريبا من وجهة نظر البطريرك الماروني خريش والزعامات المارونية المتنورة كالعميد اده** . ولكن برتولي اصطدم بالتباين الشاسع القائم بين سياسة الكنيسة الكاثوليكية الحديثة والمواقف التي يدافع عنها الاباتي قسيس واقطاب التيار الانعزالي الماروني . وانتهت الوساطة البابوية دون التمكن من دفع عجلة التسوية الداخلية المطلوبة مكتفية بتقديم نصائح الاعتدال السياسي وانتهاج سبل الحوار والانفتاح .

وتتميز الوساطة الدولية الثانية التي قام بها وفد فرنسي برئاسة السيد كوف دي مورفيل الذي وصل الى بيروت يوم ١٩ تشرين الثاني بطابعها السياسي (باعتبار الفاتيكان صاحب الوساطة الاولى مرجعا دينيا دوليا) وتمثيلها لموقف كتلة سياسية دولية هي مجموعة دول السوق الاوروبية المشتركة التي نها سياسة عربية متجانسة

الى حد كبير والتي عبرت عن رايها بالازمة اللبنانية في عدة مواقف رسمية سابقا . ومع ان السيد دو مورفيل نعت مهمة بعثته « بالصداقة والاستقصاء » ، **فان فرنسا كانت قد استطلعت الموقف العربي والدولي جيدا قبل التحرك وسعت الى تحضير عمل بعثتها مع كل من السعودية وسوريا بشكل رئيسي والى التنسيق مع اميركا .** وكان السيد سوفانيارغ، وزير الخارجية الفرنسية، قدتباحث مع المسؤولين السعوديين في شؤون الازمة اللبنانية ، واتصل بالمسؤولين السوريين ، وكان وزميله البريطاني قد تبادلا الراي مع الادارة الاميركية بشأن الموقف في لبنان وابعاده العربية والدولية . (وقد صرح كيسنجر امام مجلس النواب الاميركي يوم ١٥ تشرين الثاني بالتالي : **لا اعتراض لنا على الوساطة الفرنسية ، والمهم ان نبقى خلف الكواليس)** . وبالفعل ، لم يكن يتبقى على الوساطة الفرنسية سوى ان «تستقصي» ميدانيا ، المواقف المختلفة لاطراف الصراع ، ومن ثم ان تحاول صياغة الحلول الممكنة .

اما داخليا ، فان القوى الانعزالية تابعت رفضها للسير الفعلي مع كرامي في طريق « القاسم المشترك » ، عبر التصلب في المواقف السياسية ومتابعتها التصعيد العسكري من خلال اعمال الخطف الواسعة النطاق والقنص والراشق بالقذائف الصاروخية ومدها لدائرة القتال الى تل الزعتر مجددا عشية وصول المبعوث الفرنسي .فبالاضافة الى **افشال جلسات مجلس الوزراء** التي حاول كرامي تخصيصها « لتفسير » الدستور **ورفض الكتائب ما اسمته « توصيات الامر الواقع » الصادرة عن الهيئة السياسية لهيئة الحوار ،** بحجة ان « الهيئة لا تتمتع بأية صفة تمثيلية او تقريرية شرعية وليس لها اي وضع قانوني » ، (١٤ تشرين الثاني .) **تمكن التحالف الانعزالي من الحيلولة دون أحياء هيئة الحوار الوطني** موجها الضربة القاضية اليها يوم ٢٤ تشرين الثاني من خلال تخلف شمعون ، وزير الداخلية ، عن حضور اجتماع الهيئة المخصص للبحث في الوضع الامني في ظرف يتوجه الاتهام الصريح فيه لقوى حزبه بأنهما وراء التصعيد العسكري .

ونتيجة لما كانت تحمله كل هذه المؤشرات من دلالة واضحة على **تعمد القوى الانعزالية اغلاق ابواب الحوار الداخلي ورفضها الاقدام على اية تسوية في ظل موازين القوى القائمة آنذاك وحصر تعاملها مع الوساطات الدولية التي استقدمتها بالحدود التي تكسب فيها تهديدها بالتقسيم والتدويل ابعادا جديدة ومؤثرة في ميزان الصراع ، وتؤهلها للمضي في مساعيها الابتزاز داخليا وعربيا ،** نتيجة لذلك لم تختلف مسيرة دو مورفيل في بحثه عن الحلول « الميدانية » عن الطريق التي كان قد سلكها كرامي سعيا وراء « القاسم المشترك » .

وقد حاول دو مورفيل طمأنة الفريق الوطني اللبناني — الفلسطيني بتكراره « ان لا مؤامرة دولية على لبنان ، ولا يعتقد ان قضية التقسيم مطروحة خارج لبنان ، » معتبرا التقسيم « مأساة وكارثة » وحاول طمأنة الفريق الاخر باعتباره مسألة السيادة قضية جوهرية وبضرورة توفر ضمانات لتنفيذ الاتفاقات المعقودة مع الثورة الفلسطينية ، وحاول ايضا ان يعطي كل فريق شيئا مما يطلبه من الفريق الاخر ، فالمح الى وجود تدخل فلسطيني في الشؤون اللبنانية كما اعتبر الاصلاح السياسي والاجتماعي مسألة حيوية لا غنى عنها . وقد اقترح ايضا تحييد «العامل الفلسطيني» عن شروط التسوية الداخلية وربطه بمستقبل الحلول والمبادرات السلمية المقترحة للصراع العربي — الصهيوني . وحققت الوساطة الفرنسية **نجاحا محدودا** في الوصول الى الاتفاق الذي اعلن في مجلس الوزراء يوم السبت في ٢٩ تشرين الثاني واخذ شكل رسالتين اذاعهما الرئيسان فرنجية وكرامي .

وقد اقتصرت رسالة فرنجية على القول بأن مصير لبنان بالذات قد بات مهـــددا بنتيجة ما يشهد من احداث وان هذه الاحداث ، في حال استمرارها « تهدد بـــأن تمتد بنيرانها الى ابعد من حدوده » . اما البيان الذي اذاعه كرامي فقد اكد ايضـــا على ان الخطر يهدد وجود لبنان وانه يتوجب العمل لبقاء لبنان بلدا موحدا وجزءا لا يتجزأ من العالم العربي وقد تناول الاصلاح السياسي والاجتماعي على انه « تكييف البلد مع واقع العالم الحديث » .

وبالرغم من المباركة السورية التي حظي بها الاتفاق المذكور والتي جعلت سوريـــا تتحرك سريعا بأتجاه الكتائب (دعوة الجميل لزيارة دمشق يوم ٢٩ تشرين الثاني) لطمأنتها عن الاستعداد السوري لضمان الاتفاقات المعقودة مع الثورة الفلسطينية ، **فأن الاتفاق بقي اعرجا ولم ينتقل من كونه « مشروعا جديدا لوقف اطـــلاق النار + محاولة لتجميد التصعيد السياسي للازمة » ويتحول الى خطوة تفتح باب التسويـــة الداخلية** ، وذلك يعود الى عدة عوامل :

اولا : استمرار مراهنة القوى الانعزالية على **امكانية وصولها الى انتـــزاع قرار رسمي بأنزال الجيش** الى ساحةالقتال ، والى جانبها .

ثانيا : تأجج بعض الخلافات داخل الصف الوطني ـــ الاسلامي ، وبروز احتمال تحولها الى شروخ فعلية ، وقد طفت على السطح بوادر الفرقة والتمزق في محاور ثلاث : ا ـــ ولادة « جبهة الاحزاب والقوى الوطنية والقومية » تميزها عن الخط العام لتحالف الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية . ب ـــ اتساع الحملات المتبادلة بين صائب سلام وبعض الاحزاب اليسارية (الحزب الشيوعـــي خاصة) بعد عودة سلام من السعودية ، وتمكن بعض العملاء السابقين لاجهزة الاستخبارات اللبنانية من النفاذ عبرها لتأجيج صراع اخر : تنمية بقايا النعرة الاقليمية اللبنانية في بيروت الغربية ضد الامتداد الجماهيري الفلسطيني . ج ـــ تصعيد جنبلاط لانتقاداته لسياسة كرامي بأسلوب « التمريك » ووضع « علامات السلوك » مما كان يعمق في التبايـــن الحاصل بين مواقفها ويهدد التحالف القائم مع كرامي .

ثالثا : سعي الطرف الانعزالي **لاستثمار حدوث الوساطتين البابوية والفرنسية ، ومن ثم زيارة فالدهايم (١١/٢٦) الى لبنان لجهة التهديد بأمكانية الانتقال الـــى التدويل الفعلي** مستفيدين في ذلك من اقتراب موعد جلسة مجلس الامن ، ومن امكانية تحول الموقف الاميركي الى المبادرة المباشرة ، بعد فشل دومورفيل وهجوم الاتحاد السوفيتي على الوساطة الفرنسية .

رابعا : مراهنة الاطراف الانعزالية على مقدرتها علـــى توظيف امتلاكها سلاحي « التدويل » و « التقسيم » للابتزاز عربيا ، خاصة ان مصر وبعض الدول الخليجية لم تكن بعيدة عن التفكير في تجديد مساعيها من اجـــل معاودة « تعريب » الازمـــة اللبنانية ، وذلك علاوة على التحرك المستمر للاطراف الانعزالية من اجل الاستفادة التكتيكية القصوى من انقسام المواقف العربية تجاه الصراع الدائر فوق الاراضـــي اللبنانية . (مصر ـــ سوريا ، تعريب ـــ لا تعريب ، المبادرة العراقية وتناقضها مع الوساطة السورية ، تعثر محادثات سلام في السعودية .)

السبت الاسود ، حصار المخيمات والقمم المارونية :

نتيجة العوامـــل الاربع المتبينة اعلاه ، **لـــم يقد اتفـــاق ٣١ تشريـــن الثاني** +

التحـرك السوري باتجاه الكتائب ، الـى الحد مـن التصعيـد الانعزالـي ، ولم يستكمـل الاعلان عن رسالتي الرئيسين فرنجية وكرامي بالبحث في الاصلاحات المقترحة والسير نحو التبديل الوزاري ، بل على العكس تتابع حدوث مجموعة مـن **عمليات الاثارة الاستخبارية** (١ ــ حرق نسخ من القرآن ، وهي في طريقها من بيروت الى السعودية يوم ٢ كانون الاول ، ٢ ــ افتعال صدامات مسلحة في البقاع علـى يد عناصر من الشعبة الثانية يومي ٢ و ٣ كانون الاول ، ٣ ــ القيام بحرائق ووضـع متفجرتين في كنيستين في طرابلس يوم ٤ كانون الاول ،) ٤ ــ وجود جثث اربعة مـن الكتائبيين يوم ٦ كانون الاول في منطقة الفنار ، ٥ ــ استمرار عمليات الخطف الطائفي) . حتى تفجر الوضع مجددا يوم **« السبت الاسود »** في ٦ كانون الاول (وهو يوم زيـارة بيار الجميل الى دمشق) حيث قامت مجموعات بشير الجميل الكتائبية بأكبر مجزرة طائفية عـرفتها الحرب الاهلية اللبنانية حتى ذاك الحين : خطف مئات المسلمين وقتل العشرات منهم امام البيت المركزي للكتائب في محلة الصيفي ، وفي مناطق المرفـأ والوسط التجاري ، ومصلحة الكهرباء ومعظم مداخل منطقة الاشرفية .

احدثت مجزرة السبت الاسود ــ خاصة من حيث رفعها لاي ابهام حول التوجه الفعلي للفريق الانعزالي سياسيا وعسكريا ــ **تحولا نوعيا في سياسة التصدي لـدى تحالف الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية** ونقلتها من العمل على اسـاس تكتيكي « التهدئة » : أ ــ ضبط النفس بهدف تفويت فرص التصعيد المبرر على الطرف الاخر ، ب ــ الرد على النار بالمثل مع وجود حيز « الرد الاعنف » (قصف الاشرفية ٧ ــ ٨ تشرين الاول ، والعمليات المحدودة في محـاور عين الرمانـة والناصرة ــ سوديكو ١٨ و ١٩ تشرين الاول) ، الى العمل بقاعدة الردع الحدود .

تتلخص اهداف المبادرة العسكرية التي اقدمت عليها « القوات الوطنية المشتركة » بشن الهجوم العسكري في منطقة الفنادق ، وتمكنها من تطهير فندقي السـان جورج والفينيسيا ، بالنقاط التالية :

١ ــ توجيه ضربة عسكرية قوية للكتائب وحلفائها .

٢ ــ اثبات مقدرة «القوات الوطنية المشتركة» على الانتقال منمواقع الدفاعالثابت الى ممارسة الهجوم التكتيكي الرادع .

٣ ــ منع ردود الفعل الطائفية المحتملة على مجزرة السبت الاسود والاستعاضة عنها بمبادرة عسكرية على اساس « الردع المحدود » .

٤ ــ التأثير في موازين القوى من خلال العمل العسكري .

رافق اتساع الاشتباكات العسكرية وتصعيدها اثر مجزرة السبت الاسود ، تعثر ايضا في طريق الساعين الى « القاسم المشترك » . فبعد تحميل الرئيس فرنجيـة ايسار والصهيونية مسؤولية الازمة اللبنانية (كلمـة الرئيس في مجلس الوزراء ١٢/٩) ومن ثم اتهامه الثورة الفلسطينية بالتنكر لوعودها والخروج عن الالتزامات التي تضمنتها مذكرة المنظمة الى هيئة الحوار الوطني (كلمة الرئيس في مجلس الوزراء ١٢/١٧) تحرك شمعون بدوره مصرحا يوم (١٢/٢٢) عن « وجود تدخل مسلـح غريب في منطقة البقاع » من اجل التأثير على مباحثات كرامي ــ الموجود يومها فـي دمشق ــ مع المسؤولين السوريين **والالتفاف على برنامج النقاط الخمس** (القاسـم المشترك) : مناصفة طائفية في مقاعد المجلس النيابي ، الغاء طائفية الوظيفـه ،

انتخاب رئيس الحكومة من المجلس النيابي ، انشاء مجلس اجتماعي اقتصادي ، انشاء محكمة عليا لمحاكمة الرؤساء والوزراء . . . وهي النقاط التي وضعها حكمت الشهابي بعد الجولة الاستطلاعية التي قام بها يوم (١٢/١٩) .

وقد وفرت القمة المارونية المنعقدة بتاريخ ١٢/٣١ التغطية الطائفية لتصلب الرئيس فرنجية تجاه المقترحات السورية ، مفوضة اياه العمل على « توحيد الصف الماروني »، وذلك بعد ان تجاهلت مقرراتها « برنامج النقاط الخمس » ، اذ تضمنت تصريحات الاقطاب الموارنة المشاركين في القمة المواقف التالية :

١ ــ رفض المناصفة النيابية ما لم تكن مرتبطة باحصاء عام يشمل المغتربين .

٢ ــ رفض الغاء الطائفية السياسية لانه يشكل مساسا بالميثاق الوطني .

٣ ــ رفض انتخاب رئيس الوزراء من المجلس النيابي والتمسك بعرف الاستشارات .

وفي السياق نفسه ، حملت تصريحات الاقطاب الموارنة اتهامات مباشرة للثورة الفلسطينية ــ « كل كوارثنا هي نتيجة لعدم تطبيق الاتفاقات » ــ وعودة الى طرح اولوية مسألتي الامن والسيادة ، كما انها لم تخل من تهديدات واضحة بامكانية اللجوء الى التقسيم .

وبالرغم من اتجاه الطرف الاخر ــ اي الطرف الوطني الاسلامي ــ في قمة عرمون الاسلامية الثانية الى ضغط المطالب الوطنية والاسلامية المطلوب تحقيقها يومها ،واتفاق اعضاء القمة على حد ادنى من الاصلاحات المقترحة مما يفسح المجال امام استكمال طريق « القاسم المشترك » ، **فان مبادرة القوى المضادة الى حصار المنطقة الشرقية من بيروت (ابتداء من يوم ٧٦/١/٤) كشفت بما لا يفسح مجالا للشك عن رفض هذه القوى الدخول في اية تسوية انطلاقا من موازين القوى القائمة آنذاك واتجاهها نحو تحقيق الاهداف التالية :**

اولا : تصفية الوجود الفلسطيني والوطني اللبناني القائم في المناطق الواقعة تحت سيطرة قوى التحالف الانعزالي كمدخل لفرض اعادة البحث في مسائل التواجد الفلسطيني المسلح في لبنان ، وافتعال المعارك مجددا تحت شعار تجريد المخيمات من السلاح للتركيز على الطابع « اللبناني ــ الفلسطيني » ــ حسب تعبيراتهم ــ للازمة وصولا الى **استدراج التدخلات العربية** على هذا الاساس ، مستفيدين كالسابق من حالة الانقسام العربي تجاه الازمة اللبنانية واشتداد الصراع العربي حولها ، خاصة من حيث تبني بعض الانظمة العربية مشروع ارسال قوات عربية الى لبنان . وكان حمود رياض قد ابرق في نهاية كانون الثاني ١٩٧٥ الى وزراء الخارجية العرب يدعوهم « الى التحرك السريع من اجل المساهمة في وقف نفجر الازمة اللبنانية » كما ان اسماعيل فهمي قد دعا في ١/٤ الدول العربية الى القيام « بجهد جماعي لوقف التدهور السياسي في لبنان» . ولم يتلق محمود رياض يومها سوى برقيتين جوابيتين :الاولى من السودان تستجيب لدعوته ، والثانية من منظمة التحرير تدعوه فيها الى القدوم الى بيروت ودمشق واجراء اتصالات عربية بعد التشاور مع هاتين العاصمتين .

ثانيا : استكمال خطة التهجير التي بدأتها القوى الانعزالية في سبتمبر وحارة الغوارنة من اجل احكام قبضتها على المناطق المسيحية الواقعة تحت سيطرتها والمضي من مواقع القوة في التهديد بالتقسيم ، خاصة بعد ان اخذت تتبلور **اتجاهات تقسيمية فعلية** داخل

بعض اوساط الرهبانيات ، والتنظيمات المسلحة المتصلة بالرابطة المارونية وبعض حلقات المثقفين واصحاب المهن الحرة من المشاركين في لجان الكسليك ، الامر الذي يزود المهددين بالتقسيم باوراق اضافية تكسب **معادلتهم الابتزازية** الجدية والخطورة المطلوبتين : **لبنان بامتيازات للموارنة وبفلسطينيين كقبل ١٩٦٩ أو التقسيم !**

ثالثا : فتح ملف التواجد الفلسطيني في لبنان عشية انعقاد دورة مجلس الامن ، سعيا للتأثير على المكانة والهيبة الدوليين اللتين اخذت تكتسبهما الثورة الفلسطينية وابتزاز سوريا صاحبة الدعوة الى انعقاد مجلس الامن ودفعها لتحويل ضغوطها باتجاه تحالف الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية او حملها على القبول « بتعريب » الازمة اللبنانية ، خاصة بعد تعثر تحرك محمود رياض واسماعيل فهمي في انجاح الدعوات التي اطلقوها ، وتحول المملكة العربية السعودية الى دعم الوساطة السورية منذ زيارة الملك خالد الى دمشق في اواخر كانون الثاني ١٩٧٥ .

وفي هذا الوضع من الصدام المسلح الناجم عن حصار المنطقة الشرقية من طرف القوى الانعزالية واضطرار الثورة الفلسطينية الى تنفيذ الانذار الذي وجهته مع الحركة الوطنية اللبنانية بضرورة فتح الطريق الى تل الزعتر يوم ٧٥/١/٤ ، وعلى قاعدة التصعيد السياسي المستمر لشمعون — الذي فتح النار على كل من سوريا والثورة الفلسطينية وجنبلاط وكرامي وسلام — والكتائب التي اخذت تعلن انه « **اذا كنا نريد صيانة وحدة البلاد فيجب اما التنازل عن النصف الاخر من السيادة فتتحد البلاد تحت الاحتلال الفلسطيني واما ان نحتفظ بهذا النصف ونتخذ منه منطلقا لتحرير الاخر** » . (٧٦/١/٧) . على هذه القاعدة من التصعيد اذن ، تمكن الرئيس فرنجية من المناورة بشأن الوساطة السورية مؤجلا الحسم في « النقاط الخمس » ومبقيا الجسور مفتوحة مع دمشق : مهمات الشيخين بطرس وسليم الخوري ولوسيان دحداح (من اجل تحضير وتأجيل لقاء الاسد — فرنجية) ، وذلك بهدف **كسب الوقت لانجاح التحرك الانعزالي ، ومن ثم التفاوض من مراكز القوة .**

وفي هذا السياق، عقد فرنجية سلسلة من لقاءات القمة للطوائف المسيحية من اجل التسلح بمواقف متشددة تدعمه في اللقاء المقترح مع الرئيس الاسد لجهة التأكيد على اولوية الضمانات السورية والعربية المطلوبة من اجل « تطبيق اتفاقية القاهرة » وتمكين السلطة من « **استعادة السيادة على الاراضي اللبنانية** » ، ومن ثم اقرار بعض الاصلاحات السياسية . وقد تحرك فرنجية باتجاه ايجاد **نقاط مسيحية مشتركة** في تحميل « الفلسطينيين » مسؤولية الازمة والقتال الدائر ، وذلك من خلال تدخله المباشر للخروج بموقف ماروني متصلب (وقد وفر ذلك باختياره فؤاد الشمالي والياس الهراوي لتمثيل الموارنة الى جانب الجميل وشمعون والقسيس وابو سليمان مستبعدا اي تمثيل للاتجاهات المارونية المعتدلة مثل الكتلة الوطنية والحزب الدستوري) . ومن ثم العمل لانتزاع مواقف شبيهة من قمم الاورثوذوكس والكاثوليك والاقليات ، الامر الذي اتضح من خلال طبيعة اختيار الرئيس لممثلي هذه الطوائف . (فعلى الصعيد الارثوذوكسي مثلا ، ثم استبعاد شخصيات بارزة مثل المطران خضر وانوزراء السابقين ابو حيدر، سنابا وخلف، وبدلا عنهم تم احياء اشخاص فقدوا دورهم كممثلين سياسيين للاورثوذوكس مثل فؤاد بطرس ونسيم مجدلاني) .

فالمواقف المسيحية المتطرفة والمتصلبة التي تسلح بها فرنجية (اي نتائج القمم التي عقدها) وما رافقها من تصعيد عسكري متواصل بلغ ذروته مع اقتحام القوى الانعزالية يوم ١/١٤ مخيم ضبية ومن ثم تدخل الطيران يوم ٧٦/١/١٧ لنجدة الجيوب الانعزالية

المحاصرة في منطقة الدامور ــ السعديات ــ الجية ، وانتقال الحشود العسكرية الانعزالية من ضبية الى اقتحام منطقة المسلخ ــ الكرنتينا ، كان عليها كلها ان **تخدم الرئيس فرنجية في اسنجماع اوراقه الضاغطه وتحديد موعد للقاء المقترح عقده آنذاك مع الرئيس الاسد ، حيث كان التحالف الانعزالي يراهن على ان فرنجية سيدخل الى المفاوضات من موقع « الانتصارات العسكرية » المحققة والحدود الدنيا للمطالب الاصلاحية « المفوض » مسيحيا بقبولها .**

٨ ــ اسقاط حلقة جديدة من حلقات المؤامرة الاستعمارية ــ الانعزالية وتجدد الوساطة السورية :

بعد تجميد الثورة الفلسطينية لتحركها العسكري من اجل فتح طريق تل الزعتر يوم ١/٩ تحسبا تجاه التطورات السياسية المتسارعة على المستويين، العربي ــ الدولي، والداخلي اللبناني ، وايقافها لتقدم قواتها عند غاليري سمعان وحرج ثابت ، ونتيجة لاتضاح مرامي التصعيد الانعزالي (استمرار الحصار ــ اقتحام مخيم ضبية ــ بداية الهجوم على المسلخ ــ الكرنتينا) ومن اجل التعامل مع العناصر المستجدة في ميزان الصراع ، بعد كل هذا اعادت القيادة الفلسطينية تقدير الموقف ، **وقررت القيام بهجوم عسكري معاكس الى الحد الذي يرتدع فيه الطرف الانعزالي ويفرض عليه التراجع عن مخططاته** . وقادت عملية الهجوم المعاكس الى احداث مجموعة من **المتغيرات** في ميزان الصراع المحلي والعربي ، والتي فرضت بدورها على القوى الانعزالية التراجع واعادة النظر في مخططاتها وحساباتها . واهم هذه المتغيرات هي التالية :

اولا : تبدل ميزان القوى الداخلي بشكل راجح لصالح الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية بعد النجاح اساسا في تطهير خط الجية ــ السعديات ــ الدامور وسيطرة القوى الوطنية على كامل قرى البقاع باستثناء مدينة زحلة وتقدم القوات الوطنية على المحاور القتالية في جبهة طرابلس ــ زغرتا .

ثانيا : سقوط مراهنة القوى الانعزالية على امكانية انزال الجيش اللبناني الى جانبها في ساحة القتال وذلك نتيجة لتفكك وحداته وتدهور فعاليته القتالية اثر حدوث وضع من الاستقطاب الداخلي وحالات التمرد والعصيان والشرود ، بعد الاشتراك السافر للطيران ووحدات من المشاة والمغاوير الى جانب القوى الانعزالية في معركة الدامور ، وقيام وحدات عسكرية اخرى باقتحام حوش الامراء (احد مداخل زحلة) لحساب التجمع الزحلي العام ، وحيث شكل قيام « جيش لبنان العربي » ظاهرة عسكرية متماسكة تمتلك مقومات الاستمرار على قاعدة وعي سياسي وطني متقدم ، وتطرح كمجموعة عسكرية ــ الامر الذي يحدث لاول مرة في تاريخ لبنان الحديث ــ موقفا وطنيا من شؤون القيادة والبنية الداخلية والاصلاح في الجيش وتقدم ايضاوجهة نظر قومية في مسألة دور الجيش وماهيته .

ثالثا : ازدياد الانقسام في وضع السلطة اللبنانية نتيجة تقديم الرئيس كرامي استقالته يوم ١/١٨ وذلك في محاولة مزدوجة : أ ــ الالتفاف على امكانية تفجير الوضع الوزاري عن طريق استقالة محتملة لشمعون . ب ــ استعجال الضغط السوري على الرئيس فرنجية . (اما من حيث توقيت استقالته فمما لا شك فيه ، ان عاملين آخرين حددا ذلك : عصيان قيادة الجيش على اوامره ، وتخوفه من سقوط منطقة الكرنتينا ــ المسلخ بينما هو عاجز عن التحرك) .

رابعا : تبدل مواقف الدول العربية باتجاه ادانة الكتائب والتحذير من خطوات

التقسيم والتدويل المحتملة ، وذلك بعد قيام القـوى الانعزالية بحصـار المخيمات ، وانكشاف حقيقة الصراع الدائـر امام الرأي العام العربـي ، على انه تحرك متآمر يستهدف الثورة الفلسطينية وقضية شعب فلسطين .

فلم تلق الكتائب تجاوبا من القاهرة بعد ثنائها على «حكمة القيادة المصرية» ودعوتها الى التوسط ولم تجد صدى « للنداء العام » الذي وجهته الى الملوك والرؤساء العرب للقيام « بوساطة سريعة » .

وكما سقطت الامال « العربية » للكتائب اللبنانية ، انهارت مساعي « التعريب » عند الدول التي عملت طويلا من اجله ... وقبل ذلك كانت دعوات شمعون المتكررة للتدخل الخارجي ، واستنجاداته بدولة الاحتلال الصهيوني ووعوده لجماعته المجتمعين داخل قصر السعديات ، المنتظرين بواخر خط السعديات ـ جونية ، بأن بواخر اخرى ايضا قادمة ، كل هذه الاستنجادات والوعود والدعوات لم تحظ سوى بجواب يتيم ،جواب العدو الصهيوني على الارقام التي اذاعها شمعون عن حجم « التدخل » السوري : **« يبدو استنادا الى معلوماتنا ان ما يقوله وزيـر الداخليـة ، كميل شمعون ، غير صحيح »** ...

اذن ، على قاعدة موازين القوى الداخلية والعربية هذه، وفي ظل وضع عالمي يتميز بثلاثة مواقف اميركية : ا ـ « **تمرير** » اميركا لاستخدامها النقض في مجلس الامن ضد القرار المقدم من دول عدم الانحياز بشأن القضية الفلسطينية ، **وذلك دون احداث ردود فعل قوية عند الاطراف العربية المعنية مباشرة بجلسة مجلس الامن ... سوى عند الثورة الفلسطينية** . ب ـ اعتبار كيسنجر **ان المباريات المهمة في انغولا وليس في الشرق الاوسط** . ج ـ **اتساع الهوة بين المواقف الاميركية والصهيونية المعلنة مـن الوساطة السورية في لبنان** ، في ظل هذا الوضع العالمي تجددت الوساطة السورية يوم ٢١ كانون الثاني ١٩٧٥ وتمكنت من الوصول الى وقف لاطلاق النار وتشكيل لجنة عسكرية عليـا مثلثة الاطراف (سوريا ـ فلسطين ـ لبنان) يوم ٢٢ كانون الثاني .

من هنا ، تبدأ مرحلة جديدة في الحرب الاهلية اللبنانية ، اهم ما ستتميـز به هـو **اختلال معادلات التحالفات السابقة القائمة بين الاطراف الرئيسية في الصراع ، محليا وعربيا ، وانجاه حركة التناقضات في تشابكها اللبناني ـ العربي وتداخلاتها الدولية ـ العربية ، الى ارساء معادلات جديدة في علاقات الصراع والتحالف فيما بين اطراف الحرب الاهلية في لبنان .**

حول مسألة تعدد مصادر الاسلحة

المقدم الهيثم الايوبي

اتسم الصراع العربي ــ الاسرائيلي منذ بدايته ، بانه صراع بين قوتين محليتين غير صناعيتين ، تستخدمان في القتال اسلحة وذخائر ومعدات مستوردة من الدول الصناعية المتقدمة ، الامر الذي جعل الارادة القتالية في المعسكرين العربي والاسرائيلي مرتبطة الى حد بعيد بارادة الدول المصدرة للاسلحة، وخاضعة لتحديدات العمل التي تفرضها استراتيجيات هذه الدول ومخططاتها .

ولقد زاد قوة الارتباط والخضوع لتحديدات العمل عاملان هامان ، يتمثل **اولهما** في ضعف الانتاج القومي العام في الدول العربية واسرائيل بالنسبة الى تكاليف ومصروفات التسليح التي تتطلبها المجابهة المصيرية ، الامر الذي فرض على هذه الدول ضرورة البحث عن مصدر تسليحي يقدم لها ما تحتاج اليه مجانا او باسعار مخفضة ، او يمنحها على الاقل تسهيلات كبيرة في الدفع (ديون طويلة الاجل بفائدة محدودة ، مبادلة السلاح بالسلع المحلية حتى لو لم تكن الدول المصدرة للسلاح بحاجة ماسة اليها) . اما **العامل الثاني** ، فهو ارتفاع المستوى التكنولوجي للاسلحة المستوردة عن المستوى العام للقاعدة التكنولوجية في دول المنطقة ، وهذا ما جعل كفاءة استخدام الاسلحة في الدول العربية واسرائيل مرتبطة (بنسب متفاوتة) بالخبراء والفنيين الذين يرافقون هذه الاسلحة ، وبعدد البعثات العسكرية المرسلة الى الدول المصدرة .

واخذ الارتباط التسليحي اشكالا مختلفة تتناسب مع طبيعة المرحلة التي مر بها الصراع . ففي مرحلة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٥ ، كان الارتباط التسليحي العربي والاسرائيلي وحيد الجانب، نظرا لان المعسكر الغربي كان مصدر السلاح لكلا الطرفين المتنازعين. وكانت ارادة الصراع في الشرق الاوسط بالتالي محكومة بالارادة الغربية القادرة على خلق ميزان القوى الملائم لاسرائيل ، وتحجيم الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، ورسم حدوده الزمانية والمكانية بشكل يخدم مصالح المعسكر الغربي او لا يؤثر عليها على الاقل . وفي العام ١٩٥٥ كسرت سورية احتكار السلاح ، وتلتها مصر ودول عربية اخرى . ولم يعد المعسكر الغربي المصدر الوحيد للاسلحة المتدفقة الى الشرق الاوسط ، واصبحت ارادته جزءا من معادلة ميزان القوى بدلا من ان تكون الضابط الوحيد لهذه المعادلة .

وكان لوصول الاسلحة الشرقية الى المنطقة عدة تأثيرات سياسية واقتصادية

واستراتيجية اهمها : تزايد النفوذ السوفياتي ، وتضاؤل النفوذ الغربي ، وتنامي قوة المعسكر العربي الراديكالي مقابل قوة المعسكر العربي التقليدي من جهة وقوة راس الجسر الامبريالي — الصهيوني من جهة اخرى ، وخسارة الغرب لبعض اسواق السلاح العربية اللازمة لتنشيط الصناعة التسليحية الغربية وتطورها .

واستمر هذا الوضع بعد حرب ١٩٥٦ . وأخذ المعسكر الغربي يخسر مناطق نفوذه وأسواق اسلحته بشكل مستمر ، خاصة بعد اسقاط النظام الملكي في العراق (١٩٥٨) ، واندلاع الثورة في السودان (١٩٥٨) ، وانتصار الثورة الجزائرية (١٩٦٢) . وبقي المد الراديكالي العربي يسير على منحنى متصاعد حتى هزيمة ١٩٦٧ التي رأى فيها المعسكر الامبريالي — الصهيوني ضربة ايقاف حاسمة للمد الراديكالي في المنطقة ، واعتبرتها الامة العربية منطلقا لاعادة تقييم موقفها ، وبناء قوتها الذاتية ، واصلاح العيوب الجذرية الكامنة وراء الهزيمة ، واكتشاف سبب الهزيمة الحقيقي الذي لم يكن بالتأكيد تسليحيا .

وعندما كان معسكر العدو يحاول استغلال الهزيمة العسكرية لتحطيم الارادة العربية واستنزافها وقلب توازنها بغية اجبارها على الاستسلام ، كانت الامة العربية تعمل لتجاوز اثار الهزيمة وتلافي اسبابها ، واعادة بناء القوة العسكرية وتعديل ميزان القوى المادي والنفسي بشكل يجعل من الممكن خوض جولة رابعة تختلف بطبيعتها ونتائجها عن الجولة الثالثة . ولم تكن حرب الاستنزاف على جبهة القناة (١٩٦٩ — ١٩٧٠) سوى وسيلة من الوسائل التي لجأ اليها الرئيس جمال عبد الناصر لتعديل موازين القوى ومنعها من التجمد في الوضع المائل لصالح اسرائيل .

ولقد لجأت الدعاية المعادية في مرحلة ما بعد حرب ١٩٦٧ ، ومرحلتي حرب الاستنزاف وفترة « اللاحرب واللاسلم » ، الى استخدام الاسلوب التفتيتي لفصل المعسكر العربي الراديكالي عن الحليف السوفياتي . واستخدمت لهذا الغرض المقولات التالية :

١ — ان التحالف العربي — السوفياتي يستفز الولايات المتحدة ويدفعها الى دعم اسرائيل دون حدود حتى تقف في وجه المد السوفياتي في المنطقة .

٢ — عدم جدوى مناطحة الثور الاميركي ، وضرورة التفاهم معه واكتساب صداقته او تحييده على الاقل عن طريق الابتعاد عن السوفيات .

٣ — ان ميزان القوى العربي — الاسرائيلي سيبقى لصالح الدولة الصهيونية مهما كان حجم الاسلحة التي تحصل عليها الدول العربية .

٤ — ان السلاح الغربي ، والسلاح الاميركي بشكل خاص ، افضل بكثير من السلاح السوفياتي .

٥ — ان السوفيات لا يقدمون للدول العربية سوى اسلحة دفاعية ، رغم ان في ترسانتهم اسلحة هجومية .

□ ولقد اثبت استمرار الدعم الاميركي غير المحدود لاسرائيل ، رغم مبادرة الرئيس السادات لانهاء مهمة الخبراء السوفيات في مصر (تموز ١٩٧٢) ، ورغم انهاء حالة العداء مع اميركا بعد حرب ١٩٧٣ مباشرة ، **خطأ المقولتين الاولى**

والثانية ، واكد بشكل لا يدع مجالا للشك ان تحييد الولايات المتحدة ودفعها الى اخذ موقف معتدل بالنسبة الى الصراع العربي — الاسرائيلي لا يمكن ان يتحققا عن طريق اضعاف العرب لانفسهم وانفصالهم عن حليفهم الاستراتيجي . وأن تحقيق هذين الغرضين يتطلب على العكس مزيدا من التلاحم مع الحليف الاستراتيجي بشكل يعرض واشنطن الى خطر الصدام (الذي لا تريده) مع موسكو ، كما يتطلب مزيدا من تهديد المصالح الاميركية ، حتى يشعر المواطن الاميركي بخطورة الحلف الاميركي — الاسرائيلي وتأثيره الضار على مصالحه ومستواه المعيشي .

□ وجاءت حرب ١٩٧٣ لتثبت بشكل ملموس **خطأ المقولة الثالثة** ، وامكانية تبديل ميزان القوى لصالح الدول العربية . فلقد خططت القيادتان المصرية والسورية للحرب استنادا : الى ما تملكانه من سلاح سوفياتي . وأدى التخطيط الجيد ، وتأمين التناسق بين عمل مختلف صنوف الاسلحة ، والافادة من الميزات الفنية لكل سلاح ، الى تعديل ، **ميزان القوى** العام ، وخلق منظومات قتالية استطاعت تحييد التفوق الجوي المعادي ، **ومزجت** النار مع الصدمة والمفاجأة لتحقيق الخرق ، وافادت من الزخم الكلي لاحداث الدفع النوعي الكافي لمواجهة التفوق النوعي المعادي . وهكذا انقلبت موازين القوى رغم تكديس الاسلحة الاميركية المسق في اسرائيل ، واضطرت الولايات المتحدة الى التدخل خلال القتال بواسطة الجسر الجوي من اجل اعادة هذه الموازين الى وضعها السابق .

□ **ولم تثبت حرب تشرين** ان السلاح الاميركي افضل من السلاح السوفياتي **(المقولة الرابعة) ، ولكنها** اثبتت على العكس ان السلاح الاميركي المطور خصيصا ليتلاءم مع الحروب العدوانية التي تعتمد على الغزارة النارية والكفاءة النوعية لتعويض الفقر العددي يتلاءم مع اوضاع اسرائيل واستراتيجيتها : على حين ان السلاح السوفياتي المطور للتلاؤم مع حروب التحرير التي تعتمد على تسليح الكتل البشرية الكبيرة المعبأة بزخم معنوي عنيف يتلاءم مع اوضاع الدول العربية واستراتيجيتها .

ومن الخطأ عسكريا مقارنة سلاحين (طائرتين ، دبابتين ، مدفعين) بشكل مجرد مطلق ، وبمعزل عن الاستراتيجيات المتباينة النابعة من اوضاع متباينة . كما ان من الخطأ ايضا مقارنة الاسلحة بشكل منفرد ، لان الاسلحة لا تعمل في ساحة المعركة منفردة بل ضمن منظومة اسلحة متكاملة يغطي بعضها البعض الآخر ، ويساعده على استخدام ميزاته الى الحد الاقصى . والمقارنة الصحيحة هي مقارنة منظومتي اسلحة تعملان ضمن اطار استراتيجيتين محددتين . وعلى هذا الاساس يمكن القول — بناء على حرب تشرين — ان اختيار الاسرائيليين للاسلحة الاميركية المتطورة جدا ، من اجل خلق قوة صغيرة (نسبيا) ، ومؤهلة لشن حرب عدوانية ، عبارة عن تصرف ينسجم مع طبيعة اسرائيل العدوانية وواقعها الديموغرافي ، تماما كما ينسجم مع الاوضاع العربية اختيار الجيوش العربية للاسلحة السوفياتية ، من اجل بناء كتل كبيرة تستفيد من الزخم العددي والمعنوي لخلق الدفع النوعي اللازم لصد العدوان والانتقال الى التحرير .

□ ولا تثبت **المقولة الخامسة** امام التحليل العلمي. ولقد برهنت على خطئها في مقال سابق نشرته مجلة شؤون فلسطينية (عدد نيسان ١٩٧٣) . ومع هذا فانني اجد ان من المفيد العودة الى هذه المسألة من جديد لتوضيحها وتأكيد بعض جوانبها .

لقد حاول بعض العسكريين الانطلاق من تعريف الدفاع « النار الموقفة » وتعريف الهجوم « النار المتقدمة » لتقسيم الاسلحة الى اسلحة نارية توقف الخصم (دفاعية)، واسلحة نارية تتقدم نحو الخصم وتمزج النار مع الصدمة (هجومية) . ولكن هذا التقسيم الذي ينطبق على السلاح كاداة منفردة يفقد صحته اذا عرفنا ان السلاح لا يقاتل منفردا ، بل يعمل ضمن منظومة اسلحة متنوعة القدرات والفاعليات ، تقاتل بشكل متناسق يؤمن تكامل تأثيراتها في سبيل تحقيق المردود الاقصى لمجمل الاسلحة والوسائط المستخدمة ، وانجاز المهمة الملقاة على عاتق المنظومة . ومن هنا نرى ان الاستخدام (المهمة) هو الذي يحدد طبيعة عمل المنظومة ، ويحدد بالتالي طبيعة وعمل كل سلاح من اسلحتها .

وتقدم لنا حرب ١٩٧٣ امثلة عملية توضح هذه الفكرة . ففي الايام الاولى للحرب ، تركت الدبابة « ت ــ ٥٥ » (التي تعتبر سلاحا هجوميا) المهمة الدفاعية التي قامت بها طوال حرب الاستنزاف ، واستعادت طابعها الهجومي . كما ان الصاروخ « سام ــ ٣ » (الذي وصف بأنه دفاعي) تحول الى سلاح هجومي ، لانه سمح للدبابات والمشاة المصرية بالعمل الهجومي وتحطيم خط بارليف تحت سماء نظيفة . على حين نجد ان طائرة « الفانتوم » والدبابة « سنتوريون » والمدفع ذاتي الحركة « م ــ ١٠٧ » عيار ١٧٥ مم ، تحولت الى اسلحة دفاعية مهمتها ايقاف العبور المصري، رغم انها كانت مصنفة في جدول الاسلحة الهجومية . ولم يأت هذا التبدل النوعي من دفاعي الى هجومي وبالعكس من تبدل طبيعة السلاح ، ولكنه نجم عن الفكرة الاستراتيجية التي استخدم ضمن اطارها . وبعد عشرة ايام فقط تبادلت الاسلحة المصرية والاسرائيلية الادوار لان فكرة اجتياز القناة الى الضفة الغربية (عملية الغزالة) كانت هجومية ، ولان رد الفعل المصري كان دفاعيا . وينطبق هذا القول على الجبهة السورية ، مع فارق واحد هو ان المدة التي تحقق فيها تبادل الادوار كانت اصغر . وكان من الممكن ان يحصل تبادل معاكس جديد ، لو لم يؤد ايقاف القتال على الجبهة المصرية في ٢٢ تشرين الاول، الى ايقاف انطلاق الهجوم المعاكس الاستراتيجي، الذي اعده السوريون والعراقيون والاردنيون في الجولان .

ورغم ثبوت خطأ مقولات الاعلام المعادي (نظريا وعمليا) وعدم استنادها الى اي اساس علمي ، فقد تأثر بعض المنظرين العرب بها، وحاكوا حولها النظرية السياسية ــ العسكرية التي كان من نتائجها التقارب مع اميركا ، وتوقيع اتفاق فصل القوات الثاني في سيناء (ايلول ١٩٧٥) ، والغاء المعاهدة المصرية ــ السوفياتية (١٩٧٦) . وكانت فكرة تعدد مصادر الاسلحة ركنا من اركان هذه النظرية .

ويعود ظهور هذه الفكرة في مصر الى مطلع السبعينات ، وكانت وراء سعي القيادة المصرية آنذاك للحصول على بعض الاسلحة والمعدات من الدول الغربية ويوغوسلافيا. ولقد حصلت القوات المصرية قبل حرب تشرين على بعض اجهزة الرصد والاتصال الغربية ، وعلى عدد من المعدات البرية والجوية اللازمة لرفع مستوى اداء المنظومة القتالية السوفياتية الصنع . ولكنها لم تستطع الحصول على اسلحة غربية قادرة على تبديل موازين القوى . ويرجع السبب في ذلك الى ان الدول الاوروبية كانت تفرض حظرا معلنا او ضمنيا على الاسلحة المرسلة الى الدول المعنية مباشرة بالنزاع العربي ــ الاسرائيلي ، وكانت الولايات المتحدة تقف موقف العداء من الدول العربية الراديكالية وتعتبر نفسها مسؤولة عن تدعيم العسكرية الاسرائيلية وجعلها قادرة على تأمين استمرار حالة « اللاحرب واللاسلم » بواسطة الردع المقترن بالعمل المحدود والنشط (١) .

ولم تكن مصر تستطيع آنذاك الحصول رسميا على اسلحة غربية عن طريق دولة عربية اخرى بعيدة عن بؤرة الصدام مع اسرائيل ، نظرا لان الدول الغربية تضع في عقد بيع السلاح بندا ينص على عدم نقل السلاح المباع الى اية دولة معنية بالنزاع العربي ــ الاسرائيلي ، سواء تم هذا النقل عن طريق البيع او الهبة او الاعارة . ولهذا كان على القيادة المصرية ان تخطط لحرب تشرين استنادا الى ما تملكه من سلاح سوفياتي ــ بالاضافة الى ما وصل الى مصر (سرا او علنا) من اسلحة ليبية وكويتية وعراقية غربية الصنع (٢) . وهكذا خاض الجندي المصري حرب تشرين بسلاح سوفياتي اساسا . ويذكر حسنين هيكل انه سمع الرئيس انور السادات يقول للسفير السوفياتي (فينوغرادوف) في مساء اليوم الثالث لحرب تشرين (١٩٧٣/١٠/٨) : « قل للرفيق بريجينيف اني اشعر بالامتنان له من كل قلبي . قل لبريجينيف ان الاسلحة السوفياتية هي التي حققت معجزة العبور » (٣) . وقد يكون في هذا القول بعض من الحماسة الناجمة عن مناخ المعركة الدائرة آنذاك ، ولكن فيه الى جانب ذلك اعترافا من الرئيس انور السادات بالدور الهام الذي لعبته الاسلحة السوفياتية في حرب ١٩٧٣ ولا يلغي هذا الاعتراف او يقلل من اهميته هجوم الرئيس السادات على الاسلحة السوفياتية بعد ذلك .

وكان من الطبيعي ان تؤدي خبرات حرب ١٩٧٣ الى تدعيم التحالف المصري ــ السوفياتي وسقوط المقولات الخاطئة المذكورة آنفا بشكل نهائي . ولكن الخرق السياسي الذي حققه الاميركيون في مصر ، والتوجه المصري نحو الولايات المتحدة « التي تملك كل مفاتيح حل ازمة الشرق الاوسط ! » ، وتسلل الافكار القديمة الى المسرح السياسي ، وانتشار الفكر المعادي لانجازات « ثورة ٢٣ يوليو » بما في ذلك معاداة الامبريالية (صداميا) والتحالف مع السوفيات (استراتيجيا) ، ادت الى بدء حملة اعلامية عنيفة ضد السوفيات تستند الى النقاط التالية :

١ ــ ان الاتحاد السوفياتي لم يقدم الى مصر قبل حرب ١٩٧٣ جميع الاسلحة والمعدات المتطورة اللازمة للعبور .

٢ ــ لقد توقفت موسكو عن ارسال الاسلحة بعد حرب ١٩٧٣ كرد على الاتفاق المصري ــ الاميركي في ١٩٧٣/١١/١١ والمسمى « باتفاق النقاط الست » . ولم تعوض مصر ما خسرته في هذه الحرب ، رغم تعويض الخسائر السورية والبدء بتسليح ليبيا بشكل مكثف .

٣ ــ ان الاستراتيجية السوفياتية العليا ، وسياسة الوفاق الدولي ، تؤثران على شحن الاسلحة الى مصر من ناحية النوع والكمية ومهل التسليم .

٤ ــ ان حرب ١٩٧٣ ، وما رافقها من استخدام لسلاح النفط ، قد بدلت الموقف الاوروبي ، وادخلت تعديلات جذرية على العلاقات العربية ــ الاوروبية ، وادت الى رفع الحظر التسليحي الاوروبي .

٥ ــ ان الادارة الاميركية في عهدي نيكسون وفورد تسير على خط معتدل بالنسبة الى الصراع في الشرق الاوسط . وهي تتحول بالتدريج من دور « الطرف » الى دور « الحكم » .

٦ ــ ان احتكار السوفيات لتصدير الاسلحة الى مصر ، يجعل الارادة المصرية

السياسية (وبالتالي العسكرية) مرتبطة بتحديدات العمل التي تفرضها الاستراتيجية السوفياتية .

وانطلاقا من هذه النقاط ، واستنادا الى هذه الحجج عادت القيادة المصرية الى طرح فكرة تعدد مصادر السلاح بشكل مستمر منذ بداية العام ١٩٧٤ . ولقد احتلت هذه الفكرة مكانا متقدما على جدول اهتمامات السياسيين المصريين ، وكانت فقرة دائمة في مباحثات الرئيس انور السادات مع الرؤساء الغربيين خلال زياراته الى اوروبا الغربية والولايات المتحدة ، وخلال زيارات الرئيس جيسكار ديستان وغيره من السياسيين الاوروبيين الى القاهرة .

واذا كانت الجهود المصرية المبذولة للحصول على اسلحة اميركية قد باءت حتى الان بالفشل ، فان المباحثات المصرية — الاوروبية حققت بعض النجاح ، وعقدت على اثرها صفقات اسلحة برية وبحرية وجوية . وحصلت مصر على بعض الاسلحة الغربية من الدول العربية المسلحة بهذه الاسلحة . وبدأت عملية تعدد مصادر الاسلحة تسير وفق المنهج المرسوم لها . فالى اي حد يمكن ان تنجح هذه العملية في تحقيق اغراضها ؟ للاجابة على هذا السؤال لا بد من التعرض الى مجموعة من التساؤلات المطروحة على الساحة العربية والرد عليها بشكل يوضح كل جوانب المسألة .

١ — هل تستطيع اوروبا الغربية اخذ مكان السوفيات في مجال التسليح ؟ :

تمتلك الدول الاوروبية الغربية ، وخاصة فرنسا وبريطانيا والمانيا الغربية وايطاليا، صناعة تسليحية متقدمة تصل في بعض الحالات ، وبالنسبة الى بعض انواع الاسلحة، الى مستوى صناعة السلاح في الدولتين العظميين . ومن الممكن الافادة من التناقض داخل المعسكر الراسمالي والتنافس القائم بين صناعتي السلاح في فرنسا والولايات المتحدة ، واستخدام الضغط الذي يمثله « البترودولار » للحصول على بعض الاسلحة الاوروبية الغربية اللازمة لسد بعض الثغرات التي قد تكون موجودة في منظومة السلاح السوفياتي . ولكن الصناعة الحربية الاوروبية الغربية لا تستطيع من الناحيتين التقنية والانتاجية احتلال مكان الصناعة الحربية السوفياتية ، لان في صناعة الاوروبيين الحربية عددا من الثغرات التي تجعل الدول الاوروبية نفسها مضطرة الى اكمال منظوماتها القتالية بأسلحة اميركية (٤) .

وبالاضافة الى ذلك فان دول اوروبا الغربية لا تملك حريتها السياسية الكاملة . وهي خاضعة بشكل او باخر للضغط السياسي الاميركي — رغم محاولات فرنسا للتحرر من هذا الضغط . ولقد حاولت اوروبا الغربية التعبير عن استقلاليتها خلال حرب تشرين وبعدها ، ولكن الولايات المتحدة لم تلبث ان استعادت سيطرتها واكدت وجودها داخل اوروبا الغربية ، مستخدمة في ذلك التهديد بسحب مظلتها النووية وكشف اوروبا الغربية امام حلف وارسو ، ومعتمدة على القوى السياسية — الاقتصادية المحلية المؤيدة لها ، والتي اثبتت قوتها الفعلية خلال الصراع الفرنسي — الاميركي على « صفقة العصر » (٥) .

وبالاضافة الى ذلك ، فان حجم الانتاج الحربي الاوروبي الغربي صغير بالنسبة الى حجم الانتاج الحربي السوفياتي . ومن المعروف ان دول حلف الاطلسي تعاني من هذه المعضلة ، وتحس بالنقص الهائل بالدبابات والمدافع والطائرات ، وتعمل ما في وسعها لانتاج الحد الاقصى من هذه الاسلحة لتحقيق شيء من التوازن مع الاسلحة المماثلة

المجتشدة في دول حلف وارسو . ولذا فان من غير الممكن ان تطمح مصر الى الحصول على العدد اللازم من الاسلحة الاوروبية الغربية وضمن مهل معقولة . وحتى لو تم لها ذلك قبل اندلاع القتال ، فان الصناعة الحربية الاوروبية الغربية عاجزة عن امداد مصر بكميات ضخمة من السلاح خلال القتال الذي اثبتت حرب ١٩٧٣ ان استهلاك السلاح والذخيرة فيه يصل الى معدلات عالية ، ويتطلب امدادات كبيرة **لم تستطع الولايات** المتحدة تأمينها لاسرائيل الا بعد ان سحبت جزءا من احتياطيها الاستراتيجي ومن الوحدات المقاتلة الاميركية نفسها ، الامر الذي اثار نقمة القادة العسكريين في البنتاغون ، ودفعهم الى انتقاد سياسة وزير الخارجية كيسنجر التي عرضت القوة الاميركية للضعف . واذا كان تقرير احدى لجان مجلس النواب الاميركي (٦) يؤكد عجز الانتاج الحربي (التقليدي) الاميركي عن مجاراة الانتاج الحربي (التقليدي) السوفياتي كميا ، فان من الطبيعي ان تكون الصناعة الحربية الاوروبية الغربية عاجزة عن الدخول في هذا التنافس .

٢ ــ هل يمكن الاعتماد على التسليح الاميركي ؟

لقد طرحت مصر فكرة الحصول على اسلحة اميركية بعد حرب تشرين معتمدة على وهم تبدل السياسة الاميركية في الشرق الاوسط ، ومتجاهلة طبيعة العلاقة الاميركية ــ الاسرائيلية ، وحجم « اللوبي » الصهيوني داخل الولايات المتحدة . ولم تجد الفكرة المصرية اي صدى ايجابي . ثم كررت مصر طلب الاسلحة قبيل زيارة الرئيس السادات الى اميركا في اواخر العام ١٩٧٥ ، فجاء رد الادارة الاميركية غامضا ومماطلا . ولقد صرح وزير الخارجية الاميركية هنري كيسنجر في ١٩٧٥/١٠/١٢ . « لا اعتقد اننا سنكون على استعداد في هذا الوقت لتقديم اية التزامات محددة بشأن المساعدة العسكرية . ولكننا سنكون مستعدين لمناقشة المسألة معه (مع الرئيس السادات) في نطاق العموميات » (٧) .

وكان الموقف الاميركي منسجما مع اصرار الولايات المتحدة على دعم القوة العسكرية الاسرائيلية حتى تكون اقوى من الجيوش العربية مجتمعة (٨) ، وعلى حماية الدولة الصهيونية اذا ما تعرضت لاي خطر ، حتى لو كان ذلك خطر دولة عظمى (٩) .

ومن هنا نرى ان من الخطأ وسوء التقدير الاعتماد على السلاح الاميركي ، اذ ليس من المنطق في شيء ان تسلح الولايات المتحدة اسرائيل لتكون اقوى من الدول العربية ، وان تسلح هذه الدول في الوقت نفسه بشكل يؤدي الى تهديد ميزان القوى الذي تبنيه واشنطن بيديها .

ومع هذا فان من غير المستبعد ان تقوم الولايات المتحدة بتزويد مصر بأعداد محدودة من الاسلحة ذات النوعيات المتدنية ، اذا رأت ان هذا العمل سيؤدي الى اكتساب مزيد من المواقع داخل مصر والعالم العربي . ولكن حصول مصر على اسلحة اميركية سيكون محكوما بالشروط التالية : أ ــ عدم تبديل ميزان القوى لصالح مصر ، ب ــ استخدام السلاح لاغراض الدفاع (الذي لا يحرر ارضا مغتصبة) . ولنا في صفقة صواريخ « هوك » للاردن في العام ١٩٧٥ مثال واضح على ذلك ، جـ ــ عدم تزويد مصر بأسلحة حديثة ومتطورة خوفا من تسرب اسرارها عن طريق الضباط الذين لا يؤيدون سياسة التقارب مع اميركا ، د ــ عدم استفزاز الكونغرس المتصهين وذلك بتزويد مصر بأسلحة « لا تطلق النار » (محركات ، اجهزة اتصال ، طائرات نقل ، عربات . . . الخ .) .

ورغم قناعات اوساط كثيرة داخل الادارة الاميركية بتقديم بعض الاسلحة والمعدات الى مصر ، ورغم الغاء المعاهدة العسكرية المصرية ــ السوفياتية (آذار ١٩٧٦) ، فان هذه الادارة تجد صعوبة كبيرة في اقناع الكونغرس بضرورة ــ وعدم خطورة ــ تزويد مصر بست طائرات نقل قديمة من جيل الستينيات من طراز « سي ــ ١٣٩ » ، رغم ان حصول مصر على هذه الطائرات « التي لا تطلق النار » لا يمكن أن يؤثر على ميزان القوى ولو جزئيا .

٣ ــ هل يمكن الاعتماد على دول اوروبا الشرقية : او اية دول اخرى ؟

ان جميع دول اوروبا الشرقية تملك صناعات حربية متفاوتة التطور . ولكن هذه الدول المرتبطة بسياسة حلف وارسو ملتزمة ايديولوجيا بعدم تقديم الاسلحة الى الدول التي تتقارب من الولايات المتحدة وتناصب الاتحاد السوفياتي العداء ، خاصة وان مصانع دول اوروبا الشرقية تصنع الاسلحة المتطورة بناء على اذونات خاصة ووفق براءات اختراع سوفياتية .

اما الدول الاخرى التي تصنع بعض الاسلحة والمعدات السوفياتية كالهند ويوغوسلافيا .. الخ ، فهي مرتبطة بشرط عدم بيع أو منح اي سلاح او قطعة غيار الى اية دولة دون موافقة موسكو . ولقد رأينا كيف تعذر على الهند ويوغوسلافيا تقديم محركات الطائرات « ميغ ــ ٢١ » وقطع غيارها الى مصر ، عندما حظر السوفيات عن مصر هذه المعدات ، رغم الصداقة التقليدية التي تربط القاهرة بكل من بلغراد ونيودلهي . وحتى لو استطاعت هذه الدول تجاوز شروط موسكو ، فان صناعتها الحربية تبقى اضعف (كما ونوعا) من أن تستطيع تلبية حاجات الجيش المصري وتزويده بالاسلحة القادرة على مجابهة السلاح الاميركي المتطور والكثيف المقدم الى اسرائيل .

وتستطيع الصين تقديم بعض الاسلحة والمعدات وقطع الغيار ، وكلها ذات نموذج سوفياتي ، وذلك ضمن اطار الصراع الايديولوجي الدائر بين موسكو وبكين . ولكن المراهنة على السلاح الصيني مسألة محفوفة بالمعضلات ، نظرا لان الصناعة الحربية الصينية لم تتوصل بعد الى المستوى النوعي والكمي للصناعة الحربية في الدولتين العظميين . واذا كانت الصين قد ارسلت الى مصر في اذار ١٩٧٦ ثلاثين محركا لطائرات « ميغ ــ ٢١ » كرد على الحظر السوفياتي ، فان هذا لا يعدو أن يكون عملا رمزيا سياسي الطابع ، ولا يمكن اعتباره دليلا على أن الصناعة الحربية الصينية مؤهلة لان تحل بسهولة محل الصناعة الحربية السوفياتية الا في مجال سد النقص للسماح للعجلة بالدوران ببطء ، وليس في مجال تنمية القوة بشكل يتماشى مع تنمية القوة في معسكر العدو .

ولقد كان من الممكن التفكير بالاعتماد على الاسلحة الصينية ، التي يقل مستوى تطورها عن مستوى تطور الاسلحة الاميركية او السوفياتية ، لو كانت طبيعة البنية الفوقية السياسية ــ الاجتماعية في مصر تسمح ببناء جيش شعبي يخوض حرباشعبية باسلحة كثيرة العدد محدودة التطور . ولكن طبيعة هذه البنية لا تسمح الا ببناء جيش تقليدي يخوض حربا تقليدية . وفي مثل هذا النوع من الحروب يكون للسلاح المتطور (الذي لا تملك بكين كميات وافرة منه) اهمية بالغة ، خاصة اذا كان الخصم يملك اسلحة متطورة اميركية لا يجاريها سوى السلاح السوفياتي اولا والاوروبي الغربي **ثانيا** .

٤ ــ هل يمكن حل المسألة بخلق صناعة حربية عربية ؟

تمثل الصناعة الحربية العربية دون شك حلا عمليا لتحرير الارادة السياسية العربية ، ومصدرا ثابتا ومضمونا للحصول على الاسلحة . ولكن الصناعة الحربية المعتمدة على التعدين والاليكترونات والايرونوتيك تتطلب قاعدة صناعية مدنية متقدمة وخبرات تقنية عالية . وليس في الوطن العربي حتى الان مثل هذه القاعدة والخبرات التي يتطلب خلقها سنوات طويلة .

وليس هناك ما يمنع الامة العربية من السير على هذا السبيل اليوم قبل الغد ، لان كل ساعة تربحها في هذا المجال تساعدها على الاسراع في تخطي الهوة التي تفصلها من الصناعة المدنية او العسكرية المتطورة ، وتسمح لها بتنمية الكفاءات العلمية والكوادر التقنية وتطويرها . ومن التكرار القول ان قيام مصر ودول عربية نفطية بتشكيل نواة الصناعة الحربية العربية امر على غاية الاهمية ، وخطوة ايجابية لتحرير الارادة السياسية العربية . ولكن اقتطاف ثمار هذه الخطوة يتطلب زمنا طويلا رغم الدعم التكنولوجي الفرنسي الذي اقر خلال زيارة الرئيس انور السادات لفرنسا في كانون الثاني ١٩٧٥ ، وخلال زيارة الرئيس جيسكار ديستان لمصر في كانون الاول ١٩٧٥ ، لذا فان السؤال حول كيفية حل المعضلة التسليحية خلال هذه السنوات الطويلة مع استمرار تدفق الاسلحة المتطورة الى اسرائيل يبقى دون اجابة .

وبالاضافة الى ذلك ، فان الصناعة الحربية المتطورة تتطلب توظيف رأس مال ضخم يقدر بعشرات مليارات الدولارات . وهو اكبر بكثير من رأس المال العربي الذي تقرر توظيفه في هذا المجال (حوالي ملياري دولار) . ويرجع السبب في ذلك الى ارتفاع تكاليف التصميمات والنماذج الاولية (بروتوتيب) التي ينبغي اعدادها وتطويرها باستمرار لمتابعة التطور في معسكر الخصم ، كما يرجع الى ضرورة انشاء مصانع ذات قدرة انتاجية عالية حتى تستطيع تلبية حاجات القوات المسلحة بالسرعة اللازمة ، ووضع النماذج الاولية (بروتوتيب) التي تتطور باستمرار موضع الانتاج عند اللزوم.

ولقد اثبتت المصانع الحربية ذات القدرة الانتاجية المنخفضة انها قادرة على تقديم الاسلحة وتطوير النماذج الاولية خلال فترات السلم . ولكنها عاجزة عن اختصار الزمن وانتاج العدد اللازم من النماذج الاولية المتطورة اذا حصل العدو قبيل الحرب على اسلحة ومعدات متقدمة ومتفوقة على الاسلحة المكدسة ، الامر الذي يجعل القوات المجهزة بالاسلحة المكدسة عاجزة عن مجابهة العدو المجهز باسلحة اكثر تطورا .

٥ ــ هل تستطيع مصر التوفيق بين متطلبات الاعداد للمعركة وتعدد مصادر السلاح ؟

ان مسألة الحصول على السلاح مسألة سياسية مرتبطة اساسا بشبكة المصالح المعقدة وبعامل التطابق الاستراتيجي بين الدولة الصناعية والدولة المستوردة . ومن الواضح ان القيادة المصرية لم تأخذ بالاعتبار الجانب السياسي ــ الاستراتيجي لمسألة الحصول على السلاح ، وتعاملت مع هذه المسألة وكأنها مسألة تجارية وتقنية فقط . ففي الوقت الذي كانت القاهرة تتقارب فيه من واشنطن (استراتيجيا) وتمنحها ثقتها المطلقة ، وتتباعد عن موسكو وتعزلها عن المشاركة في حل ازمة الشرق الاوسط ، كانت القيادة العسكرية المصرية تطالب السوفيات بالاسلحة والذخائر وقطع الغيار ، وكأن السياسة العليا للدولة وسياسة التسليح منفصلتان عن بعضهما .

ورد السوفيات على هذا التصرف بايقاف الشحنات العسكرية الى مصر وعدم تعويض جميع خسائر حرب١٩٧٣ .ومع توقيع «اتفاق فصل القوات الثاني فيسيناء»، وخروج القوات المسلحة المصرية عمليا من المعركة ، وتزايد التوجه نحو اميركا ،صعد السوفيات الحظر الى مستوى حظر قطع الغيار ، الامر الذي جعل الاسلحة المصرية معرضة لفقدان جزء كبير من مرونتها وكفاءتها القتالية . وعطل حرية القرار العسكري للقوات المسلحة المصرية ، التي يمثل السلاح السوفياتي حوالي ٩٥٪ من تسليحها .

ولقد حاولت القاهرة الغاء هذه القيود لاستعادة حرية العمل . وكانت حجتها ان اضعاف العسكرية المصرية سيجعل القيادة السياسية المصرية عاجزة عن مجابهة الضغوط الاميركية والاسرائيلية . ولكن السوفيات رأوا غير ذلك . واغلب الظن انهم قدروا ان مصر لم تعد بحاجة لمزيد من الاسلحة ، لان توجهها نحو الولايات المتحدة واعتمادها عليها دليل على انها تضمن عدم التعرض للضغط الاميركي ، ولان « اتفاق فصل القوات الثاني في سيناء» ،والتعهد بعدم استخدام القوة او التهديد بها لحل النزاع العربي ــ الاسرائيلي (١٠) ، قد جمد القوة المسلحة المصرية وحزمها من امكانية العمل والردع ، وجعل تدعيمها تبديداً لا مبرر له .

ومن المؤكد ان العامل السياسي ــ الاستراتيجي لعب دورا هاما في القرار السوفياتي . وجعل السوفيات يستخدمون صفقات السلاح وقطع الغيار للضغط على القيادة المصرية ، ومنع توجهها السريع المتزايد نحو اميركا التي لا يمكن ان تسلحها كما ينبغي ، واعطاء القاهرة الفرصة للاصطدام بخيبة الامل بعد ان تجد ان سلاحها السوفياتي عاجز عن العمل ، وسلاحها الغربي شحيح الى درجة لا تسمح بالعمل .

ولقد رأينا في الفقرات السابقة ان الصناعة الحربية في الدول الاخرى لا تملك الامكانات الكمية والنوعية لاعادة تسليح الجيش المصري في مهلة زمنية قصيرة . وحتى لو استطاعت هذه الصناعة الحربية تأمين ذلك ، فان مصر لا تستطيع ان تتحلى دفعة واحدة عن ٢٠٠٠ دبابة ، و ٢٥٠٠ ــ ٣٠٠٠ عربة مدرعة ، و ٢٠٠ مدفع ذاتي الحركة ، واكثر من ١٣٠٠مدفع مقطور ،وحوالي ٦٠٠طائرة مقاتلة ،وعشرات الزوارق الحربية، والاف الصواريخ م/د ، وم/ط ، خاصة وانها لا تمتلك (ولا ينتظر ان تمتلك قريبا) صناعة حربية قادرة على تأمين الذخائر وقطع الغيار اللازمة لصيانة هذه الاسلحة .

وهناك عامل اخر يتعلق باستيعاب الاسلحة والمعدات (تقنيا وتكتيكيا) . واذا كان لكل سلاح او جهاز حربي اسلوب محدد للاستيعاب التقني ، فان لكل منظومة قتالية اسلوبا للاستيعاب التكتيكي . ويتطلب كلا الاستيعابين فترات زمنية طويلة ودورات تدريبية تخضع اليها الكوادر الفنية والتكتيكية على جميع المستويات . فاذا حسبنا المدة اللازمة لوصول الاسلحة الغربية (في حالة وصولها بكميات كافية) ، والمدة اللازمة للاستيعاب التقني والتكتيكي ، وجدنا ان السياسة المصرية العليا ، وسياسة تعدد مصادر الاسلحة التي نجمت عنها ، قد وضعت القوات المسلحة المصرية امام تحديات اعادة التسليح والتنظيم والتدريب التي تتطلب مجابهتها عدة سنوات تكون كفاءة القوات المسلحة خلالها محدودة دفاعيا وهجوميا ، الامر الذي يتنافى مع متطلبات الاعداد للمعركة .

٦ ــ هل يؤدي تعدد مصادر الاسلحة الى تحرير ارادة القتال العربية ؟

لقد كانت ارادة القتال العربية مرهونة لدى الدول الغربية قبل كسر احتكار السلاح في العام ١٩٥٥ . ومنذ ذلك التاريخ ، بدأت الارادة العربية تخضع لتحديدات

العمل السوفياتية . وهكذا نرى ان الارادة القتالية العربية ، (وارادة القتال لكل دولة تستورد السلاح) مرتبطة بشكل او باخر بتحديدات العمل التي تفرضها الدولـــــــة المصدرة . وهذا امر تفرضه حقائق السياسة الدولية . فكل دولة تسعى اولا وقبل كل شيء الى الحفاظ على نفسها وتأمين مصالحها . وهي تنظـــر الى كافة المسائل العالمية من هذه الزاوية ـــ وهذا ما يعطيها حق حمل اسم دولة .

ولكن الفرق بين الخضوع لتحديدات العمل الغربية والخضوع لتحديدات العمـــل السوفياتية ، هو أن الدول العربية كانت تخضع في البداية لارادة دول معادية ، خلقت اسرائيل ودعمتها وشجعتها على العدوان أو شاركتها فيه (حرب ١٩٥٦) ، وتابعت دعمها ومساعدتها حتى بعد ان ثبتت نوايا اسرائيل التوسعية بعد حرب ١٩٦٧ ، على حين أن الدول العربية خضعت بعد كسر احتكار السلاح لارادة دولة صديقة تعـارض العدوان الاسرائيلي وتساعد العرب على ازالة اثاره ، وان كانت لا تصل الى حـــد الموافقة على تصفية الدولة الصهيونية .

وتؤثر التحديدات السوفياتية على حرية العمل العربية ولكنها لا تتعارض معها ، لان للعرب والسوفيات مصلحة في الصراع ضد الامبريالية العالمية . وقد تتباين المصالـــح العربية والمصالح السوفياتية من ناحية الحجم والشكل ولكنها تبقى ذات طبيعـــــة واحدة . ويمكن أن نلاحظ بكل بساطة أن التحديدات الامبريالية على حرية العمل العربية تتعارض صداميا مع هذه الحرية ، نظرا لأن المصالح الامبريالية المتمثلة في استغلال ثروة العرب ومنع وحدتهم وتقدمهم تتناقض مع مصلحة الامة العربية التواقة للوحدة والتقدم واستعادة ثرواتها كاملة وتوظيفها في مجالات الانماء بكل اشكاله .

ولا شك ان هناك تمايز بالدرجة بين مصالح الامبريالية الاميركية ومصالح الامبريالية الاوروبيه الغربية . ولكن هذا لا يعني ان الامبريالية الاوروبية الغربية مستعدة للتخلي عن مصالحها ، وتزويد العرب بالاسلحة دون ان تفرض عليهم تحديدات عمل اوروبية غربية . واذا قارنا بين تحديدات العمل السوفياتية ومثيلتها الاوروبية الغربية ، وجدنا ان الحصول على اسلحة اوروبية غربية لا يحل مسالة تحرير الارادة بل يعيدها الى نقطة الانطلاق التي اشتكى منها الرئيس انور السادات ، اذ ان من غير المنتظر ان تقف اوروبا الغربية الى جانب العرب وقفة تمتاز نوعيا عن الموقف السوفياتي . وسيبقى الموقف الاوروبي الغربي ، في افضل حالاته مماثلا للموقف السوفياتي ان لم يكن ادنى منه .

ولا نستطيع القول ان سياسة الوفاق واستراتيجية السوفيات العليا قد اثرتا على صفقات الاسلحة السوفياتية المرسلة الى مصر ، دون ان نقول ايضا ان الاستراتيجية الاوروبية الغربية العليا ، والعلاقات الاوروبية ـــ الامبركية ، ووجود الدول الاوروبية الغربية داخل حلف شمالي الاطلسي الخاضع لارادة واشنطن ستؤثر بالضرورة على صفقات الاسلحة الاوروبية الغربية . وهنا ينبغي ان نتسائل عن الفائدة التي تجنيها مصر من التخلي عن الحليف الاستراتيجي بحجة وجود تحديدات عمل، والارتباط بحليف تكتيكي سيفرض عليها تحديدات عمل مماثلة على الاقل .

ولنفترض ان القاهرة حصلت على اسلحة فرنسية وانكليزية والمانية غربية بالاضافة الى ما تملكه من سلاح سوفياتي ، وخلقت منظومة اسلحة متكاملة قادرة على خوض المعركة الحديثة ، فهل تستطيع القوات المصرية المبادرة بشن الحرب اذا لم تحصل على الضوء الاخضر من العواصم الاربع ، ولم تتأكد من انها ستحصل على الذخائر وقطع

الغيار اللازمة لادامة المعركة بكل متطلباتها ومعدات استهلاكها العالية ؟ والجواب بالتأكيد كلا . والادهى من ذلك أن تعدد مصادر الاسلحة يجعل الحصول على الضوء الاخضر من دولة واحدة أو اكثر لا يكفي لبدء القتال ، ولا بد من موافقة الدول المعنية كلها، لان امتناع واحدة عن الموافقة يشل جزءا من المنظومة القتالية بعدفترة وجيزةمن المعركة ، ويشل بالتالي المنظومة كلها ويحرمها من التوازن الداخلي .

ومن هنا نرى أن تعدد مصادر الاسلحة لا يحرر الارادة العربيه الا في « مرحلة اعداد القوه » ، لانه يعطي الدول العربية الفرصة للحصول على الاسلحة المختلفة اللازمة لخلق منظومات قتالية متكاملة . ولكنه لا يؤدي الى تحرير الارادة القتالية العربية خلال « مرحلة استخدام القوة » (وهي المرحلة الاهم) ؛ بل يؤدى على العكس الى تدويل هذه الارادة، وربطها بعدة ارادات خارجية، ويعطي كل ارادة من هذهالارادات حق « الفيتو» ، طالما ان معارضتها للعمل المصري كافية لتعطيل عمل المنظومة القتالية المصرية بأسرها .

اتفاقية سيناء :
معاهدة اميركية . اسرائيلية

الدكتور عودة انور ابو ردينة

« سلام ، انما من دون قبلة السلام . انها مسألة تسوية وترقيع . اذا طلبت رايي ، واذا سألتني ، فاني اعتقد بأن هذا السلام لا يبدو ابدا وكأنه نهاية ، كما انه ليس البداية » .

ان رأي رسول اليوت في عملية التوفيق والصلح بين بيكيت وهنري الثاني ، هو نفسه رأي العديد من العرب والخبراء الاميركيين في اتفاقية سيناء . وستحاول هذه المقالة ان تطرح تقويما وتحليلا للاتفاقية المؤقتة الجديدة التي تربط ما بين الانسحاب الاقليمي الاسرائيلي ، وبين التنازلات السياسية المصرية ، وبين الوعود الامريكية في تقديم العون العسكري و / او الاقتصادي لكلا الفريقين .

ينبغي ان تؤدي الاتفاقية الى **اخماد بعض التوترات في المنطقة** ، وان تقلل من احتمال اندلاع حرب جديدة في الشرق الاوسط . كما انها ستثبط المسعى المبذول في الامم المتحدة لطرد اسرائيل .

وكما في جميع الاتفاقيات ، فان على كل من الفريقين ان يقدم اشياء. فالاسرائيليون يعلمون انه في حال اندلاع حرب جديدة بينهم وبين سوريا ، **فان مصر سرعان ما ستجد نفسها منجرة الى الحرب على الرغم من كل ما تقوله قصاصات الورق . لكن مثل هذه الحرب لن تكون — على الاقل — منسقة ومدبرة مسبقا كما حدث بين مصر وسوريا في حرب اكتوبر** ، ولا بد ان تشعر الولايات المتحدة كذلك ببعض **المسؤولية الاضافية** في ترك اسرائيل تربح الحرب قبل تدخلها .

اضف الى ذلك انه يصعب اخفاء حقيقة ان اسرائيل لا تزال محتفظة بالافضلية الاستراتيجية في السيطرة على سيناء . فالتسوية التي تم احرازها خطوة بارعة . فعلى القوات الاسرائيلية ان تنسحب من المجازات الغربية الى الممرات ، الى آخر الممرات تقريبا ، حيث يسمح لها بوجود عسكري محدود . اما المنطقة المصرية ذات القوات المحدودة (والمحددة) مقابل الممرات تماما ، فلقد جرى توسيعها بصورة جزئية للغاية ، لكن الذي حدث هو زيادة حقيقية ملموسة في مساحة المنطقة العازلة تحت اشراف هيئة الامم المتحدة ، والتي تغطي كل منطقة الممرات على وجه التقريب.

وعلى الرغم من تجريد منطقة الممرات من السلاح ، فان الاسرائيليين لا يزالون

يسيطرون على كلا الجانبين ويهيمنون على وادي الجندي المهم الذي يؤدي نزولا الى رأس سدر على خليج السويس . وسوف يسمح للاسرائيليين — كما للمصريين — بالاحتفاظ بقوة تتكون في الحد الاقصى من ثمانيه آلاف رجل في نطاق منطقة القوات المحدودة الجديدة . على ان الميزة التي ينتفع بها الاسرائيليون انهم وراء منطقتهم ذات القوات المحدودة ، يستطيعون الاحتفاظ باي حجم من الجنود والمعدات والقوة العسكرية . لكن المصريين ، من الناحية الاخرى ، لا يستطيعون الاحتفاظ سوى بثمانية آلاف جندي بالاضافة الى ٧٥ دبابة و٦٠ مدفعا على الضفة الشرقية لقناة السويس .

وهناك ناحية اخرى تتيح للاسرائيليين ان يقوموا بالمهمات الدفاعية على نحو ايسر من المصريين ، هو خلق منطقة رئيسية في الخط الجديد المتجه نزولا من السويس الى آبار النفط في ابو رديس ، في منطقة جديدة منزوعة السلاح في ظل ادارة مصرية مدنية .

وطبقا لما قاله المراسل العسكري لصحيفة **الجيروزاليم بوست** الاسرائيلية ، فان الانسحاب العسكري الاسرائيلي « قد يخلق تحولا من الدفاع القائم على خط ثابت وجامد يتكون من عدد من المعوقات ، الى تشكيل آخر يتكون من تحصينات وقوات متحركة يكون في وسعها ان تقوم بعملية الانتشار اللازمة لصد هجمات العدو » (١).

والواقع ان المنطقة العازلة في الاتفاقية الجديدة تتوجه صعدا الى حوالي ٣٠ ميلا في كلا الممرين ، الامر الذي يشكل في حد ذاته ضمانة تحول دون نشوب حرب استنزاف وانهاك .

ومما يعزز ويؤكد هذا العامل ، هو ازالة اية اسلحة من منطقة التخفيض (منطقة القوات المحدودة) قد يكون بوسعها ان تبلغ في رماياتها الى خط الجبهة في الجانب الآخر .

وعلى الرغم من ان القوات الاسرائيلية لا تزال تحتفظ بالسيطرة الاستراتيجية في سيناء ، فان هناك اجماعا بين المصادر العسكرية الامريكية والاوروبيين العليمين بسيناء ، على ان اسرائيل قد تخلت عن بعض المزايا العسكرية البارزة في سيناء نتيجة للتوصل الى اتفاقية سيناء المؤقتة . ان خسارة اسرائيل لممري متلا والجدي والجبال التي تحمي القاعدة الجوية الاسرائيلية في رفيديم ، يمكن تعويضها بالامدادات العسكرية الامريكية من الاسلحة المتطورة ومن الالكترونيات المضادة . ان النتيجة العاجلة والفورية للاتفاقية تتمثل في الانتقاص من السيطرة الاسرائيلية الجوية على وسط سيناء . فمنذ حرب ١٩٦٧ ، ارتكنت القوات الدفاعية الاسرائيلية اساسا الى التفوق الجوي لصد اي هجوم مصري شرقا في سيناء ، ولدعم العمليات الدفاعية والهجمات المضادة من جانب القوات الاسرائيلية الارضية . ان انسحاب اسرائيل من الممرات والمرتفعات المحيطة بها ، يزيد من الاخطار التي تتعرض لها قاعدة رفيديم . فلحماية هذه القاعدة مستقبلا ، لا بد من حمايتها من الصواريخ الارض — ارض ، وكذلك من هجوم جوي مصري على القاعدة .

ان انسحاب اسرائيل من منطقة الممرات ، افقدها خطا دفاعيا طبيعيا في وسط سيناء . ان السهل المنبسط شرق الممرات لا يحتوي سوى على القليل من العوائق الطبيعية امام تقدم قوات مدرعة . على ان الدفاعات الاسرائيلية يمكن تحسينها

بزراعة كثيفة للالغام ، وبحفر خنادق مضادة للدبابات . لكن هذه الواجبات تستوجب من اسرائيل جهودا طويلة وتكاليف باهظة على السواء .

ان موافقة اسرائيل على وجود محطة مصرية واحدة للانذار المبكر ، تحت اشراف الامريكيين (وعلى تلة احسن اختيارها في جهة متقدمة من ممر الجدي) ، تتيح لمصر القدرة على تلقي انذار مبكر عن اي تحركات عسكرية اسرائيلية .

ومن وجهة النظر العسكرية ، فان الانسحاب الاسرائيلي الجديد سوف يؤمن حماية اضافية لقناة السويس . ويأمل المصريون ان يكون هذا مدعاة لارتياح اصحاب السفن في العالم ، وباعثا على اطمئنانهم كي يستخدموا القناة بكل قوة ونشاط .ولقد كانت هذه الحقيقة في ذهن المصريين وهم يخوضون غمار المفاوضات الصعبة من اجل بضعة اميال استراتيجية في القطاعين الاوسط والشمالي في خط فصل القوات .

وبالمثل ، فان الحكومة المصرية تأمل من اصحاب الاستثمارات الاجنبية الذين نأوا بأنفسهم عن مصر على الرغم من سياسات الرئيس السادات الاقتصادية الليبرالية ، ان يتدفقوا على مصر بأعداد كبيرة .

وتقضي الاتفاقية بتسليم حقول النفط في ابو رديس الى مصر ، وهي الحقول التي كانت اسرائيل تدرك انه لم يكن في وسعها الاحتفاظ بها الى الابد . على ان هذه الحقول النفطية **سوف تقدم انتاجها لحوالي خمس سنوات اخرى ، وان نفطها على اي حال يحتوي على كمية كثيفة من الكبريت** . وفي المقابل ضمنت الولايات المتحدة لاسرائيل تزويدها بامدادات نفطية كافية وبالاموال اللازمة لتمويل عمليات الشراء .

لقد بدت الاتفاقية المؤقتة بين مصر واسرائيل في سيناء ، وكأنها حلف دفاعي بين اسرائيل وجيرانها . « طالما ان الولايات المتحدة معنا ، فان كل شيء على ما يرام . ذلك هو اهم ما في الاتفاقية » (٢) . كان هذا تصريح احد الرسميين الاسرائيليين .

فنظرا لان الولايات المتحدة كانت شديدة الالحاح على وجوب انسحاب اسرائيلي في سيناء ، فستقدم الولايات المتحدة لاسرائيل كميات هائلة من الدعم العسكري والاقتصادي على السواء . وسيرتفع مستوى الدعم لاسرائيل الى ما يتجاوز البليوني دولار ، مع تقديرات تتراوح بين ٢ر١ بليون دولار و٢ر٣ بليون دولار للسنة المالية المقبلة . وسيكون حوالي ١ر٥ بليون دولار عونا عسكريا ، والباقي مساعدة اقتصادية . ومن المقرر ان تمد الولايات المتحدة اسرائيل في الاعوام الخمسة المقبلة بعشرة بلايين دولار على الاقل على شكل مساعدات عسكرية واقتصادية . والتعهدات الامريكية العسكرية لاسرائيل لا تقل سخاء عن ذلك . فالولايات المتحدة ستزود اسرائيل بأحدث ما لديها من عتاد عسكري بما في ذلك طائرات اف ــ ١٥ وصواريخ ارض ــ ارض من طراز لانس (مداه ٧٠ ميلا) ، التي كانت قد تلكأت في امدادها بها كوسيلة ضغط عليها لتقبل التسوية في سيناء . والوقت الطويل الذي يتطلبه انتاج هذه الاسلحة وتسليمها ، يعني ان الولايات المتحدة ملتزمة بمستويات عالية من الدعم العسكري لاسرائيل ، على امتداد عدة سنوات آتية . اضف الى ذلك انها ملتزمة باعادة تزويد اسرائيل بأية اسلحة واعتدة يمكن ان تفقدها في اية حرب جديدة في المنطقة .

لقد وافقت الولايات المتحدة مع اسرائيل كجزء من اتفاقية سيناء ، على ان تقوم

معها بدراسة مشتركة للاحتياجات العسكرية الاسرائيلية ، وعلى ان ترسم خطة طوارىء للامدادات العسكرية ، عند ظهور حالة طارئة في الشرق الاوسط . والى جانب هذا التعهد العام ، وافقت الولايات المتحدة على ما يلي :

اولا : ان تكون مقتضيات اسرائيل العسكرية على المدى البعيد ، موضوع مشاورات مشتركة بصورة دورية .

ثانيا : اعداد دراسة مشتركة من جانب الخبراء العسكريين خلال ثلاثة اسابيع من توقيع الاتفاقية .

ثالثا : في غضون شهرين توضع خطة طوارىء للامدادات العسكرية في ظل اية حالة طارئة قد تستجد .

رابعا : ستنظر الولايات المتحدة بعين العطف في طلبات اسرائيل من الاسلحة المتقدمة .

تنص الاتفاقية المؤقتة في فقرتها المهمة على ما يلي : « توافق حكومة الولايات المتحدة على عقد اجتماع في وقت مبكر ، لمباشرة دراسة مشتركة تتناول التكنولوجيا العالية والاسلحة المعقدة وبينها صاروخ بيرشينج ارض ــ ارض ، برؤوس تقليدية ، رجاة ان تكون الاستجابة ايجابية » (٣) .

ان اعطاء الاسرائيليين هذا السلاح ، يعادل في خطورته قرار ادارة جونسون بتزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم اف ــ ٤ المقاتلة النفاثة . فذلك القرار كان تصعيدا لعمليات التسلح في الشرق الاوسط ، مكن اسرائيل لاول مرة من ان تضرب في اعماق الاراضي العربية . وذلك هو بالضبط ما فعله الاسرائيليون بالفانتوم ، اذ قصفوا بها المناطق المجاورة للقاهرة ، مما جعل الرئيس عبد الناصر يطير الى موسكو بطلب عاجل للنجدة . ونتج عن ذلك مجيء طائرات الميغ ــ ٢١ بطياريها السوفيات الى القاهرة . وبعد ذلك ابتعد الاسرائيليون عن اجواء القاهرة . لكن تصعيدا عسكريا خطيرا قد حدث ، ونضج في العام ١٩٧٣ عندما امر الرئيس السادات بخروج الروس من مصر .

قال بول وارنكي ، الرئيس السابق لمكاتب الشؤون الامنية الدولية في وزارة الدفاع الامريكية ، والمتخصص في مشكلات الرقابة على الاسلحة ، عن قضية صواريخ بيرشينج « **انها الجزء الوحيد من الصفقة الذي يقتلني من الفزع** » (٤) . ولقد عبر وارنكي عن شكه في انه كان يتوجب على الولايات المتحدة ان تمضي بعيدا الى هذا الحد في تسليح اسرائيل بغية بعث الطمأنينة في كيانها .

وفيما يتعلق باحتمال استخدام اسرائيل لصواريخ بيرشينج ، يقول دكتور ديل ز. تاهتينن ــ وهو مرجع في الشؤون الصاروخية ــ ان مدى هذا الصاروخ في الحقيقة هو « حوالي ٥٦٠ ميلا » لا ٤٦٠ ميلا كما هو معروف لدى الناس . ويضيف هذا الاخصائي الخبير ان في وسع صاروخ بيرشينج « في سرعة ٨ ماك ، ان يضرب بغداد في سبع دقائق . وحتى اذا لم يستخدم (من جانب الاسرائيليين) ، يبقى السؤال المطروح : ماذا ستكون ردة فعل السوفيات ؟ » (٥) .

قد يكون هناك من يقول ان الاتفاقية الجديدة قدمت لاسرائيل اسلحة ما كان يمكن

ان تحصل عليها لولا الاتفاقية . لكن كيسنجر يقول ان معظم المساعدات الامريكية لاسرائيل الواردة في الاتفاقية ، كانت ستطلبها اسرائيل ، وستحصل عليها ، سواء عقدت الاتفاقية ام لم تعقد . كما ان الرئيس فورد اكد « ان الولايات المتحدة زودت اسرائيل (في الماضي) بكميات ضخمة وقويه من الاسلحة العسكرية ، وتقضي خطتنا بأن نواصل فعل ذلك في المستقبل » (٦) .

ويمكن النظر الى صفقة الاسلحة الامريكية لاسرائيل من زاويتين ، فهي من ناحية مكافأة لاسرائيل بسبب انسحابها من بضعة اميال من الاراضي العربية المحتلة ، وهي من الناحية الثانية « سلاح (بيد الولايات المتحدة) يستلزم ويستتبع اسلحة اخرى في المستقبل : فقطع الغيار والبدائل ، يمكن وقفها والمماطلة بها مرة اخرى كما كان قد حدث في هذه الاشياء من قبل » (٧) .

وكتب معلق صحافي اسرائيلي قائلا : « ان حقيقة كون الولايات المتحدة قد الزمت نفسها الى هذا العمق في الاتفاقية ، والتزامها بأن تتشاور مع اسرائيل حول السياسة الشرق اوسطية ، امر يعطينا بالفعل قوة وفاعلية . فهل في وسع الولايات المتحدة الآن ان تلعب بنجاح الورقة التي لعبتها سابقا ، المماطلة في العون العسكري والاقتصادي ، بعد ان قدمت هذه التفاهمات ؟ » (٨) .

على ان هناك — في الجهة المقابلة — من يجادل قائلا (مثلما قال بيجن مثلا) ان انغماس الولايات المتحدة مع كل من مصر واسرائيل يعني نفوذا امريكيا اعظم لن يكون في وسع اسرائيل مقاومته .

وهناك جانب آخر من الاهمية في الاتفاقية يتمثل في « صياغة » العلاقات الاسرائيلية — الامريكية في التفاهمات السرية وفي وجود المراقبين الامريكيين في سيناء . ففي الماضي اعتمدت اسرائيل الى حد بعيد في ما تناله من حظوة في الكونغرس الامريكي ومن دعم من جانب الرأي العام الامريكي ، على صورتها كدولة **لم تورط الولايات المتحدة بشريا** . « اعطونا الاسلحة والاموال ونحن وحدنا نقوم بخوض المعركة » . تلك كانت مقولة اسرائيل للامريكيين . لكن اسرائيل لم يعد في وسعها بعد الآن ان تقدم نفسها على انها « الدولة الشجاعة الصغيرة » التي تحارب انتشار النفوذ السوفياتي في الشرق الاوسط . فان تأييد الرئيس السادات للامريكيين اصاب هذه المقولة في الصميم .

ولم تحصل اسرائيل على غاية ما كانت تتمناه ، **اعلانا مصريا بانهاء حالة الحرب** . لقد مضى الرئيس السادات الى ابعد ما يستطيع بقبوله الاعلان بعدم استخدام القوة . ويوافق الاسرائيليون الاكثر واقعية على ان اسرائيل كانت في نهاية الامر تفاوض وتقايض **اشياء مادية محسوسة ، بأمور غير ملموسة** .

ولهذا ، وبينما الولايات المتحدة والعديد من حلفائها استقبلوا الاتفاقية الجديدة بأمل عظيم ، فان اسرائيل تبدي الحذر . ولقد خاطب رابين اعضاء الكنيست الاسرائيلي مؤخرا قائلا : « لا اقف امامكم على هذه المنصة كشخص تغمره روح المسرة والاحتفال ، ولا كمن تخلى عن كل وقار . اني اطرح هذه الاتفاقية على الكنيست وعلى الامة بأقصى ما يمكن ان تحمله التعابير من روية ورصانة وجدية واعتدال ، وبكل ما تشتمل عليه من آفاق متوقعة ومجازفات ممكنة . اني اقدم لكم

هذه الاتفاقية باعتبارها خيارا واحتمالا لا كيقين ثابت ، ويترتب على ذلك ان اسرائيل سوف تواصل الاهتمام بقواتها » (٩) .

قال وزير الدفاع الاسرائيلي السابق موشي دايان : « اننا نقدم تنازلات ، تنازلات مهمة للغاية ، لكننا في المقابل لا نحصل على شيء من المصريين . ان ما نحصل عليه هو عبارة عن تعويض من الامريكيين ، بدلا من الحصول على تنازلات مصرية . وهذا امر حسن لمصر ، لكنه بالنسبة لاسرائيل امر سيء » (١٠) .

بالنسبة لمصر ، لا يبدو انها **قد الزمت نفسها بأي شيء اكثر من تقييد نفسها بتعهد عمومي بعدم اللجوء الى استخدام القوة في خلال فترة سريان الاتفاقية** . وحيث ان الرئيس السادات قد اعلن بشكل جلي انه لم يقطع على نفسه اية تعهدات سرية ، فان علينا من الناحية الفرضية ان نصدق ما يقول . وينبغي ان يبقى في الذهن على اي حال انه سوف يكون من شأن مصر ان تحدد معنى كلمة « قوة » في عبارة « عدم استخدام القوة » .

وحتى لو سلمنا مع بعض القائلين ، بأن مصر قد تعهدت بعدم الاشتراك في الحرب اذا كانت دولة اخرى قد شنت هجوما على اسرائيل ، وانها لن تشترك في حرب الا اذا كانت اسرائيل هي المعتدية ، فانه يبقى من شأن مصر ايضا ان تعطي مفهومها لمعنى « العدوان » ، حيث يكون في وسع الرئيس السادات في مثل هذه الحالة ان يحاجج بأن معنى هذا الالتزام يختلف عما يظهر .

ينبغي النظر الى اتفاقية سيناء باعتبارها تمثل اندحارا للمطالب الاسرائيلية التي اكدت عزمها على عدم الانسحاب من اية بقعة من الاراضي العربية المحتلة ، اذا لم يقم طرفا النزاع ذاتهما بالتفاوض من اجل اتفاقيات سلام . وان اطراف النزاع وهي تصنع « السلام » ، تقيم « الحدود الآمنة والمعترف بها » التي تنسحب اليها اسرائيل، طبقا لجدول زمني متفق عليه .

وعلى هذا ، يبدو ان كيسنجر قد قبل بالراي القائل ان المفاوضات المباشرة و « السلام » مع اسرائيل ، امران لا يمكن تحقيقهما قبل ان تتعهد اسرائيل من الناحية المبدئية بأن تنسحب من جميع المناطق العربية المحتلة .

وهناك جانب مهم آخر في الاتفاقية ، يتمثل في مرابطة ٢٠٠ فني امريكي في سيناء ، لمراقبة الاعمال « الحربية » في كل من الجانبين .

ان الوجود الامريكي في سيناء ، سوف يجعل تجدد الاعمال العدائية اكثر مشقة ، وسيضطر الامريكيين للتصرف بسرعة في حال استئناف مثل هذه الاعمال .

وترى اسرائيل الاتفاقية على انها جعلت الامريكيين بمثابة رهائن في سيناء ، مما يؤكد تورط الولايات المتحدة في حال توجيه ضربة من احد الفريقين .

وهناك اهمية لتأكيد الرسميين المصريين على ان مرابطة الامريكيين في سيناء ، **لم تكن فكرة اسرائيلية بل فكرة مصرية** . فلقد زعموا ان الرئيس السادات اقترح الفكرة ردا على ما تذرعت به اسرائيل من انها مضطرة للبقاء في ممرات سيناء لرصد الاستعدادات المصرية لشن هجوم عليها .

واتفاقية سيناء ، تلزم الولايات المتحدة بلعب دور متزايد الاهمية لا مثيل له في

السابق في شؤون الشرق الاوسط . ففي سلسلة مفصلة من الاتفاقيات المعلنة والاخرى التي لا تزال سرية ، والتي طلبتها اسرائيل مقابل تنازلاتها الاقليمية ، قدمت الولايات المتحدة لاسرائيل ما يعادل حلفا امنيا غير رسمي ، **يكاد يكون ملزما للولايات المتحدة للتدخل فعليا في حال اندلاع القتال من جديد** . وفي هذا الصدد يقول مسؤول اسرائيلي : « ان هذه الاتفاقية دفاعية بين الولايات المتحدة واسرائيل ، حتى ولو كانت النصوص لا تعلن ذلك بشكل صريح » (١١) .

وقد تندم اسرائيل لموافقتها على مرابطة الفنيين الامريكيين في سيناء . فاذا كان الوجود الامريكي في سيناء اعتبر امرا ضروريا « لامن » اسرائيل بعد اعادتها لسدس او سبع سيناء فقط ، فما هو مدى الوجود الامريكي الذي سيكون مطلوبا اذا ما تم التوصل الى تسوية تتعلق بجميع الاراضي العربية المحتلة ؟

في وسع النقاش حول وجود المراقبين الامريكيين في سيناء ان يسلط الضوء على كل مسألة المساعدة الامريكية لاسرائيل ، وعلى المدى الذي ستسير اليه الولايات المتحدة في هذا الاتجاه . فهل في صالح اسرائيل اثارة هذا الموضوع في الوقت الحاضر ؟ وهل من المؤكد ان الاميركي العادي في غاية الشوق للتورط في نزاع اجنبي رهيب قد تبدو حرب فيتنام بالمقارنة معه وكأنها مجرد مناوشة محدودة ؟ ربما كان من الممكن تسويغ الوجود الامريكي في حال التوصل الى اتفاق سلام عريض ونهائي بين اسرائيل والدول العربية . ومثل هذا الاتفاق لا يعني مصر وحدها ، بل سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية كذلك . **فقيام الامريكيين بهجوم على حدود ما ، مسألة اخرى ، طالما ان اكثر نواحي النزاع العربي ــ الاسرائيلي بقيت بدون حل** . ان ايا من هذه النواحي المتبقية كفيلة بتفجير حرب رئيسية جديدة .

ومن الاهمية بمكان ملاحظة ان اتفاقية سيناء المؤقتة ليست « تسوية » للنزاع العربي ــ الاسرائيلي ، بل هي في الحقيقة بعيدة للغاية عن هذا . « ان بيت القصيد ، ان الاسرائيليين الذين يحتلون الاراضي العربية بالرغم من الضغوط الدولية منذ ثمانية اعوام ، قد قبلوا الآن ، وعلى احدى جبهاتهم ، ان يسحبوا جنودهم لبضعة اميال الى الوراء » (١٢) .

لقد قامت سياسة اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ وكذلك بعد حرب ١٩٧٣ على استمرار الركود وتجميد الموقف . وقد صرح مسؤول اسرائيلي بارز لمجلة ((**تايم**)) : « .. لقد كنا نناور منذ ١٩٦٧ لكسب الوقت ولنعيد (الاراضي للعرب) اقل ما يمكن . وكان الراي المهيمن على الحكومة ان الركود وتجميد الموقف في صالحنا . وتمثل اخطر تهديد لنا في خطة روجرز والسياسة الامريكية الداعية الى انسحابنا الى خطوط الهدنة القديمة (حدود ما قبل حرب ١٩٦٧) . والاتفاقية الحالية (اتفاقية سيناء المؤقتة) مع مصر ، هي مسمار جديد في نعش تلك السياسة . نحن ندرك ان العالم كله ضدنا في موضوع الحدود ، كما ندرك اننا نعتمد اعتمادا كليا رهيبا على دولة واحدة بغية الحصول على الاسلحة المعقدة . ومع ذلك فلقد كنا ناجحين طوال الاعوام السبعة او الثمانية المنصرمة ، وربما اقتضى الامر ان نواصل سياسة المناورة لعشر سنوات اخرى . واذا كان للاتفاقية المؤقتة الراهنة ان تمنحنا ستة اشهر فقط وبالاحرى ثلاث سنوات ، فاننا برغم ذلك نقدم عليها لان البديل هو جنيف ، وجنيف لا تعني الا ضغوطا اخرى كي ننسحب الى حدود ١٩٦٧ . ان الاتفاقية المؤقتة اخرت جنيف ، وبالاضافة الى ذلك فانها وفرت لنا في الوقت نفسه الاسلحة والاموال والتنسيق السياسي مع واشنطن ، كما امنت لنا هدوءا في سيناء » (١٣) .

ان افتقار اتفاقية سيناء المؤقتة الى تعهد جدي وحقيقي بتحقيق حل نهائي لازمة الشرق الاوسط ، يمثل موطن ضعف رئيسيا في الاتفاقية . « ... قد تكون الاتفاقية المؤقتة مهلكة وقاتلة كقنبلة زمنية . فلا ينبغي النظر اليها كوسيلة سهلة لشراء الوقت، ولا باعتبارها اداة لتحقيق الاستقرار الفوري والخلاص من التوترات ... ان اتفاقية فصل القوات الثانية هذه في سيناء ليست اكثر من خطوة ثانية في طريق طويل ووعر . فهي لا تفعل شيئا كي تعيد الى العرب اراضيهم التي احتلت في العام ١٩٦٧ . كما انها لا تفعل شيئا باتجاه اعطاء الفلسطينيين حقوقهم السياسية او حتى مصالح تجعلهم يتصرفون بصورة بناءة » (١٤) .

وطبقا لما يقوله الامير سعود الفيصل وزير الدولة للشؤون الخارجية في المملكة العربية السعودية ، فان الاتفاقية المؤقتة بين مصر واسرائيل بشأن سيناء « ليست هي المسألة . ان النظرية القابعة وراء مفاوضات سياسة الخطوة خطوة ، انها تخلق الظروف من اجل تسوية نهائية ... فاذا ادت اتفاقية فصل القوات (الثانية) الى انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة والى الاعتراف بحقوق الفلسطينيين ، يمكن عندئذ فقط اصدار حكم على الخطوات المؤقتة » (١٥) .

ان مصر ، بسيرها الانفرادي مع الولايات المتحدة ، قد قطعت نفسها عن مصدر امداداتها العسكرية وقطع الغيار والتجديدات اللازمة لها ، اي عن روسيا ، « وربطت مستقبلها بعلاقة شخصية بين السادات وبين كيسنجر ، الذي هو ناظر الخارجية في دولة لا تزال هيئتها التمثيلية — الكونغرس — خاضعة لانصار الصهيونية » (١٦) .

لا يزال الشرق الاوسط بعيدا حتى الآن عن السلام . ولن يكون لاتفاقية سيناء من معنى الا اذا نجحت جهود لاحقة في رفع الظلم عن الشعب الفلسطيني ، وحققت مطالبه . « تلك المطالب التي يمكن اختصارها ببساطة بالرغبة في كيان وطني من ضمن مجتمع الامم في الشرق الاوسط . ان مثل هذا الاعتراف مسألة لا تتزعزع . ان دبلوماسية الخطوة خطوة التي تخفف في الاشتمال على الفلسطينيين في وقت مبكر تهدد ... **مستقبل السلام ذاته** في الشرق الاوسط وفي العالم كله » (١٧) .

وان استبعاد الاتحاد السوفياتي في دبلوماسية المستر كيسنجر ، يمثل ناحية اخرى تبعث على القلق في الاتفاقية . فان دعم السوفيات شرط اساسي لاية تسوية فعالة وذات مغزى .

وقد لا تنجح الاتفاقية وفق ما يتصور الرئيس السادات . فالدعم الضخم الذي سيعطى لاسرائيل على الصعيدين العسكري والاقتصادي ، قد يؤدي الى **تعزيز وتصليب رفض اسرائيل لاية تنازلات اخرى** . ومن الجائز ان يدعي الاسرائيليون انهم قدموا كل ما في وسعهم ، وان يعتمدوا على انهماك الامريكيين في عام الانتخابات كي يضعوا الموقف في الثلاجة مرة اخرى . ولتحاشي ذلك لا بد من توجيه ضغط شديد على الولايات المتحدة كي تجبر **اسرائيل على قبول الاساس المنطقي بان الاتفاقية المؤقتة ينبغي الحاقها باتفاقية اخرى ذات وزن لفصل القوات على الجبهة السورية ، والتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني . وبحكم التحديد والتعريف ، هناك استحالة في تسوية النزاع العربي — الاسرائيلي بدون اخذ حركة المقاومة الفلسطينية بعين الاعتبار ، وهي الحركة التي لم يعد في وسع احد بعد الان ان ينكرها او يتجاهلها .**

لقد انطلقت المبادرة الامريكية من قاعدة المصالح الامريكية الخاصة ، والاتفاقية المصرية ـ الاسرائيلية تبقي على الزخم في دبلوماسية الشرق الاوسط ، وتبقي على الولايات المتحدة ونشاطها باعتبارها الوسيط الرئيسي في المنطقة .

كما انها تريح بال الرئيس فورد في ان يخوض انتخابات ١٩٧٦ وهو مطمئن الى ان الموقف في الشرق الاوسط لن يتفجر في حرب اخرى . وذلك يعني في المقابل ان الولايات المتحدة ودول الغرب الاخرى سوف تكون مطمئنة الى عدم وجود حظر اخر على النفط العربي .

وصف خبير مطلع على شؤون الشرق الاوسط مضاعفات ونتائج الحروب العربية ـ الاسرائيلية المتعددة بالعبارات التالية : « ان حربا جديدة في الشرق الاوسط ـ بما في ذلك استخدام سلاح النفط ـ ستؤدي الى كساد على المستوى العالمي ، وبطالة حوالي عشرة ملايين من الامريكيين ، وتدمير حلف شمال الاطلسي (الناتو) ، واشتراك الشيوعيين في حكومات ائتلافية في العديد من دول اوروبا الغربية » . (١٨)

---

١ ـ فايننشال تايمز (لندن) ، ٣ سبتمبر ١٩٧٥ ، ص ٥ .

٢ ـ تشيكاجو تريبيون ، ٧ سبتمبر ١٩٧٥ ، القسم الثاني ، الصفحة الاولى .

٣ ـ كريستيان ساينس مونيتور ، ١٨ سبتمبر ١٩٧٥ ، الصفحة ١٣ .

٤ ـ ذي ديس موان ريجستر ، ١٨ سبتمبر ١٩٧٥ ، الصفحة الثانية ـ أ

٥ ـ المصدر نفسه ، ١٩ سبتمبر ١٩٧٥ ، الصفحة الثالثة .

٦ ـ تايم ، ٢٩ سبتمبر ١٩٧٥ ، الصفحة ٢٧

٧ ـ ذي اكونومست ، ٢٠ سبتمبر ١٩٧٥ ، الصفحة ١٣

٨ ـ فايننشال تايمز ، ٩ سبتمبر ١٩٧٥ ، الصفحة ١٤

٩ ـ المصدر نفسه ، ٩ سبتمبر ١٩٧٥ ، الصفحة ١٤

١٠ ـ المصدر نفسه .

١١ ـ تايم ، ٨ سبتمبر ١٩٧٥ ، الصفحة ١٩

١٢ ـ فايننشال تايمز ، ٢ سبتمبر ١٩٧٥ ، الصفحة ١٤

١٣ ـ تايم ، ٢٢ سبتمبر ١٩٧٥ ، الصفحة ٣٤

١٤ ـ مانشستر جارديان ، ٦ سبتمبر ١٩٧٥ ، الصفحة الاولى

١٥ ـ نيويورك تايمز ، ٢٦ سبتمبر ١٩٧٥ ، الصفحة الثانية

١٦ ـ ميدل ايست اكونومك دايجست ، ٣ اكتوبر ١٩٧٥ ، الصفحة السابعة

١٧ ـ تشيكاغو دياي نيوز ، ١٩ سبتمبر ١٩٧٥ الصفحة الثامنة

١٨ ـ كريستيان ساينس مونيتور ، ٣ سبتمبر ١٩٧٥ ، الصفحة ٢٧ .

رسالة من واشنطن :
سقوط موينهان وعقم السياسة الاميركية

جاءت استقالة دانيال موينهان ممثل الولايات المتحدة في الامم المتحدة في الثالث من شباط (فبراير) وسط مسرحية دبلوماسية حاولت فيها الادارة الاميركية اقناع العالم بأن الخلل لا يكمن في سياستها بل في طريقة التعبير عن هذه السياسة . ولعل الادارة الاميركية ارادت ايضا الايحاء بأنها لم توفق في اختيار ممثليها في الامم المتحدة . ومن الملاحظ ان الولايات المتحدة تعيش منذ اواخر الستينات في عزلة شبه كاملة عن العالم الثالث داخل المنظمة الدولية . ولقد تزايدت هذه العزلة في العام ١٩٧٤ ، ثم وصلت الى ذروتها في العام ١٩٧٥ ، عندما بدأت واشنطن تتحدث عن فكرة الانسحاب من الامم المتحدة .

وتحس الاوساط السياسية في الولايات المتحدة ، أن السياسة الاميركية داخل الامم المتحدة تلاقي صعوبات كبيرة، وان علاقتها مع العالم الثالث في تدهور مستمر ، وان مواقفها السياسية في السنوات الاخيرة جعلتها في صدام مستمر مع غالبية اعضاء المنظمة . وهناك احداث عديدة تؤكد هذه النظرة التشاؤمية . فعندما دعت الجمعية العامة منظمة التحرير الفلسطينية في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ للمشاركة في المداولات الخاصة بالقضية الفلسطينية ، واعتبرتها « الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني » ، واقرت بأن الشعب الفلسطيني هو « الطرف الاساسي المعني بقضية فلسطين» (١) ،تحدث الولايات المتحدة ارادة اكثرية اعضاء الامم المتحدة ، واتخذت موقفا عدائيا ليس ضد منظمة التحرير فحسب ، بل ضد جميع الدول المؤيدة لمنظمة التحرير ايضا ، وهاجمت ما اسمته « بتسلط الغالبية » (٢) . ولكنها لم تستطع متابعة هذه السياسة طويلا ، ولم تلبث ان اتجهت نحو العمل لكسر طوق عزلتها وفتح الحوار مع العالم الثالث . وظهر الموقف الاميركي الجديد عندما تقدمت ٧٧ دولة من كتلة دول العالم الثالث ، خلال دورة الامم المتحدة الخاصة السابعة (١ ـ ١٢ ايلول ١٩٧٥) بطلب يتعلق باجراء بعض التعديلات على النظام الدولي ، وخاصة في مجالي الاقتصاد والانماء ، وتجاوبت الولايات المتحدة مع هذا الطلب ، واعربت عن استعدادها للحوار مع بلدان العالم الثالث حول هذه المسألة(٣) .والقى ممثلها في الامم المتحدة خطابا اطلق عليه اسم « كيسيهان » (Kissihan) نظرا لانه كان من اعداد كيسنجر والقاء موينهان .

ولقد اعتبر بعض المعلقين السياسيين هذا الخطاب خطوة ايجابية، في حين اعتبره البعض الاخر تدبيرا لتحاشي الصدام المباشر مع العالم الثالث ، والعمل في الوقت نفسه لتفتيت جبهة هذا العالم . والواقع ان اصحاب هذا الرأي كانوا على حق ، اذ ما ان بدأت الجمعية العمومية مناقشة قضية الشرق الاوسط حتى كشفت اميركا النقاب عن حقيقة اهدافها ، ولجأت الى التهديد بالانسحاب من الامم

المتحدة ٠ وكان ما ازعج الاميركيين القرارات الثلاثة التي اتخذتها المنظمة الدولية في العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٥ ٠ ويتعلق القرار الاول بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى حضور جميع مناقشات الامم المتحدة ، ويتعلق الثاني بضرورة الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني ، اما الثالث فهو القرار الخاص باعتبار الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية (٤) ٠

وبعد مرور العاصفة وحساب الارباح والخسائر ، اخذت الولايات المتحدة تبحث من جديد عن وسيلة للتقارب مع العالم الثالث ٠ وكان عليها ان تقدم ثمن موقفها المتشنج في الامم المتحدة ٠ وهذا ما دفعها الى التضحية بمندوبها جون سكالي الذي كان كبش الفداء في العام ١٩٧٥ ، تماما كما اصبح خلفه موينهان كبش الفداء للعام ١٩٧٦ ٠

ومن المؤكد ان الولايات المتحدة تجابه في مجال السياسة الدولية معضلات جمة وينعكس هذا الوضع على مواقفها في الامم المتحدة ٠ ولكن هذا لم يدفعها الى اعادة النظر في سياستها ، وتقييم اخطائها ، وتحديد خط سياسي جديد (وهذا امر مفهوم تفرضه طبيعتها الامبريالية ومصالحها الاستغلالية) ، واكتفت بالقاء اعباء فشلها ونكساتها على عاتق ممثليها ٠ مع ان جذور المشاكل والنكسات لا تتعلق باختيار الرجل الذي يمثلها ، بقدر ما تتعلق بالسياسة التي يطلب من هذا الممثل تنفيذها ٠

ان من السذاجة الاعتقاد بأن الادارة الاميركية فكرت ولو للحظة واحدة بأن سكالي وموينهان مسؤولان عن نكسات اميركا داخل المنظمة الدولية ٠ورغم ان التصريحات الرسمية الموجهة الى الرأي العام العالمي تحاول التأكيد على ان ما اصاب الولايات المتحدة يعود الى « طريقة الاداء السيئة » ، فان من الواضح ان ما تسعى الادارة الاميركية اليه هو تضليل الرأي العام الاميركي ـ غير المبالي اجمالا ـ واعطاؤه تفسيرا مقبولا للضجة التي رافقت مناقشات الامم المتحدة ، ولتدهور علاقات اميركا مع دول العالم ٠ وذلك عن طريق القاء اللوم على الاشخاص نظرا لان المواطن الاميركي العادي يركز على الشخص اكثر من اي شيء اخر ٠

ولقد ترسخ هذا النهج في وعي المواطن العادي منذ سنوات طويلة ، فاصبح يتجه عند الانتخابات نحو الشخص لا البرنامج (رغم وجود برامج للمرشحين) لقناعته التامة بأن تباين اراء الحزبيين الاميركيين لا يمنع كونهما متماثلين ٠ ومن هنا جاء التركيز في الحملات الانتخابية على الشخصية القيادية ، الاسرة ، والمظهر الخارجي ، وصور الزوجة والاولاد والعائلة السعيدة وحيواناتها الاليفة وكلابها المدللة ٠٠٠ الخ ٠ لهذا توجهت الادارة الاميركية الى الرأي العام الاميركي بالشكل الذي يتفاعل معه ٠ وبررت فشل سياستها ، داخل الامم المتحدة وخارجها ، بأن ارغمت موينهان على تقديم استقالته بشكل جعله يبدو وكأنه المسؤول الوحيد عن جميع النكسات ٠

ولقد رافق اعفاء موينهان من منصبه (او اجباره على الاستقالة) حملة عنيفة شنتها عليه الصحافة الاميركية والاوساط المسؤولة في وزارة الخارجية ٠ وتتجاهل هذه الحملة جوهر المسألة المتمثل في ان ما تطلبه اميركا من ممثليها في الامم المتحدة امر صعب ان لم يكن مستحيلا ٠ فهي تريد منه ان يتصرف وكأن العالم متوقف عند الخمسينات ، عندماكانت اميركا تسيطرعلى الامم المتحدة،وان يمرر في المنظمة الدولية سياسة خاطئة ومعرضة للنقد والتجريح ، رغم ميل ميزان القوى داخل المنظمة ضد الولايات المتحدة ٠

وتتمحور الحملة ضد موينهان على الفكرة القائلة بان نجاح السياسة يتوقف على الرجل الذي يطبقها وطريقته في اداء مهمته ٠ وهي تؤكد على ان ممثلي اميركا في الامم المتحدة ، وخاصة موينهان ، قد استخدموا العصا اكثر من الجزرة ، فأحدثوا خللا في توازن المبدأ الديبلوماسي الاميركي : الجزرة والعصا ٠ ولقد فاتها ان الولايات المتحدة لم تعط لممثليها جزرا ، وانها زودته على العكس بالعديد من العصي لاخضاع شعوب العالم الثالث ٠

ورغم جميع الانتقادات الموجهةالى موينهان، فقد صرح الرئيس فورد في العاشر من شباط (فبراير) ١٩٧٦ ، بأن خلفه سيتبع « نفس سياسة التحدي الموجهة الى بعض دول العالمين الثالث والرابع ، مسميا الاشياء باسمائها ، اي الجرافة جرافة » (٥) ٠

واضاف فورد انه لا يوجد في الحقيقة كثيرون مثل موينهان واسلوبه الحماسي المتهب ، ولكن السياسة الاميركية ستبقى على ما هي عليه ٠ وهنا يخلط فورد بين الغاية والاداة ، فهو يعتبر الغاية جيدة والاداة سيئة ، مع ان سوء الاداة لم يظهر الا بسبب الغاية المنوى تحقيقها ٠ ولو نظرنا الى ماضي سكالي وموينهان ، لوجدنا ان الرجلين كانا من الناجحين والمتميزين في مجال اختصاصهما ٠ وان سقوطهما بدأ عندما حاولا وضع معارفهما وخبراتهما فيخدمة سياسة خاطئة وغاية محكوم عليها بالفشل ٠

فقبل ان يمثل بلاده في الامم المتحدة في ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤ ، كان جون سكالي المستشار الخاص للرئيس نيكسون ٠ ولقد رافقه خلال زياراته الى الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية ، وكان الى جانبه في معظم مؤتمرات الذروة الاميركية ـ الاوروبية ٠ ولقد تخرج سكالي من كلية الصحافة في جامعة بوسطن في العام ١٩٤٢ ، وحاز على الدكتوراة الفخرية من عدة جامعات اميركية ، وعمل في صحيفة « بوسطن هيرالد » ، وكان مراسل « الاسوشيتدبرس » في الخارج منذ العام ١٩٤٤ ٠ وفي العام ١٩٦١ اصبح مراسل محطة « اي ٠ بي ٠ سي » في وزارة الخارجية الاميركية ٠ وكان اول اتصال رسمي له مع وزارة الخارجية في العام ١٩٦٢ عندما طلب منه ديبلوماسي سوفياتي خلال ازمة الصواريخ الكوبية ان يوصل الى البيت الابيض اقتراحا سوفياتيا سريا ٠ ولقد لعب دورا فعالا خلال هذه الازمة ، وحصل من جراء ذلك على ثناءات واوسمة متعددة ٠

اما دانييل باتريك موينهان ، فقد تخرج من جامعة تافت بامتياز ،وحاز على منحة فولبرايت في العام ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ في جامعة لندن للاقتصاد والسياسة ، ثم حصل على الدكتوراة من جامعة فلتشر للحقوق والديبلوماسية في العام ١٩٦١ ٠ كما حصل على شهادات فخرية من جامعات هارفرد و لاسال وستيون هول كوليج وبروفيدانس ، وألف عدة كتب في السياسة والاقتصاد ٠ وحياته العامة مفعمة بالنشاط في مختلف المجالات ٠ فلقد خدم في البحرية الاميركية (١٩٤٤ ـ ١٩٤٧) ، وفي لجنة الانقاذ الدولية ، وعمل مساعدا لحاكم ولاية نيويورك (١٩٥٥ ـ ١٩٥٨) ، ومديرا لمشروع الابحاث الحكومية في ولاية نيويورك (١٩٥٩ ـ ١٩٦١) ، ومساعدا لوزير العمل (١٩٦١ ـ ١٩٦٥) ، وعضوا في لجنة الامم المتحدة في مفاوضات جنيف (١٩٦٢) ، وعضوا في البعثة الاميركية الى مؤتمر وزراء العمل الاول (التحالف من اجل التقدم) المنعقد في بوغوتا (١٩٦٣) والمؤتمر الثاني المنعقد في ساوباولو في العام نفسه ، وممثلا للولايات المتحدة في المؤتمر الخاص بالاقليات (١٩٦٥)، ومديرا للمركز الموحد للدراسات المدينية في جامعة هارفرد والمؤسسة التكنولوجية في جامعة ماساشوسيتس (١٩٦٦ ـ ١٩٦٩) ، واستاذا في جامعة هارفرد (١٩٦٩ ـ ١٩٧٣) ، وسفيرا لبلاده في الهند (١٩٧٣ ـ ١٩٧٥) ٠وفي ٢١ ايار (مايو) ١٩٧٥ عينه الرئيس فورد في منصب ممثل الولايات المتحدة في الامم المتحدة ٠

وقد يكون في حديثنا عن سكالي وموينهان بعض الاطالة ٠ ولكننا توخينا ذلك لنؤكد انهما لم يكونا من الفاشلين في العمل قبل وصولهما الى منصب ممثل اميركا في الامم المتحدة ٠ وان فشلهما في هذا المنصب يرجع الى خلل موضوعي وليس الى خلل ذاتي ٠

ان مهمة ممثل اميركا في الامم المتحدة ، كما تحددها حكومته ، هي العمل تحت اشراف رئيس الجمهورية لاقامة علاقات ديبلوماسية داخل الامم المتحدة ، من خلال الامين العام ومجلس الامن والجمعية العامة ومختلف الاجهزة العامة في الامم المتحدة ٠ وهو مسؤول عن اقامة العلاقات مع الدول الممثلة داخل المنظمة الدولية ، ويساعده في مهمته هذه اربعة سفراء معتمدين لدى الامم المتحدة ٠ كما انه

مسؤول ايضا عن الموظفين المائة والخمسين العاملين في البعثة الاميركية للامم المتحدة ٠

ولكن اصعب ما يعترض ممثل اميركا في الامم المتحدة ، هو ان حكومته تطالبه بأن يتحدى الرأي العام العالمي بشكل عام ، والعالم الثالث بشكل خاص ٠ وهذا ما حدث لسكالي خلال الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة (ايلول ١٩٧٤ ـ كانون الثاني ١٩٧٥) ، وما حدث لموينهان خلال الدورة الاخيرة ٠

عندما دعيت منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك في مداولات الجمعية العامة في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ ، ودوى صوت فلسطين داخل الامم المتحدة ، وقعت الولايات المتحدة في مأزق نظرا لعدم وجود موقف اميركي محدد ومقنع من مسألة الاعتراف بمنظمة التحرير كممثل شرعي للشعب الفلسطيني ٠ وكان على اميركا ، بالاضافة الى ذلك ، مجابهة ضغطين متعاكسين : اولهما ضغط الرأي العام العالمي الذي ايد بالاجماع خطوة الجمعية العامة ، اما الثاني فهو ضغط الصهيونية التي وقفت ضد دعوة منظمة التحرير ، وشنت حملة اعلامية مضادة واسعة النطاق في الولايات المتحدة وخارجها ٠ لذا كان من الطبيعي ان يفقد جون سكالي اعصابه ، وان يصب جام سخطه على رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات ، وأن يهاجم المنظمة الدولية بأسرها ٠ ولقد استنكر سكالي في خطابه ما اسماه « بتسلط الغالبية » ، وكان خلال الجلسات منفعلا يتصرف بدون ديبلوماسية او حنكة او لباقة ٠ وذكر في خطاب القاه امام الجمعية العامة في السادس من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٤ : « ان قسما كبيرا من الشعب الاميركي مستاء من نزوع الجمعية العامة الى اتخاذ قرارات منحازة وغير قابلة للتنفيذ » ٠ ووجه اللوم الى القرارات « التي تتخذ دون تمييز اكثر الادعاءات تطرفا وانحيازا لجهة واحدة في الخلافات الدولية الخطيرة » ٠ وبالاضافة الى هذا « ففي الجمعية العامة ميل يتزايد حدة نحو تجاهل الاجراءات العادية لصالح الطرف المتمتع بتأييد الغالبية ، واسكات ، بل واقصاء ، ممثلي الدول الاعضاء التي تتبنى سياسة تدينها الغالبية » ٠

ولكن سكالي نفسه ، كان قد صرح في ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ ، بعد وقف القتال في الشرق الاوسط : « ٠٠٠ من الممكن تصور ، وربما كان من المرجح اننا نشهد بعثا تاريخيا جديدا لتلك المنظمة ، بعثا حاسما لقدرتها على التعامل مع العالم الحقيقي » ٠

وتدل هذه المواقف المتضاربة على مدى الخلل القائم في قاعدة السياسة الاميركية ، وانعكاس هذا الخلل على الموقف الاميركي من المنظمة الدولية ومن سياسة الدول الاعضاء في هذه المنظمة ٠ فعندما تنجح واشنطن في تمرير قرار ما ، فانها تعتبر المنظمة الدولية وسيلة جيدة لحل المشاكل العالمية ٠ ولكن ما أن تجد نفسها محاصرة داخل المنظمة بسبب سياستها المعادية لدول العالم الثالث حتى تبدأ بمهاجمة المنظمة والتنديد بها ٠ وفي الوقت الذي فقد فيه سكالي اعصابه داخل الامم المتحدة ، كانت الادارة الاميركية تتخبط على غير هدى ،ولقد ظهر ذلك آنذاك في التصريحات المتضاربة ، « وتصحيحات » التصريحات ، و « زلات اللسان » حول الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ٠

وعندما خلف موينهان سلفه سكالي ،اعتقدت الاوساط السياسية ان اميركا ستتخلص من العزلة التي سجنت نفسها فيها في فترة (١٩٧٤ ـ ١٩٧٥) ، وان الاوضاع ستتبدل نحو الاحسن مع قدوم رجل قيل عنه انذاك انه ديباوماسي « قدير » و « قوي الحجة » ٠ وما ان بدأت الدورة الثلاثون للجمعية العامة حتى تبدد هذا الوهم ،وبدأ سيل خطب موينهان النارية الرنانة ٠ ولقد فقد هذا الديباوماسي « القدير » اعصابه عندما صدر قرار يعتبر الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية ، فقال في خطابه امام الجمعية العامة ان هذا القرار عمل مشين ، وان « ويلا كبيرا اصاب العالم» ، وان « العالم اعطى اللاسامية بركة دولية » ، وأن « هذا اليوم عار على البشرية » ٠

ومع هدوء العاصفة الصهيونية ضد الامم

المتحدة والعالم ، هدأ روع الادارة الاميركية ، فأخذت تبحث عن مخرج ديبلوماسي يمحو اصداء صوت موينهان من اروقة الامم المتحدة. وبدأت الحملة عليه داخل وزارة الخارجية الاميركية ، وأخذت شكل المديح الشخصي . وكثرت تصريحات فورد وكيسنجر حول « تبنيهما » لمواقف موينهان « الصحيحة » ، في الوقت الذي كانا يضغطان فيه على موينهان ليقدم استقالته : وما ان تمت الاستقالة حتى توالت التصريحات الرسمية العلنية حول اسلوبه « الفريد » الذي يمكن القول انه « اقرب الى أسلوب المهرج » ، وحول ضرباته « المتعجرفة » ، الى غير ذلك من الصفات . ووجهت اليه تهمة « الفشل في تفتيت جبهة الدول التي تصوت عادة ضد الولايات المتحدة » (٨) . وهكذا احرقت الادارة الاميركية رجلها لتخفي وراء دخانه حقيقة سياستها الفاشلة .

ولم تحذ الصهيونية حذو الادارة الاميركية، بل تابعت مديح موينهان ، واعتبرته من ابرز ممثلي اميركا في الامم المتحدة ، ووصفته بأنه شخص يمتلك « قوة فكرية مشعة » (٩) .ولقد اكدت صحيفة «معاريف» بعد استقالة موينهان مباشرة ان مدة عمله في الامم المتحدة « كانت اول مرة يسمع فيها في الامم المتحدة صوت نقي وواضح ، سمى الاشياء باسمائها ، وشجب الاكاذيب الراسخة ، ورد الصاع صاعين لمهاجمي الولايات المتحدة » (١٠) . اما حاييم هرتسوغ ، مندوب اسرائيل في الامم المتحدة ، فقد كان ملكيا اكثر من الملك عندما قال في حديث هاتفي اجراه مع الاذاعة الاسرائيلية في ٣/ ٢/ ١٩٧٦ : ان نبأ استقالة موينهان قد صدم الوفد الاسرائيلي . ووصفه بأنه « كان شجاعا وذا مستوى رفيع ، وكانت لديه مواقف ممتازة تجاهنا وتجاه قضيتنا » واضاف بأن اسلوب موينهان الخاص بطرح قضايا جوهرية كان من الممكن ان يوقف تدهور الامم المتحدة .

وتحاول الاوساط الصهيونية في اميركا دفع موينهان وتدعيم موقفه واعداده لمستقبل سياسي . وهناك ما يشير الى احتمال تقدمه لانتخابات مجلس الشيوخ عن ولاية نيويورك . ولا يستبعد ان ينجح في الانتخابات اذا ما تقدم اليها .

ولقد وقع اختيار الادارة الاميركية على وليام سكرانتون ليخلف موينهان . وتصف الاوساط المسؤولة في الادارة الاميركية سكرانتون بأنه رجل « معتدل » ، « رقيق الكلمة » . ومن المعروف انه قال بعد عودته من مهمة استطلاعية في الشرق الاوسط كلفه بها الرئيس نيكسون في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٨ ، بان « على الولايات المتحدة ان تتبع سياسة اكثر اعتدالا في الشرق الاوسط » (١١). ولكن سكرانتون ازاد ازالة « تهمة » الاعتدال عن نفسه ، فقال في ١٩ شباط (فبراير) قبل تثبيت تعيينه رسميا (تم التثبيت في ٢٥/ ٢/ ١٩٧٦) وهو في طريقه الى حفلة عشاء اقامتها على شرفه اللجنة الاميركية اليهودية في فيلادلفيا : « انه معجب بالطريقة التي استخدمها موينهان في عمله » وانه « ينبغي ان يقوم شخص ما ويتكلم بجزم من اجل الولايات المتحدة » ، وهاجم الدول التي تسدد ضرباتها الى اميركا ، وقال ان هذه الدول نفسها سوف تنزعج اذا ما قررت الولايات المتحدة ترك الامم المتحدة (١٢) .

ويعتبر سكرانتون شخصية عامة هامة الى حد ما . وهو ينحدر من اسرة غنية وقوية في ولاية بنسلفانيا . تخرج من جامعة ييل في العام ١٩٣٩ ،وحصل على البكالوريوس ، والتحق بسلاح الطيران في العام ١٩٤١ ، وخدم كطيار في طيران النقل خلال الحرب العالمية الثانية . ثم عاد بعد الحرب الى جامعة ييل ، وحصل على شهادة حقوق ومارس مهنة المحاماة . وفي العام ١٩٦٠ انتخب عضوا في مجلس النواب الاميركي . كما انتخب حاكما لولاية بنسلفانيا في العام ١٩٦٢ . وعارض ترشيح باري غولد ووتر لرئاسة الجمهورية في العام ١٩٦٤ . وخاض الانتخابات كمرشح جمهوري لكي يعطي الحزب الجمهوري امكانية الاختيار .

ويصف المراقبون سكرانتون بأنه شخص حيادي ، لطيف ، رقيق الكلمة . ومن المحتمل ان يختلف اسلوب خطبه في الامم المتحدة عن

اسلوب خطب سكالي وموينهان ولكن طريقة الاداء لا تشكل ضمانة لنجاح السياسة الاميركية ٠ كما إن الكفاءة التي يتمتع بها سكرانتون لا تفوق كفاءة سكالي وموينهان ٠ وليست المسألة على كل حال مسألة كفاءة شخصية ، ولكنها مسألة خط سياسي فاشل يستقطب عداء العالم ونقمة الشعوب ٠ وكما سقط سكالي وموينهان بسبب هذا الخط السياسي ،فان من المنتظر ان يفشل سكرانتون اذا ما حاول تحدي العالم الثالث واتباع سياسة تتناقض مع طبيعة العصر ٠ ولن يكون سقوط سكرانتون في هذه الحالة دليلا على ضعفه او نقص كفاءته ، ولكنه سيكون دليلا حسيا جديدا على عقم السياسة الاميركية التابع من عقم فكر الطبقات المتربعة على قمة الهرم الامبريالي ٠

سلمى حداد

---

١ – **United Nations,** General Assembly, **A/Res.** 3210 (XXIX), 14 Oct. 1974.

٢ – في خطاب له امام الجمعية العامة ٠ نيويورك تايمز ، ٧ كانون الاول ١٩٧٤ ٠

٣ – G.A. Resolution 3362 (S-VII) « Development of Int. Economic Co-operation, » Sep. 19, 1975. *The Seventh Special Session of the General Assembly* 1-16 Sept. 1975. Round up & Resolution. United Nations pp. 21-35.

٤ – G.A. Res. 3375 (XXX) *Invitation to the Palestine Liberation Organization to Participate in the Efforts for Peace in the Middle East.* Nov. 10, 1975; G.A. Res. 3376 (XXX) *Question of Palestine.* Nov. 10, 1975; G.A. Res. 3379 (XXX) *Elimination of All Forms of Racial Discrimination.* Nov. 10, 1975. **Resolutions of** the General **Assembly at its** Thirtieth Regular **Session, 1-16** Sept. 1975. U.N. Press Section. Office of Public Information. U.N. New York. Press Release G.A./5438. 19 Dec. 1975. pp. 3-6; 177.

٥ – نيويورك تايمز ، ١٩٧٦/٢/١١ ٠

٦ – A/PV. 2400. 10 Nov. 1975. United Nations General Assembly Thirtieth Session P.P. 152-155.

٧ – نيويورك تايمز ، ١٩٧٦/٢/١٢ ٠

٨ – نيويورك تايمز ، ١٩٧٦/٢/١٥ ٠

٩ – جويش برس ، ١٩٧٦/٢/٦ ٠

١٠ – معاريف ، ١٩٧٦/٢/٣ ٠

١١ – نيويورك تايمز ، ١٩٧٦/٢/١٩ ٠

١٢ – نيويورك تايمز ، ١٩٧٦/٢/٢٠ ٠

مراجعـــات

الياهو بيلتسكي ، صهيونية بدون قوسين (تسيونوت ليلو مرخآوت)
(عبري) ، (مركز التربية والتعليم ، شعبة التعليم الحركي ، اسرائيل: ١٩٧٤)

عندما تجد الحركة الصهيونية نفسهـــا مضطرة الى اعداد نشرات ومطبوعات لارشاد الشباب الاسرائيلي وتوعيته الى الصهيونية ، وعندما تضطر وزارة التعليم الاسرائيلي الى ادخال مادةادخال مادة الصهيونية في برامج التعليم ، فمعنى ذلك ان الامور ليست على ما يرام من وجهة نظر قادة الحركة الصهيونية الذين هالتهم الاسئلة المحائرة التي طلقها جيل الشباب مؤخرا ، وعكست روح اليأس والقنوط لدى الجيل بالنسبة لمصداقية الحركة الصهيونية ومصيرها .

من بين المطبوعات التي صدرت بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، كتـــاب « الصهيونية الحقة » ، أو اذا أردنا ترجمته الحرفية « صهيونية بدون قوسين » ، وترجم الاسم بالانجليزية الى « صهيونية زماننا » .

والكتاب ، كما هو واضح من اسم الناشر ، وهو مؤسسة حكومية تتبع وزارة التعليم ، موضوع بايعاز ضمن خطة اشمل لمحاولة تطويق الشباب الاسرائيلي بصفةخاصة وحقنة بجريمة صهيونية لتحويله عنطريق الكفر بالصهيونية.

والهدف من اصدار هذا الكتاب هـــو محاولة تلافي تردي الشباب الاسرائيلي في تيـــار التشكك الذي اكتسح فئات غير قليلة منه بعد ان ظهرت بوادر هذا التشكك في الاحاديث المتناقلة بين فئات مختلفة من الجمهـــور الاسرائيلي . مثل قول احدى طالبات الفصل الاخير من المرحلة الثانوية : «لامي ثلاث اخوات في الخارج ، ومنذ قيام الدولة لم يمت لاحداهن عزيز ، أما نحن ... ؟ »

ويعترف المؤلف في حاشية الكتاب بالدوافع التي ادت الى اصدار هذا الكتاب ، فيقول : « ان الهزة التي انتابنا في اعقاب حـــرب الغفران دفعت الى اختبار ذاتي متعمق فـــي جميع نواحي حياتنا . فلقد عرضنا انفسنـــا في مرآة مقعرة وملؤنا الخوف علـى مصيرنـا كيهود : نخشى الصعاب الناجمة عن وضـــع دولة اسرائيل الجغرافي السياسي ونخشـــى مجموعة القوى المتصدية لكياننا . فمـا هـــو سر الكيان القومي للشعب اليهودي ، ومـــا هو معنى الصهيونية اليـــوم ؟ ومـا هي القيـم الاجتماعية والفكرية التي بها أقمنا سيـــادة اسرائيل المتجـــددة ومـــــا تستوجبـــه للمستقبل ... ؟ »

على هذه الاسئلة وغيرها يحاول المؤلف ان يرد في هذا الكتـاب ، بعـد ان ظهرت هـوة سحيقة اضاعت النور الاحمـــر لدى الاوسـاط الصهيونية ، هوة انعكست بين ما جاء علـى لسان المقاتلين في كتاب « حديث المقاتلين » الذي نشر في اعقاب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وبين ما جاء على لسان الشـــان الاسرائيليين في كتاب « حديث الشباب » الذي صدر في اعقاب حرب تشرين الاول (اكتوبـر) ١٩٧٣ .

ولكي يصور مدى فظاعة هـــذه الهوة ، اقتبس المؤلف من الكتاب الاول هذه العباره :

« كانت الحرب بالنسبة لي درسا خارجا للعادة فيما يسمى بالوعي اليهودي ـ فلاول مرة لم اشعر باسرائيلية الشعب بل بيهوديته ودولة اسرائيل ماثلة معلنة امام يهود العالم كبوابة الحياة والامان لبقاء الامة » ٠

ومن الكتاب الثاني اقتبس المؤلف هذه العبارة « شعرت قبل الحرب انه ينبغي علي ان ابقى هنا (في اسرائيل) وظننت ان كل ما ابغي عمله ساعمله هنا في اسرائيل ٠٠٠ لكن الحرب جعلتني ابدأ في التفكير بأنه ما من سبب يجعل ابني يعاني لانه كانت لجده ميول صهيونية ٠٠٠ فاليهود في نهاية المطاف شعب عادي ، ، وما اهمية القتال من اجل بقائه ؟ » ٠٠٠

نعم ، هوة سحيقة بين تفكير المقاتلين الاسرائيليين بعد حرب حزيران ٦٧ حيث تعملق لديهم الوجه اليهودي وتقزم الوجه الاسرائيلي، وبدت اسرائيل في نظرهم مركز الاشعاع لكل يهود العالم ،بينما يتساءل الشباب الاسرائيلي بعد حرب تشرين الاول ٧٣ عن جدوى القتال من اجل بقاء الشعب اليهودي ، لا بل اخطر من ذلك ، انه يشعر بعقدة الذنب نحو الابناء والاحفاد اذا هو اعتنق المبدأ الصهيوني ٠٠٠ فلماذا يجني على الاحفاد ؟

يعترف المؤلف في فصل اخر من الكتاب بأن المجتمع الاسرائيلي يعيش ـ بعد حرب تشرين ـ في مناخ روحاني حائر ، « وليس فقط جيل الشباب » ، ومن هذه العبارة وسواها تبرز رغبته في انقاذ ما يمكن انقاذه من شرائح المجتمع الاسرائيلي وبفضل شريحة الشباب لانه ذخيرة الحركة الصهيونية في حروبها ٠

ويقارن المؤلف بين مزاج الجمهور الاسرائيلي أمس واليوم ، أمس ، « كنا نسمع صيحة دعونا نعيش في هذا البلد » اما اليوم « فيبدو وكأن حاجزا اقيم فجأة على درب تصاعد الثقة بكياننا ، والشك ينخر نفوس جيل الشباب الذي يصوغ مظهر عالمنا » ٠

كما يشير المؤلف الى الاسئلة والتساؤلات التي ملأت جو اسرائيل بعد حرب تشرين تشكك في الكيان الاسرائيلي واليهودي على حد سواء ، وتشكك في حقنا في ارض اسرائيل وصدق طريقنا ، وتتساءل عن حروب اسرائيل التي لا نهاية لها وعن « الملجأ الامين » الذي تحول الى ميدان صراع ٠٠٠ » ٠

وينتهي الى قناعة بأن هذه التساؤلات ناجمة عن الخوف على الحياة وعن الخوف على مجرد البقاء ٠ وعن هذا الخوف يحكي حكاية أب له ثلاثة اولاد ، ارسل ليشق طريقا بالجرار اثناء المعارك والقذائف تتساقط من حوله ، وعندما سأله اولاده : وهل خفت ؟ قال : بالطبع خفت ؟ فجاءه التعليق : اذن ، لماذا تطوعت للقيام بهذا العمل ؟

يعترف المؤلف بأن « جيل الشباب في اسرائيل يعيش في توتر دائم ناجم عما يطلبه من نفسه وما يطالب به من اجل بناء الدولة وحمايتها بكل استعداده النفسي والبدني » ٠ ويصف هذا الواقع بأنه « واقع سيء لا مثيل له لدى الشباب في معظم بلاد العالم » ٠

بعد هذا راح المؤلف يرسم الصورة النفسية للمجتمع الاسرائيلي بعد حرب تشرين محاولا علاج هذه العلة النفسية ومواليا جيل الشباب جل عنايته ، فيعود الى عام ١٨٨٢ عندما نشأت حركة بيلو (١) التي اطلقت شعار « علمو ابناء اليهود القوس » ٠

فيحاول بذلك تعميم البلاء لمواساة العائلات الثكلى التي فقدت اعزاءها في حروب اسرائيل « التي لا نهاية لها » ٠ ولهذه الغاية اقتبس بعض عبارات وردت في رسالة أحدهم الى احدى الاسر الثكلى :

« تستحوذ علي ، بدون هوادة ، مشكلة الاباء والابناء وما هو دورنا ، كآباء ، في تضحية الابناء ٠ انها نفس المشكلة التي تعكسها

---

(١) حركة بيلو هي حركة رواد الهجرة من روسيا القيصرية الى فلسطين انشئت عام ١٨٨٢ ، وكلمة « بيلو » هي مجموع الحروف الاولى من العبارة العبرية « يا آل يعقوب امضوا ونمضي معا » ٠

تضحيـة اسحاق (٢) • ويحيرني تكافـؤ الضدين لدينا نحن الابـاء ، اذ نريد الذوذ باحدى اليدين عن ابنائنا بينما اليد الثانيـة تقدمهم قربانا • فنحن الذين نربيهم يوميا على التطوع والتضحية ونتوقع منهـم ان يثبتوا جدارتهم - ونحن الذين نربيهم علـى الصعود الى مذبح القربان • وكيف نصل الى ذلك الشعور ، المسري ولو قليلا ، بأنهـم ضحية ايمان واختيار ، وليس فقط ضحيـة اللامفر ••• »

بعد ذلك ينتقل الكاتب الى تذكير الجمهور الاسرائيلي بان حالته اليوم لا تختلف عـن حالة اليهود في العصور الوسطى ، مستشهدا بسؤال طرحه المؤرخ اليهودي س • دوفنوف (٣) في احدى مقالاته :

« هل يمكن العثور ، في تاريخ بني اسرائيل على شيء اشبه بالكوارث التي تحل بنا في عصرنا ؟ » - وبعد مراجعة ، يجد هذا المؤرخ انه في خلال الاربعين سنة الاولى من القرن العشرين مرت باليهود ما لا يقل عن ٦٠٠ واقعة تقتيل وتنكيل •

ويتمنى المؤلف ان يكون سخط وتذمـر جيل الشباب من باب التمرد على الواقـع الاجتماعي ، ولكنه مع ذلك يبدي مخاوفه من مجموعة الاسئلة التي يطرحها الشباب عـن « حق » اليهود في ارض اسرائيل وعن لظلم الواقع على عناصر اخرى (يقصد الاهالـي الفلسطينيين العرب) وعن « مصداقيـة الصهيونية » ، ويشير الى ان مثل هـذه الشكوك رافقت الطائفة اليهودية منذ ظهور حركة احباء صهيـون وتأسيس الحركـة الصهيونية قبل اكثر من ٧٨ عاما ، حيـث تساءلوا آنئذ : « احقا تعتبر الصهيونية الحـل السليم للمسألة اليهودية ؟ » •ويستطرد بان مثل هذه الاسئلة طرحت ايضا في المجتمـع الاسرائيلي بعد حرب تشرين •

من هنا يبدأ المؤلـف في تهدئـة روع المرتاعين وذلك بأن صور لهـم انهـم ليسوا الوحيدين على درب المعاناة والالام بل سبقهم كثيرون من اليهود • فيسرد على سبيل المثال فصولا من تاريخ الاستيطان اليهودي فـي فلسطين وكيف كان اليهود اقلية (٠٠ ٤٣ يهودي فقط في عام ١٨٨٣ من مجموع سكان فلسطين وعددهم آنئذ ٤٥٠٫٠٠٠) وطبعا يصور المستوطنين اليهود الاوائل ابطـالا ومكافحين حولوا الصحراء الجرداء الى واحة وارفة الظلال الى اخر ما تكرره الدعاية الصهيونية • ثـم يصور « كفاح » المستوطنين الاوائل الذيـن واجهوا صعابا وعقبات ولكنهم لم يلينوا ولـم يتراجعوا بل اتبعوا اسلوب خلق الواقع دون ان ينتظروا ان يؤذن لهم •

ويبث شكواه الى قرائه لان العرب لـم يسلموا « بحق اليهود في فلسطين ، بل على العكس ، « تصاعد اعتراضهم على هذا الحق على امتداد الفترة ما بين صدور تصريـح (وعد) بلفور في ١١/٢ /١٩١٧ حتى الان » • ثم يشير الى الثورات العربية المسلحة ضد الكيان الصهيوني في فلسطين في اعوام ١٩٢٠ - ١٩٢١ - ١٩٢٩ - ٣٩/١٩٣٦ - ١٩٤٧ - ١٩٥٦ - ٧٠/١٩٦٨ - ١٩٧٣ - ١٩٧٤ •

ويشكو ايضا من انه نتيجة لتصلب عرب فلسطين « انتزع » شرقي الاردن من « ارض اسرائيل » بعد ان كان مشمولا في تعهـد ورد في وعد بلفور •

ويشكو كذلك من ان لجنة بيل البريطانية (٣٧/٧/٧) دعت الى تقسيم فلسطين « مع ان هذا التقسيم معناه ان يقيم اليهود فـي جيتو داخل فلسطين » • ولكن حتى هـذا « الحل » رفضه العرب ، كما رفضوا توصيـة لجنة التحقيق الانجلو /اميركية (٤/٢٠ /٤٦) التي اعترضت على اقامة دولة يهودية أو دولة عربية في فلسطين ، كما رفض العرب قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة (٤٧/١١/٢٩) « مع انه خصص لدول اسرائيل مساحة ١٦ الف

---

٢ - عندما هم ابوه ابراهيم بذبحه تنفيذا لما رآه في المنام •

٣ - مؤرخ يهودي من مواليد روسيا • وهو صاحب الرأي القائل بأن سبب بقـاء اليهود في المنفى هو قدرتهم على بنـاء مراكز جديدة بدلا من التي تتهدم •

كيلو متر مربع فقط ، اي نحو نصف مساحة ارض اسرائيل ، ورضي اليهود به ولم يرضى العرب » ٠

ويستطرد في سرد فصول « معاناة » اليهود الاوائل الذين جاؤوا ليستوطنوا فلسطين مار بحرب ١٩٤٨ « حيث كان هدف العرب القاء اليهود الى البحر » ، وبعد هذه الحرب تقلصت مساحة اسرائيل الى ٢٠٫٥٠٠ كم ٢ ، اي اقل بـ ٦٥٠٠ كم٢ مما جاء في « وعد تهرشل في اعقاب صدور الكتاب الابيض عام ١٩٢٢ وبعد ان سلخ اجزاء من ارض اسرائيل وضمهـا الى شرقي الاردن » ٠

وبعد ذلك لجأ المؤلف الى سرد تحديات العرب وتوعدهم بالكيان الصهيوني ، فاستشهد بتصريح للسيد ياسر عرفات في احدى قواعد التدريب يوم ٧٤/٧/٢٤ : « لرفع علم فلسطين في تل ابيب سواء رضي الاستعمار والولايات المتحدة بذلك ام لم يرضى »

كل هذا طبعا ليصور المستوطنين اليهود القدامى في موقف « المظلومين ـ المضطهدين لكنهم صامدون » لعل « معاناتهم تستدر عطف وربما اعجاب جيل الشباب الذي يجهل هذه السيرة فيتخذ من هؤلاء قدوة له ويشعر بأنه ـ محظوظ ـ اذا قارن وضعه الحالي باوضاع الاجداد الذين مروا بكل هذا العناء » ٠

ثم يحاول المؤلف ان يبرر الشعور السائد لدى قطاع من الشباب في اسرائيل بأن الحركة الصهيونية اعتدت على حقوق العرب ، فيصور الموضوع على انه «مواجهة بين الحركة الصهيونية والقومية العربية » ، ويقول ان هذه المواجهة « لم تبدأ في حرب يوم الغفران ولا منذ قيام الدولة ، بل منذ اليوم الاول الذي وطأت فيه قدم الطلائعي العبري ارض هذا البلد » ٠

وبعد ذلك يعرض على قرائه الشبان العقلية العربية ، طبعا ليتهمها بانتطرف او حتى بالشوفونية ، فنقل البنود ١ ـ ٦ ـ ٩ ـ ١٥ ـ ١٩ ـ ٢١ ـ من الميثاق الفلسطيني الذي اقر في ايار (مايو) ١٩٦٤ وعدل في ٧ ـ ١٠ تموز (يوليو) ١٩٦٨ ٠ بل يذهب الى اضافة « حليف » للعرب في « روحهم العدائية » هذه ويقتبس بعض فقرات من البرنامج العبري الموجه من اذاعة موسكو ويشكو من ان هذه الاذاعة تعرض « مشكلة ارض اسرائيل كحرب تحرير عربية ضد غزو يهودي مسلح يستخدم خرافات ترجع الى الفي سنة كحجة له » ٠

وبينما يسخر المؤلف من وصف مؤيدي الحق العربي للحجج التي تستند اليها الصهيونية بالخرافات ، يعمد هو الى « بيع » الخرافات لقرائه من جيل الشباب ، فيدعي تفرد الحركة الصهيونية وخاصيتها : « ما من حركة قومية تشبه الصهيونية في اي شعب ، كما انه ما من مسيرة تجميع شتات حدثت في اي شعب من شعوب العالم » ٠

ويذهب الى تجاهل الواقع الصارخ الشعب الفلسطيني ، فيدعي « في تاريخ الشعوب لا وجود لعبارة « شعب في المنفى » ، بل هناك لاجئون في المنفى ، لاجئون سياسيون وغيرهم » ٠

ويحار المؤلف ويحير معه جيل الشباب اليهودي الذي يخشى عليه من الضياع ، في تعريف الصهيونية ٠ فتارة ينقل عن بيرنبويم (٤) تفسير الصهيونية في اوائل التسعينات من القرن التاسع عشر : « انها خليط من الفكرة القومية اليهودية وبين استيطان يهود في ارض اسرائيل » ٠ وعن هرتسل : « الصهيونية هي عودة الى اليهودية قبل ان تكون عودة الى بلد اليهود » ٠ وعن دافيد ريمز (٥) : « هذا الاسلوب من السعي لبعث القومي الذي صادفنا ونسميه « صهيونية » ليس الا فرصة تاريخية قد تتحقق وقد لاتتحقق

---

٤ ـ ن٠ بيرنبويم ، مؤلف يهودي من مواليد فيينا (١٨٦٤) اول من وضع عبارة الصهيونية ، وكان قد عبر عن آراء مشابهة لاراء هرتسل ٠

٥ ـ دافيد ريمز : زعيم صهيوني من مواليد روسيا (١٨٦٦) هاجر الى فلسطين ١٩١٣ ، كان وزير مواصلات ثم وزير تعليم في حكومة اسرائيل ـ مات سنة ١٩٥٤ ٠

على ايدينا ـ والبت في ايدي الجيل وفي صنيعه » ٠

وفي فصل اخر ينتقل المؤلف ليعدد « الجهود» التي بذلتها الحركة الصهيونية للوصول الى السلام مع العرب ويعزو اعراض العرب الى « القومية العربية التي هي قومية عنف لا صلة لها بنوايا السلام والتعايش بين الجيران ، فهي قائمة على القوة ونواياها ابادة شعب » ٠

ثم يعود المؤلف ليعدد الوان « الاضطهاد » التي لقيها اليهود على امتداد تاريخهم راميا الى تصوير الحركة الصهيونية ملاذا وحاميا لليهود من مثل هذه المطاردات ، حتى أنه يحرص على نفي احتمال خلو مجتمع عياء من عداء السامية حتى ولو كان مجتمعا ديمقراطيا ٠

فابتدأ من عهد قياصرة روسيا واختار فقرة وردت على لسان المدعي العام للكنيسة المقدسة في روسيا القيصرية الى السفير الاميركي في موسكو : « يا صاحب السعادة ! في روسيا ستة ملايين يهودي ، مليونان منهم يجب ان يعتنقوا المسيحية ، ومليونان يجب ان يغادروا البلد ، ومليونان سيقتلون ، وعندها لن تكون مشكلة يهودية في روسيا » ٠

واستشهد بحدث قريب وقع في الولايات المتحدة ٠ بما نشرته بعض الصحف الاميركية بعد حرب تشرين وما نتج عنها من ازمة طاقة في الدول الغربية والولايات المتحدة بصفة خاصة ، بأنه « ظهرت شعارات مكتوبة على سيارات خاصة وسيارات اجرة تقول : احرقوا اليهود بدلا من الوقود » ، واشار في هذا الصدد الى عبارة قالها هاييم وايزمان : « بلاد العالم تنقسم بالنسبة لليهود الى نوعين : بلاد يجب ان يخرج منها اليهود ، وبلاد محظور على اليهود دخولها » ٠ وهكذا ، بعد ان اغلق جميع الابواب ، يصل المؤلف الى ما يريد ان يصوره على انه الحل الاخير للمشكلة اليهودية ، الا وهو الصهيونية :

« الصهيونية هي الحرب الياائسة الاخيرة التي يخوضها اليهود من اجل بقائهم اليهودي » ٠

ويسخر الكاتب من الذين اهتزت ثقتهم باسرائيل وبالصهيونية على اثر حرب تشرين، فيرد على احد الذين قرروا النزوح عن اسرائيل ـ وقالوا : « نحن نحزم امتعتنا الى مكان ما ، الى اي مكان اخر ليس فيه واحبات الوطن التي تفترس احلى سني العمر » ، بقوله : « ان هذا بخياله يرى نفسه كالعلق الطليق الذي يرقى فوق الحدود السياسية ٠٠٠ ولكن خلفية هذا النازح من الناحية الفكرية الايديولوجية المتجذرة في وعيه منذ صباه بصفته مولودا في اسرائيل ، تؤرقه ، فلا ينام الليل ويشعر بالضيق وبتأنيب الضمير » ٠

وهنا يوجد اللوم والتأنيب الى الجمهور الاسرائيلي ككل : « عادات شعب المنفى على امتداد الفي عام ما زالت تنخر في خصائص هذا الشعب الرئيسية ، اذ ان شخصية الشعب العادي القومي المتجذر في وطنه محصنا وراسخا ، ما زالت معرضة لتنال منها رياح الزمن ، وهذا عامل مشروط بمقدار الخير الذي يقدمه البلد ٠٠٠ » ٠

ان ابرز درس نستخلصه من تصفح هذا الكتاب هو أن اصرار الشعب العربي على حقه وتصاعد نضاله على امتداد السنين من اجل هذا الحق هو صاحب الدور الاول في زعزعة ثقة ضحايا الحركة الصهيونية من يهود لعالم في صدق هذه الحركة وفي احتمال بقائها ٠ النضال العربي العنيد هو الذي دفع الشباب الاسرائيلي الى طرح اسئلة التشكك في « حقه على ارض اسرائيل » ، وهو الذي دفع النشىء الجديد في اسرائيل الى التفكير في سباب نجاة الخالات سارة ورفقه وشوسانا في مونتريال ولوس انجلوس وسيدني من ثكل أعزائهن ، بينما حياة الاسرة هنا ـ في « ملجأ الصهيوني » ـ تطفح بالمآتم والاحزان ٠

صبحي النجار

Publish it Not ... The MIDDLE EAST Cover-up.

MICHEL ADAMS & CHRISTOPHER MAYHEW (LoNGMAN)

انه لمن حسن الطالع ن ينشر هذا الكتاب ويرى النور ، اذ كان من الممكن ان يختفي ببساطة ، وان يكون في عداد ضحايا عملية « حجب الحقائق » المتعلقة بشؤون الشرق الاوسط ... وهو الموضوع ذاته الذي يدور حوله الكتاب !

مؤلفا الكتاب من ابرز معاضدي القضية العربية المعروفين في بريطانيا ، والفرضية التي يطرحانها هي ان رجال السياسة ، ووسائط الاتصال والاعلام ، والكنائيين ، قد عملوا جميعا في بريطانيا بجهد لا يعرف الكلل، على حجب وحظر نشر اية حقائق متصلة بقضية فلسطين . وان الخبرات والتجارب التي كونها المؤلفان خلال اكثر من عشرين عاما من التعاطي المباشر بشؤون الشرق الاوسط ، قد مكنتهما حقا من تقديم دعوى قوية ومدعمة جيدا بالاثباتات والوثائق .

كان مايكل آدامز مراسلا للجارديان في الشرق الاوسط من ١٩٥٦ حتى ١٩٦٢ ، ولقد الف العديد من الكتب حول السياسات الشرق اوسطية ، ويتولى الآن تحرير مجلة « ميدل ايست انترناشينال » وهو مدير وعضو مؤسس « لمجلس تنمية التفاهم العربي ـ البريطاني» ـ (كابو) ، الذي يمثل بالتأكيد التجمع البريطاني الرئيسي المناصر للقضية العربية، والمدافع عنها .

اما عن كريستوفر مايهيو الذي اصبح عضوا في مجلس العموم البريطاني في العام ١٩٤٥ ، ثم وزيرا للبحرية في الحكومة العمالية عام ١٩٦٤ ، فانه احد ابرز رجال السياسة في بريطانيا في الدأب والاصرار المتواصلين على دعم العرب وقضاياهم . (ولقد استقال من حزب العمال في العام ١٩٧٤ وانضم الى حزب الاحرار) .

يقوم هذان الكاتبان المتمكنان معا ، بعملية مسح واستكشاف للدوائر الرئيسية للرأي العام البريطاني ، ليسجلا الطريقة الباعثة على الاسف التي استجاب بها البريطانيون ، في الجانب الاعظم منهم ، للنزاع العربي ـ الاسرائيلي . وان قراءة هذه « القصة » وتتبع فصولها امر يبعث على الحزن ، على الرغم من بعض التقدم الذي امكن تحقيقه في ميدان كسب التعاطف مع القضية العربية ، بعد حرب اكتوبر على وجه الخصوص .

كان الاعتقاد السائد على نطاق واسع في بريطانيا ، قبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ وحتى الآن ، الى مدى معين ، هو بعدم وجود قضية عربية ، وبأن اسرائيل على حق دائما . ولم يكن هذا موقف ورأي قليلي الدراية والاطلاع فقط ، بل كان ايضا وفي كثير من الاحيان رأي وموقف اولئك الذين يفرض عليهم واجبهم ان يكونوا افضل معرفة واكثر المما بالمسألة . ففي ميدان الحياة السياسية على سبيل المثال ، كانت الصهيونية عنصرا عظيم النفوذ والتأثير في حزب العمال البريطاني منذ ثلاثينات هذا القرن . وينقل السيد مايهيو ، في الفصل الذي يعقده لهذه العلاقة الغرامية الطويلة والقذرة بين حزب العمال والصهيونية ، القرار السيء الصيت الذي تبناه مؤتمر الحزب في العام ١٩٤٤ ، والذي اعلن فيما يخص فلسطين: « ينبغي السعي لتشجيع العرب على الخروج (من فلسطين) ، ولتشجيع اليهود على الدخول » .

على ان هناك واقعة اخرى يقدمها السيد مايهيو ، ربما كانت اقل شهرة ، وهي ما حدث في العام ١٩٧٣ عندما قام هارولد ويلسون بعزل الناطق والنائب العمالي انكفوء اندرو فولدز ، لا لشيء الا لانه انتقد النواب اليهود في مجلس العموم البريطاني بازدواجية الولاء واصبح السيد فولدز ـ مثل السيد مايهيو نفسه ـ عضوا قياديا في « مجلس الشرق الاوسط في حزب العمال » ، وهو تجمع انشيء لمناهضة « اللوبي » الصهيوني في حزب

العمل البريطاني ، وان كان عدد انصاره اقل بكثير من عدد النواب « العماليين » المساندين للصهيونية ٠

على ان الجـزء المركزي من كتاب ادامز ومايهيو ، مكرس لسجل الصحافة والاذاعة والتلفزة في بريطانيا ، بخصوص قضية فلسطين ، وهو سجل اسود ٠ ومما يبعث على الحزن والاسى ان البي٠ بي٠ سي ، على الرغم من تغطيتها الموضوعية في خدماتها العالمية (الخارجية) ، كانت بعيدة تماما عن الامانة والنزاهة في تقديم الاخبار والتعليقات بشأن الشرق الاوسط ، في برامجها المحلية (الداخلية) سواء في الاذاعة او على شاشة التلفزة ٠

وان النموذج الاسوأ الذي يؤكد عليه ادامز ومايهيو ، هـو مايكل الكنز وتقاريره من القدس ٠ فهو على الدوام منحاز الى جانب سياسة الحكومة الاسرائيلية ، ويغفل تماما النواحي السلبية في الحياة الاسرائيلية وفي المناطق المحتلة ٠ ويوضح كريستوفر مايهيو ان الكنز هو مؤلف كتاب « مطروق بضراوة » الذي يتغاضى عن الارهابية اليهودية ، مؤكدا ان الكنز صهيوني من الطراز المتطرف ٠ وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهها ادامز ومايهيو وغيرهما، فان البي٠ بي٠ سي ترفض بعناد اتخاذ اي اجراء ضد الكنز ، بل ورفضت ان تجري استقصاء محايدا في الموضوع ٠

ويقدم ادامز ومايهيو امثلة عديدة اخرى على التحيز والمحاباة والتحامل ، من واقع كتابات جميع الصحف سواء اليومية او صحف الاحد او المجلات الاسبوعية بلا استثناء ،وان كانت الصحافة المحافظة بينها اسوأ على وجه العموم ٠ على ان ناشري الكتب ليسوا احسن من سواهم ، حيث النفوذ الصهيوني شديد التأثير في هذا المجال كما في سائر مجالات الكلمة والتعبير ، ولهذا فان من العسير للغاية ان تجد « مادة » مساندة للعرب او معادية للصهيونيين ، طريقها الى النشر ٠

وفي فصل بعنوان « اخفاق الكنائس » ، يعاين ادامز قطاعا من المؤسسة البريطانية قلما لقي اهتماما فيما يتعلق بالموقف من الشرق الاوسط ٠ ومع ذلك فان مسؤولية الكنائس حيال الارض المقدسة ، وخاصة بشأن القدس ، هي مسؤولية كبيرة ، بما لا يسمح بأي عذر لاخفاق قادة الكنائس في ان يعلنوا معارضتهم للاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية ، وقمع الفلسطينيين ٠

وينتهي الكتاب بفصل يتناول بالدرس الموقف الناشيء عن حرب اكتوبر ،والاحتمالات الراهنة لتسوية سلمية ٠ ويقدم الكتاب وجهة نظر واضحة ومعتدلة ٠ وربما كان المؤلفان يفرطان في التركيز على مدى ما خلقته الحرب من توازن في القوى ، والاحداث الاخيرة ، وخاصة اتفاقية سيناء ، ربما تجاوزت الكتاب الى حد معين ، الامر الذي قد يدفع المؤلفين الى التخفيف من تفاؤلهما بقوة العرب الجديدة وانعكاساتها على صورتهم المتغيرة في الغرب ٠ لكن المؤلفين ، كما يتبدى من هذا الكتاب الممتاز بكل جلاء ، محاربان متمرسان في فنون الحرب الاعلامية ٠ وهذه المعركة لم تنته ابدا بأي شكل من الاشكال ٠

روجر هاردي

WELT DER KUNST - ISMAIL SCHAMMUT

اسماعيل شموط ، عالم الفنون

(دار هنشل للنشر — برلين — جمهورية المانيا الديمقراطية)

في حوالي الخمسين صفحة ، صدر في المانيا الشرقية في عام ١٩٧٥ المنصرم كتاب عن الفنان الفلسطيني اسماعيل شموط ، باللغة الالمانية ، ومن المفروض ان تصدر ترجمة له باللغة العربية في شهر ايار (مايو) الحالي، وترجمة اخرى باللغة الانجليزية ، في اواخر عام ١٩٧٦ الحالي .

والكتاب حلقة في سلسلة كتب بعنوان «عالم الفنون » ، صدر منها حتى الآن مئات الكتب تعرف بفناني هذا العصر ، غير ان هذا الكتاب هو اول معالجة ضمن هذه السلسلة لفنان من خارج اوروبا .

مؤلفة الكتاب الدكتورة كارين روردانتز ، وهي استاذة فنون الشرق ، بجامعة هاليه في المانيا الديمقراطية . ويضم الكتاب نصا تحليليا عن فن اسماعيل شموط وارتباطه بالقضية الفلسطينية (١٢ صفحة) مع سيرة الفنان ، ثم سبع عشرة لوحة مع شرح عن كل واحدة (١٢ بالالوان و ٥ ابيض واسود).

في النص الذي تصدى لتحليل فن اسماعيل شموط وتعريف القارىء الاوروبي به ، يبدو احيانا وكأن النص عرض لمعلومات اساسية واولية عن القضية الفلسطينية اكثر مما هو تحليل لفن اسماعيل شموط ، وهذا ينطبق احيانا بصورة كاملة على بعض فقرات النص، ولعل هذا التداخل يرضي الفنان اكثر مما يضيره ، فتداخل فن اسماعيل شموط بالقضية الفلسطينية سواء في ودائعه الاولية ، او في تطوره ونموه ، كان عملية مستمرة بوعي وبلا وعي ، لم يستطع الفنان التمرد على استمراريتها حتى عندما جرب ذلك ، كما يشير الكتاب عندما يتحدث عن لوحات الناظر الطبيعية ، القليلة اصلا في انتاج اسماعيل شموط .

اهم ما في النص السياسي الفني للكتاب ، انه يقدم للقارىء الاوروبي معلومات اساسية عن القضية الفلسطينية في مراحلها الاولية ، التي غالبا ما تعتم عليها اجهزة الاعلام الاوروبية ، او لا تعني بها كثيرا حتى في الدول الصديقة ، وهي فترة النصف الاول من القرن العشرين .

ومع الاختصار الشديد لهذه المعلومات (بضع صفحات وبضعة سطور) فانها تنبه القارىء الى ان مشروع انشاء دولة اسرائيل عملية غزو استيطاني استعماري تم بمساعدة بريطانيا ، كما ان النص هو من النصوص القليلة في اوروبا الشرقية (على تواضعه) التي لا تتحدث عن قرار التقسيم « كحل ديمقراطي » للمشكلة ، بل كحلقة من مشروع المؤامرة .

هذا عن القيمة السياسية للنص ، اما في الناحية الفنية فان الكاتبة ركزت على ما يبدو على موضوع فن اسماعيل شموط اكثر من تركيزها على الاسلوب ، ويبدو ذلك عن قصد وتعمد ، ومع ان الكاتبة تتحدث عن تأثر شموط ببعض فناني عصر النهضة (خاصة بوتشلي) ثم برامبرانت وغويا وفان كوخ ، فانها تلاحظ انه في الوقت الذي كان فيه معظم الفنانين العرب يغرقون في التأثر الكامل باساليب الفن الاوروبي المعاصر ، كان اسماعيل شموط ، بوعي احيانا وبلا وعي في معظم الاحيان ، لا يهتم باختيار وتحديد اسلوبه الا بقدر ما كان ذلك الاختيار يخدم همه الاول ، اي التعبير عن آلام شعبه .

وتعطي الكاتبة اهمية خاصة لمعرض شموط الاول في غزة عام ١٩٥٣ ، فنرى ان الفنان قد اكتشف في ذلك المعرض الدور التحريضي للفن، ثم قدرة الفن على ان يكون تعبيرا صادقا عن احاسيس الناس ، خارج اطار المثقفين

الذين هم عادة جمهور الفن التشكيلي فيمعظم البلاد ٠

واذا كان قصر النص لم يسمح للكاتبة بالتوسع في تقديم دراسة مفصلة ومحققة لتطور الاسلوب عند اسماعيل شموط ، فيبدو ان ذلك لم يكن همها من الاساس ، ويبقى الكتاب في هذا المجال محاولة اولى ، لا بد من ان يقوم نقاد عرب متابعتها حول الفنان الذي ولد فنه مع انفجار قضية فلسطين عام ١٩٤٨ ، وظل ينمو معها حتى اليوم ٠ فالكاتبة الالمانية قدمت تعريفا بفن شموط ، اكثر مما قدمت تحليلا له ، وذلك يبدو حتى في خلو نصها من التعابير النقدية الدقيقة التي لا يخلو منها تحليل فني ٠

على ان ما يلفت النظر في هذا المجال بالذات هو ان الكاتبة الالمانية قد اشارت اكثر من مرة ، وبتركيز واضح ، الى اثر المحرمات الدينية حول التشخيص الفني ، على فن اسماعيل شموط ٠ وهذه نقطة مبالغ فيها ٠

فاذا كان لهذه المسألة التاريخية اعمق الاثر على تطور الفن العربي في الماضي السحيق ، فليست المسألة بهذه الاهمية بالنسبة لفن شموط بالذات ، والدليل على ذلك ان شموط عندما تفتح على الفن ، لم يكن الرسم قد نما وترعرع في كل من مصر والعراق ولبنان ، بل كانت له في هذه البلاد اكاديميات ومعاهد فنية تتولى تدريسه ،بدليل ان العلاقة الجدية الاولى لشموط بفن الرسم كانت من خلال كلية الفنون الجميلة في القاهرة ٠

طبعا ليس من شك في ان لمشكلة المحرمات الدينية اثرا حضاريا عاما على تطور فن الرسم العربي ، تأثر به كل رسام ، غير ان ذلك يبقى مشكلة عامة ، لعل الفنانين المبكرين تأثروا بها اكثر من فناني النصف الثاني من القرن العشرين عندنا ، وشموط منهم ٠

ا ٠ س

صدر حديثا

عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر

اتفاق فصل القوات الثاني في سيناء

١٩٧٥

المقدم الهيثم الايوبي

اول دراسة تحليلية تكاملية للاتفاق ، والخلفيات السياسية التي ادت الى توقيعه ، وانعكاساته على الصراع العربي ـ الاسرائيلي في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية ٠ والتسلل الاميركي

الذي نجم عنه (٤١٦ صفحة)

رسالتان عن : السينما وفلسطين

[١]

مدخل الى السينما الصهيونية

السينما الصهيونية قبل انشاء اسرائيل

كان هدف الحركة الصهيونية قبل انشاء اسرائيل اثبات ان لليهود حقا تاريخيا في فلسطين ، ودعوة يهود العالم للهجرة اليها حتى يستقروا فيها ، ويتم انقاذهم من الشتات .

وقد استمر هذا الهدف بعد انشاء اسرائيل ولكن التعبير عنه اختلف باختلاف الظروف فاسرائيل اصبحت موجودة بالفعل ، وعلى اليهودي ان يلبي النداء ليؤكد وجودها ، وليس للمساهمة في بعث هذا الوجود .

كانت البداية في هوليود مدينة السينما الامريكية الشهيرة ، او « مصنع الاحلام » كما عرفت في العالم كله . وكان من بين هذه الاحلام ، « العودة الى ارض الميعاد » وليس من الغريب ان تكون عودة اليهود الى ما تطلق عليه الصهيونية « ارض الميعاد » حلما من احلام مصنع الاحلام . ففي هوليود سبع شركات كبرى منذالعشرينات هي متروجولديون ماير وكولومبيا ووارنر وبارامونت وفوكس ويونيفرسال ويونيتد ارتست ، وكل مؤسسي هذه الشركات بغير استثناء من اليهود .

ان متروجولديون ماير لصاحبيهما لويس ماير وسام جولديون كانت تسمى ماير جانسي ميشيوشي ، وعندما غير جولديون اسمه وهو في الاصل جولد فيتش احتفظ بالحروف الاولى الاصلية لاسم شركته . ووليم فوكس مؤسس شركة فوكس هو في الاصل وليم فريدمان . وبينما غير جولدوفيتش وفريدمان اسميهما احتفظ الباقين باسمائهم وهم هاري كوهين مؤسس كولومبيا ، وجاك وارنر مؤسس وارنر وادولف زوكور مؤسس بارامونت ، وكارل لايملي مؤسس يونيفرسال ، وشارلي شابلن احد مؤسسي يونيتد ارتست وهو الوحيد من بينهم الذي ظلت اليهودية دينه ، ولم تصبح الصهيونية عقيدته .

ونتيجة ملكية اليهود لكل الشركات الكبرى في هوليود ، ازداد عدد اليهود في صناعة السينما الامريكية بعد تركزها في هذه المدينة منذ اوائل القرن ، ومن ثم كانت ولا تزال قلعة من قلاع الصهيونية على صعيد السينما ، كما تعتبر نيويورك على صعيد المال والاعمال . وليس هذا لمجرد كونهم يهودا ، ولكن لانهم اساسا من اليهود الامبرياليين او المدعمين من اليهود الامبرياليين امثال روتشيلد . وهم اصحاب المصلحة الحقيقية في انشاء اسرائيل .

اننا نعرف منهم بول نيومان وبربارا سترايسند وداستين هوفمان وكيرك دوجلاس وودي آلان وغيرهم من النجوم العالميين . ولكننا لا نعرف اولئك الذين غيروا اسمائهم مثل سام جولدوين ووليم فوكس . ومنهم على سبيل المثال بول موني واسمه الاصلي مونسي فايسنفرونيد ، وجون جارفيلد واسمه الاصلي جوليوس جارفينكل ، وادوارد روبنسون واسمه الاصلي ايما نويل جولد نيرج ، وال جولسون واسمه الاصلي اسليا يونيلسون وتوني كيرتس واسمه الاصلي برنارد شفارتز ، وملفين دوجلاس واسمه الاصلي ملفين هيلسبرج ،

وجودي هوليداي واسمها الاصلي جوديت توفيم ولورين باكال واسمها الاصلي بيتي بريسكي ٠ وهذا التغيير في الاسماء بقصد اخفاء الديانة اليهودية هو نتيجة لاضطهاد اليهود في اوروبا وامريكا والغرب عامة ٠ الامر الذي لم يحدث في البلاد العربية ، ولا في الشرق عامة حيث لم يضطهد اليهود ، ولم تحدث لهم اية مشاكل بسبب ديانتهم الا بعد انشاء اسرائيل وشبهة الجنسية المزدوجة التي اصبحت تطارد كل يهود العالم ٠

وللصهيونية في هوليود تنظيم رسمي هو قسم السينما في جمعية النداء اليهودي المتحد الذي يرأسه المنتج دافيد سلزنيك ٠ ويروي عند تأسيس هذا القسم عام /١٩٤٧ ان سلزنيك رفض الانضمام اليه قائلا انه سينمائي امريكي وليس يهوديا في الدرجة الاولى ٠ ولكن بن هشت الكاتب السينمائي المعروف واحد مؤسسي القسم ، اتفق معه على ان يتحدث الى عدد من اصدقائه ويسألهم من يكون ، فاذا قال واحد منهم فقط انه سينمائي امريكي سوف ينزل عند رغبته ، اما اذا قالوا جميعا انه يهودي فلا مفر من قبول رئاسة القسم ٠ وتحدث سلزنيك وكانت الاجابة التي جعلته يوافق على الفور ٠

وهناك نوعان من الافلام الصهيونية في هوليود قبل انشاء اسرائيل ٠ النوع الاول الافلام المسماة دينية ، والمأخوذة عن التوراة مثل « جوديت » اخراج دافيد وارك جريفث عام ١٩١٣ و « الوصايا العشر » اخراج سيسيل دي ميل عام ١٩٢٣ وكلاهما من كبار المخرجين العنصريين الرجعيين في تاريخ السينما الامريكية والنوع الثاني ، الافلام التي تناولت الاضطهاد النازي ـ لليهود قبل واثناء الحرب العالمية الثانية مثل « الوعد الكبير » اخراج جوزيف ليتيزو و « بيت ابي » اخراج هربرت كلين و « الارض » اخراج همفر اداماه في الثلاثينات ٠

وبينما يعتمد النوع الاول على اثبات الحق التاريخي لليهود في فلسطين من خلال التوراة ، يعتمد النوع الثاني على اثبات هذا الحق بعد اضطهاد اليهود على ايدي النازيين ٠وهنا التناقض الكبير الذي تقع فيه هذه الافلام بالنسبة لكل من له عقل يفكر بعيدا عن الاساطير ٠ والدعاية الضاغطة ٠ ففي التوراة لا يوجد ما يشير الى ضرورة انشاء دولة تحمي مصالح الامبريالية الامريكية في النصف الثاني من القرن العشرين ، واضطهاد النازي لليهود لا يعني اضطهاد اليهود للعرب ، وطرد شعب فلسطين والاستيلاء على وطنه ٠

وتذكر مراجع السينما الاسرائيلية دائما ان اباء السينما الاسرائيلية هم ناثان اكسلرود ، وباروخ اجداتي ، ويعقوب بن دوف ، وهؤلاء الثلاثة هم الذين صنعوا الافلام الصهيونية في فلسطين في العشرينات ، ولم تكن اسرائيل قد وجدت بعد حتى يصبحوا اباء السينما الاسرائيلية ولكن الدعاية الصهيونية تقوم اساسا على تجاهل هذه الحقيقة ، وعندما يأتي ذكر الحرب الاولى بين العرب واسرائيل عام ١٩٤٨ يطلقون عليها حرب الاستقلال ضد الاستعمار ٠

اخرج ناثان اكسلرود بضعة افلام تسجيلية في العشرينات ، ولكن اهم افلامه كان « اودد » عام ١٩٣٢ وهو فيلم روائي طويل عن كفاح الشباب اليهودي في المزارع الجماعية ٠ اما يعقوب بن دوف فقد اخرج عام ١٩١٢ فيلم « حياة اليهود في ارض الميعاد » و « الفرقة اليهودية » عام ١٩٢٢ واهم المخرجين الثلاثة هو بلا شك باروخ اجداتي ، لانه مخرج اول فيلم ناطق باللغة العبرية في تاريخ السينما وهو فيلم « هذه ارضي » عام ١٩٣٢ ٠

وفي بولندا ، اخرج الكسندر فورد فيلم « صابرة » عام ١٩٣٣ ، وفيه تناول هجرة اليهود الى فلسطين باعتبارها الارض الموعودة ، والحلم الذي راودهم منذ اكثر من الفي عام ٠ وقد هاجر فورد الى اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ واخرج هناك عدة افلام ٠

السينما الصهيونية بعد انشاء اسرائيل

كان هدف الدعاية الصهيونية قبل انشاء اسرائيل ، اثبات ان لليهود حقا تاريخيا في فلسطين ، ودعوة يهود العالم للهجرة اليها ٠

وكان ذلك هو هدف السينما الصهيونية في هذه المرحلة بالتالي ، اما بعد انشاء اسرائيل فقد اضيف الى هذا الهدف دون الغائه هدف ثان ، ان اسرائيل هي منارة الحضارة في عالم متخلف هو العالم العربي ، وان العرب المعاصرين امتداد للالمان النازيين في عدائهم للسامية .

ومن هوليود خرج الفيلم الاول ، وهو الفيلم التسجيلي « الرواد » الذي انتجه واخرجه باروخ دينار عام ١٩٤٩ ، وعرض في ستة الاف ومائتين من دور العرض بالولايات المتحدة في وقت واحد ، ورشح للفوز بجائزة الاكاديمية الامريكية للعلوم والفنون السينمائية المعروفة باسم الاوسكار في نفس العام . وقد انتج باروخ دينار واخرج بعد ذلك العديد من الافلام التسجيلية التي وزعتها شركات هوليود الكبرى ، ثم هاجر الى اسرائيل عام ١٩٦٠ .

ومن لندن اخرج الفيلم الثاني عام ١٩٤٩ ايضا ، وهو الفيلم الروائي الطويل « التل ٢٤ لا يرد » اخراج ثورولد ديكنسون وتمثيل حايا هرايت ويعتبر الوجه الروائي لفيلم « الرواد » حيث تناول كلا الفيلمين هزيمة العرب في حرب ١٩٤٨ وانشاء اسرائيل حلم الاجداد الذي تحقق ، وانقذ اليهود من العذاب والاضطهاد .

وفي الخمسينات عادت هوليود مرة اخرى الى الافلام الصهيونية المسماة دينية والمستمدة من التوراة . فاخرج سيسيل دي ميل « الوصايا العشر » مرة ثانية ناطقا ـ وبالالوان في انتاج ضخم عام ١٩٥٦ بعد ان اخرج نفس الموضوع بنفس الاسم صامتا بالابيض والاسود عام ١٩٢٣ . واخرج ويلم وايلز « بن حور » عام ١٩٥٩ ـ ومن ناحية اخرى اخرج جورج ستيفنز « مذكرات آن فرانك »عن اضطهاد اليهود ايام النازية ، واسرائيل باعتبارها النتيجة المنطقية لهذا الاضطهاد .

وهكذا ظلت السينما الصهيونية تدور في فلك التوراة واضطهاد النازي لليهود دون ان تتناول الموضوع المعاصر الذي كان من الممكن ان تدور حوله افلامها وهو حرب ١٩٥٦ في مصر بعد تأميم قناة السويس . فلم يكن هذا الموضوع يحقق ما تهدف اليه السينما الصهيونية نظرا لوقوف العالم كله الى جانب مصر عام / ١٩٥٦ .

ومع بداية الاعداد لحرب ١٩٦٧ بدأت السينما الصهيونية تنشط نشاطا ملحوظا ، وبعد نجاح اسرائيل في تحقيق اهدافها من تلك الحرب وصل هذا النشاط الى ذروته . فقد بدت مصر هي المعتدية بغض النظر عن صاحب الرصاصة الاولى ، واستطاع المنتصرون ان يفرضوا وجهة نظرهم في عالم لا يعترف بغير القوة .

وكما هو الحال في الخمسينات جاءت اهم الافلام الصهيونية في الستينات قبل حرب ١٩٦٧ من هوليود . وسوف نتناول هنا ستة افلام هي « الخروج » ، « جوديت » و « الظل العملاق » و « راشيل » ثم (التوراة) ومن الملفت للنظر ان « وصايا » دي ميل الثاني «والتوراة» صورا في مصر ولم تنتبه السلطات الى اهدافها السياسية .

اما « الخروج » الذي اخرجه اوتو بريمنجر وكتبه دالتون تريمبو عن رواية ليون اوريس ومثله يول نيومان مع ايفا ماري عام / ١٩٦٠ ، ففيه يعبر بريمنجر بدقة عن اهداف الحركة الصهيونية في هذه المرحلة . فهو يفترض الحق التاريخي لليهود في فلسطين كحقيقة غير مطروحة للنقاش ، ويفترض ايضا ان واجب كل يهودي الهجرة الى اسرائيل كحقيقة ثانية. ثم يوضح من خلال حرب ١٩٤٨ ان ـ اسرائيل هي ملاذ ضحايا النازية من اليهود ، وان يهودها هم رسل الحضارة الذين انتصروا على العرب المتخلفين في تلك الحرب .

وفي « جوديت » اخراج دانييل هان عام١٩٦٤ وتأليف لورانس داريل وتمثيل صوفيا لورين وبيتر فينيش وجاك هوكنز ، يتم التركيز على فكرة ان العرب المعاصرين امتدادا للالمان النازيين في عدائهم للسامية . وذلك من خلال قصة يهودية نمساوية تذهب الى اسرائيل لمعاونة السلطات في البحث عن زوجها الالماني النازي الذي يعيش في احدى الدول العربية . واثناء المغامرة المثيرة تعود الى الماضي ، وتراها في معسكرات الاعتقال النازية .

وفي « الظل المعلق » اخراج ملفيل شافلسون عام ١٩٦٥ ، وهو المخرج الوحيد في العالم الذي اصدر كتابا بعنوان « كيف تصنع فيلما يهوديا » نرى من خلال مجموعة كبيرة من اشهر نجوم هوليود مثل كيرك دوكلاس ويول براينر وجون واين وفرانك سيناترا كيف يعتبر الكفاح ضد العرب امتدادا للكفاح ضد النازيين ، والرباط الوثيق بين الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل • اذ نرى ضابطا امريكيا يهوديا اشترك في الحرب العالمية الثانية ، وبعد نهاية الحرب يشترك في حرب ١٩٤٨ ضد العرب حيث يلقي حتفه •

وقبل حرب ١٩٦٧ مباشرة ، وفي عام ١٩٦٦ ، انتجت هوليود « التوراة » اخراج جون هيوستون ، و « راشيل » اخراج بول نيومان حيث يثبت الاول الحق التاريخي المزعوم لليهود في فلسطين ، ويدعو الثاني الى هجرة اليهود اليها • وكان اول افلام صاحبه كمخرج ، وقامت بالدور الاول فيه وهو دور راشيل ، زوجته جوان وود وارد •

واثناء حرب ١٩٦٧ أقام جاك وارنو حفلا ضخما لجمع التبرعات لاسرائيل افتتحه بمبلغ ١٥٠ ألف دولار ، وتلاه هارب البرت ٢٥٠ ألف دولار وسام جولدوين ٥٠ الف دولار وليو فاسرمان ٥٠ الف دولار ، وفرانك سيناترا ٢٥ الف دولارا وبرت لانكستر ١٠ الف دولار وسارت المظاهرات في نيويورك يقودها جيري لويس وغيره من السينمائيين الامريكيين اليهود الموالين للصهيونية • وكان جمع التبرعات يجري تحت شعار « ادفع دولارا تقتل عربيا » • وقد بلغ قيمة ما تبرعت به اليزابيث تايلور خلال عامين حوالي ٢٥٠ الف دولارا ، وعندما فتحت وصية جيف شندلر قرأ محاميه انه اوصى بمليونين من الدولارات لاسرائيل •

وبعد حرب ١٩٦٧ ، انشىء في هوليود صندوق طوارىء لدعم اسرائيل ، وأسس الممثل ايدي كانتور فرعا لجمعية «بني بريث » الصهيونية• وعندما جاء موعد مهرجان موسكو الخامس في يوليو ، كان من بين المدعوين اليزابيث تايلور وزوجها ريتشارد بيرتون ، وتوني كيرتس ، ولكنهم اصدروا بيانا اعلنوا فيه مقاطعة المهرجان لوقوف موسكو مع العرب •

وبينما اضافت الحركة الصهيونية الى اهدافها بعد حرب ١٩٦٧ ، أن اسرائيل تحارب من اجل السلام في محاولة للاحتفاظ بالارض الجديدة التي احتلتها ،وانها تدافع عن المعسكر الغربي فيمنطقة اصبحت تخضع لنفوذ المعسكر الشرقي ، اضاف امبرياليو هوليود الصهاينة الى اهدافهم الى جانب الدعم المالي لاسرائيل، وانتاج الافلام الصهيونية ، مساعدة الانتاج السينمائي في اسرائيل والانتاج المشترك وتصوير الافلام على ارضها ، وشراء الافلام الاسرائيلية وابراز نجومها •

واهم الافلام الصهيونية التي تناولت حرب ١٩٦٧ الفيلم الامريكي « الحرب من اجل السلام » اخراج جول داسان عام ١٩٦٨ ، عن سيناريو أروين شو ، وهو فيلم تسجيلي طويل يعبر عن اهداف الحركة الصهيونية بوضوح ، ويدين الثورة الفلسطينية ، ويعتبرها حركة ارهابية • والفيلم الايطالي « معركة سيناء » اخراج مورتيزيو لوتشيدي عام ١٩٦٨ ، الذي يمجد الجيش الاسرائيلي من خلال قصة ثمانية جنود اسرائيليين يحاصرون في سيناء ، وبعد ان يدمر المصريون مدرعاتهم يتوهون في الصحراء • وبينما هم على حافة الموت من الجوع والعطش يتمكن احدهم من اصلاح جهاز الاتصال ، ومنه يعرفون ان قواتهم قد انتصرت • ولا تلبث هذه القوات ان تلحق بهم وتنقذهم •

وفي عام ١٩٦٩ ، انتج الفيلم البريطاني « انها ارضه » اخراج جيمس كولار وهو فيلم تسجيلي يؤكد حق اسرائيل في الاراضي التي احتلتها بعد حرب ١٩٦٧ والفيلم الفرنسي « حائط القدس » اخراج فردريك روسيت ، وهو فيلم تسجيلي ايضا يحقق نفس الهدف • وفيه نرى مجرم الحرب العريق موشي دايان يصلي امام حائط المبكى ، ويدعو الى السلام •

ومن الافلام التسجيلية الصهيونية الطويلة الفيلم الفرنسي « ارثر روبنشتين » اخراج فرسنوا رايشنباخ عام ١٩٧٠ • ويعتبر هذا

الفيلم من اكثر الافلام الصهيونية نجاحا في التعبير عن اهداف الحركة الصهيونية بعد حرب ١٩٦٧ • فموضوعه هو عازف البيانو اليهودي العالمي • ويبدأ الفيلم بالحديث عن روبنشتين والموسيقى والبيانو حديثا يمتزج باروع معزوفات الفنان ، وفجأة نرى روبنشتين في القدس المحتلة يسير امام حائط المبكى ويقول « انني فخور بوجودي هنا • ان الاف من ارواح اجدادي كانت تتطلع الى هذه اللحظة، وكم كنت اتمنى ان يشاهد اقربائي الذين اغتالتهم النازية الالمانية هذا المنظر » • ثم نراه وهو يتجول في اسرائيل ، ويحاضر في طلبة الكونسرفاتوار في تل ابيب •

وبمناسبة الاحتفال بمرور ٢٥ عاما على انشاء اسرائيل عام ١٩٧٣ تم انتاج العديد من الافلام الصهيونية اهمها الفيلم الامريكي « اهمس بأسمي » اخراج جيمس كوللر عن فتاة امريكية يهودية تشعر بالضياع في نيويورك ، وعندما تذهب لزيارة اسرائيل تجد معنى الحياة هناك • والفيلم التسجيلي الفرنسي « لماذا اسرائيل » اخراج كلود لانزمان السكرتير الخاص للكاتبة سيمون دي بوفوار وسكرتير تحرير مجلة العصور الحديثة التي يرأس تحريرها جان بول سارتر والفيلم التسجيلي الفرنسي ايضا « شجرة الحياة » الذي اخرجه جون فيرنو وسجل التعليق عليه بصوته اللورد لورانس اوليفيه مدير المسرح القومي البريطاني •

يقول جون فيرنو « يختلف هذا الفيلم اختلافا تاما عن كل الافلام التي صنعتها في هولندا • انه يوضح معنى ان تكون يهوديا اليوم وبالتحديد في اسرائيل • ان شريط الصوت والموسيقى يعبران عن مدى غنى التقاليد في هذا البلد الذي يسعى من اجل حياة جديدة لابنائه » •

ومن الافلام التسجيلية الصهيونية العامة التي انتجت عام ١٩٧٢ أيضا ٦ افلام انتاج مجموعة انتر فيلم في مدينة اتلانتا بولاية جورجيا الامريكية وهذه المجموعة مكونة من المخرج هنتر هود ، والمصور دافيد موسكو فيتش وهو في نفس الوقت المونتير ، والمنتج بوب ايفانز • ومن اخطر الافلام الستة فيلم عن الدبابات السوفياتية التي كسبتها اسرائيل من العرب في حرب ١٩٦٧ فالفيلم يهاجم العرب وفي نفس الوقت يسخر من السلاح السوفياتي •

وبقدر ما كانت الافلام الصهيونية كثيرة عن حرب ١٩٦٧ ، بقدر ما هي قليلة جدا عن حرب ١٩٧٣ • وهذا طبيعي فقد هوجمت اسرائيل لاول مرة في تاريخها، وهزمت على يد المقاتل العربي في سيناء والجولان غير ان هذا لا يعني بالطبع توقف السينما الصهيونية في اوروبا والولايات المتحدة وبخاصة في الولايات المتحدة •

واحدث الافلام الامريكية الصهيونية فيلم « البرعم » اخراج اوتو بريمنجر عام ١٩٧٥ عن سيناريو بول بونيكاريه وجوان هيمنجواي حفيدة الكاتب الامريكي العظيم ارنست همنجواي • ويحكي الفيلم قصة مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين يحتجزون يختا عليه ٥ فتيات في عرض البحر المتوسط ، ولكن رجل المخابرات المركزية الذي يقوم بدوره بيتر اوتول بالتعاون مع رجل المخابرات الاسرائيلية الذي يقوم بدوره كلين جورمان يتمكنان من انقاذ الفتيات •

ويمثل في هذا الفيلم ايضا راف فالوني وهانز فيرنر وادرين كوري ، كما يمثل فيه جون ليندسي عمدة نيويورك السابق في دور والد احدى الفتيات • وليندسي صهيوني معروف ، وصديق اوتو بريمنجر ، ولا يخفي سعي الفيلم الى تشويه الثورة الفلسطينية ، واستثارة كراهية المتفرج بتعاطفه مع اباء المخطوفات وامهاتهم •

وهناك ايضا فيلم « الرجل في الغرفة الزجاجية » اخراج ارثر هيلر مخرج «قصة حب» الشهيرة ، وانتاج امريكا فيلم تيتر بنيويورك عام ١٩٧٥ والفيلم عن مسرحية من تاليف ادوارد انالت عرضت لاول مرة على المسرح عام ١٩٦٧في لندن ثم عام ١٩٦٨في نيويورك، وكان كلا العرضين من اخراج هارولد بنتر • كما قدمت على مسارح تل ابيب قبلان تخرج للسينما • ويعود الفيلم

الى اسطورة اليهود والنازي ، ولكن من خلال موقف درامي قوي يتميز بالحنكة والذكاء ٠

اننا نرى اليهودي الالماني ارثر جولد مان ، ويقوم بدوره مكسمليان شل ، من رجال الاعمال الناجحين في نيويورك ٠ ولكنه يعاني من القلق والاضطراب وذات يوم يقبض عليه البوليس السري الاسرائيلي وتتم محاكمته في اسرائيل على اساس انه الكولونيل كارل ادولف دورف من ضباط الجيش الالماني النازي ٠ واثناء المحاكمة يقول احدهم فجأة ان الرجل هو ارثر جولد مان فعلا ، وانه كان معه في معسكرات الاعتقال النازية ٠ وعندما تتوجه هيئة المحكمة الى المتهم ، وتسأله عن الحقيقة يكون قد مات ٠

يبلغ عدد دور العرض السينمائي في اسرائيل ٢٨٧ دارا ، منها ٢٧٠ تعرض الافلام من مقاس ٣٥ مم و ١٧ تعرض الافلام من مقاس ٧٠ مم ٠

وتعرض هذه الدور حوالي ٥٠٠ فيلم اجنبي كل عام ٣٠٪ من الولايات المتحدة و ٣٠٪ من اوروبا و٣٠٪ من مصر و١٠٪ من دول اخرى ٠ وبالطبع فان الافلام المصرية التي تعرض في اسرائيل لا تستورد من مصر ، وانما يتم تهريبها من لبنان والاردن وقبرص وباريس وغيرها من عواصم العالم ٠ وهي تعرض من اجل السكان العرب واليهود الشرقيين في دور عرض خاصة لا تعرض غيرها ٠

وقد صدر اول قانون لتنظيم صناعة السينما في اسرائيل عام ١٩٥٤ ، بعد سبع سنوات كاملة من انشاء الدولة الصهيونية عام ٩٤٨ ٠ ولكن الانتاج السينمائي ظل قاصرا على الافلام التسجيلية اكثر من عشر سنوات حتى عام ١٩٦١ ٠ وبعد حرب ١٩٦٧ نما وتطور تطورا كبيرا بمساعدة شركات هوليود الامبريالية ٠

ولعل اول ما يجب بحثه هنا لماذا تأخر انتاج الافلام الروائية الطويلة في اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٦٠٠ ففي الاجابة على هذا السؤال تكمن طبيعة هذا الانتاج ٠ واسباب نموه وتطوره بعد حرب ١٩٦٧ ٠

ربما يبدو للوهلة الاولى ان السبب هو قيام الافلام الصهيونية خارج اسرائيل بواجبها في تحقيق اهداف الحركة الصهيونية ٠ ولكن الواقع ان هذه الافلام لا تزال تقوم بدورها حتى اليوم ، ومع ذلك ظهرت ضرورة انتاج افلام اسرائيلية ٠

أن السبب الحقيقي وراء تأخر انتاج الافلام الروائية الطويلة في اسرائيل يرجع اساسا الى عدم وجود اساس ثقافي وطني يمكن الانطلاق منه ، وصنع سينما تكون جزءا من الثقافة الوطنية ٠ وذلك بسبب تعدد اللغات والاجناس والثقافات والقوميات التي ينتمي اليها سكان اسرائيل القادمين من مختلف قارات الارض وبلادها ٠

فانتاج الافلام الروائية الطويلة في هذه الحالة سوف يجسد المشكلة الرئيسية التي تعاني منها اسرائيل ، وهي الافتقار الى الشخصية الوطنية اكثر مما سيساهم في حل هذه المشكلة ٠

وهذا ما حدث بالفعل عندما بدأ الانتاج عام ١٩٦١ ٠ فقد بدأ بقصد الاسهام في حل هذه المشكلة ، ونما وتطور بعد حرب ١٩٦٧ في ظل الوهم الكبير بأن الحدود الامنة قد تحققت، ولكن هذا الانتاج في الواقع لم يكن الا تجسيدا لتلك المشكلة ٠

ولقد ادرك بن جوريون ـ مؤسس الدولة الصهيونية ـ ذلك جيدا ووقف ضد الانتاج السينمائي ، كما وقف ضد انشاء التلفزيون طوال الخمسينات ٠ وذلك على الرغم من العروض العديدة المغرية التي تلقاها من الشركات الامريكية ٠ وايد رجال الدين موقف بن جوريون وان اختلفت الاسباب ٠ اذ كان بن جوريون يقول ان امام اسرائيل مهام اخرى اكثر جدية ولا داعي لتجسيد المشاكل السياسية واثارة الاحزاب والمعارضة ٠ وكان رجال الدين يقولون ، ان السينما والتلفزيون ينشران التفاهة ، ويركزان على الامور الدينية ٠

يقول الشاعر الاسرائيلي حاييم بيالق

« حينما بلغني خبر القبض على اول يهودي ضبط متلبسا بالسرقة في تل ابيب هزتني الفرحة حتى العظام ، وصرخت ليباركه الرب ، عشت ورأيت هذا اليوم » ٠

ومن اجل هذا اليوم الذي تصبح فيه اسرائيل بلدا مثل كل البلاد بدأ انتاج الافلام الروائية الطويلة عام ١٩٦١ ، ثم بدأ البث التلفزيوني عام ١٩٦٦ ٠ وتبدو الصلة بين ذلك الهدف وبين الموافقة على انشاء التلفزيون اكثر وضوحا ٠ فقد بدأ التلفزيون عام ١٩٦٦ قاصرا على البرامج التعليمية وتابعا لوزارة التربية والتعليم من اجل مواجهة تحديات التعليم مثل تعدد اللغات والعجز في المدرسين ٠

وكما كان باروخ ديثار هو منتج ومخرج اول فيلم تسجيلي صهيوني بعد انشاء اسرائيل ، وهو الفيلم الامريكي « الرواد » ، كان هو ايضا منتج ومخرج اول فيلم اسرائيلي روائي طويل عام ١٩٦١ بعد ان هاجر الى اسرائيل وهو فيلم « كانوا عشرة » الذي قامت شركة فوكس بتوزيعه في العالم ٠

وظل عدد الافلام الروائية الطويلة لا يزيد عن فيلم واحد او فيلمين حتى حرب ١٩٦٧ ٠ وبعدها قفز الى خمسة افلام ، حتى صار متوسط الانتاج في النصف الاول من السبعينات خمسة عشر فيلما ٠ وفي نفس الوقت انتقل التلفزيون من وزارة التربية والتعليم الى وزارة الاعلام عام ١٩٦٨ ، ولم يعد قاصرا على البرامج التعليمية ٠ ووصلت نسبة الانتاج المحلي فيه الى ٥٠٪ ٠

وقد ادى وجود التلفزيون رغم اقتصاره على قناة واحدة بالابيض والاسود من الساعة الخامسة والنصف مساء الى الحادية عشر والنصف تتخللها برامج بالعربية لمدة ساعتين من السادسة الى الثامنة ٠ الى هبوط عدد رواد السينما بنسب تتراوح بين ٣٥٪ و ٤٠٪ ٠ فقد هبط عدد التذاكر المباعة من ٥٠ مليون عام ١٩٦٨ الى ٤٠ مليون عام ١٩٦٩ ثم الى ٣٥ مليون عام ١٩٧٠ ٠

ولمواجهة ذلك تقرر الا تزيد ساعات عرض الافلام الروائية الطويلة عن ٦ ساعات في الاسبوع من مجموع ٢٨ ساعة ، وبعد الثامنة مساء ٠

ويقوم التلفزيون الاسرائيلي بالتقاط العديد من البرامج من التلفزيونات العربية المجاورة لعرضها في ساعات الارسال العربية من اجل السكان العرب ٠ وليس هذا بالغريب على من يقومون بتهريب الافلام المصرية ، وعرضها في دور ـ عرض الافلام العربية ٠

كانت اولى خطوات الدولة الصهيونية لتنمية الانتاج السينمائي بعد حرب ١٩٦٧ انشاء المؤسسة المركزية الاسرائيلية للسينما برأس مال قدره ٦ مليون ليرة اسرائيلية وقد تحدد لهذه المؤسسة هدفان ، اولهما منح القروض لشركات الانتاج والتوزيع ، والثاني رد ضريبة الملاهي الى شركات الانتاج وقدرها ٣٢٪ من سعر التذكرة ٠ وفي نفس الوقت تم دعم قسم الانتاج في وزارة الاعلام وهو القسم الذي يتولى انتاج الافلام التسجيلية والقصيرة ٠

ومن اجل تشجيع الانتاج المشترك ، وتشجيع تصوير الافلام الاجنبية في اسرائيل صدر قانون خاص برد ضريبة الملاهي للافلام المشتركة والافلام المصورة في اسرائيل عند عرضها في اسرائيل على الا تحول ايرادات الفيلم الى الخارج ، ويرد ١٥٪ من الاموال المحولة في الداخل ، ويعفي الالات المستوردة مؤقتا من الجمارك ، ويعفي الشركات التي يؤسسها الاجانب من الضرائب ويعاملهم معاملة الخبراء والاجانب ، ويؤمن على العاملين ضد الاخطار بما في ذلك خطر الحرب ، وذلك مقابل الا يقل عدد العاملين في الفيلم من السينمائيين الاسرائيليين عن ٢٥٪ ٠

واهداف الانتاج المشترك وتصوير الافلام الاجنبية كثيرة ، اهمها الدعاية السياسية ، والدعاية السياحية ، وجلب العملات الصعبة وفتح الاسواق للافلام الاسرائيلية ، ثم دعم الخبرات المحلية بالاحتكاك مع خبرات العالم المختلفة ٠

والى جانب المؤسسة المركزية ، وقسم الانتاج في وزارة الاعلام ، هناك قسم السينما في

معهد التصوير ، ومركز الفيلم الاسرائيلي في وزارة التجارة والصناعة ، ويتبعه مكتب صناعة السينما الاسرائيلية في لندن ومكتب صناعة السينما الاسرائيلية في لوس انجلوس.

ويتولى الرقابة على الافلام في اسرائيل المجلس الاعلى للرقابة المكون من ٥٠٪ من رجال الحزب او الاحزاب الحاكمة و٢٥٪ من رجال الدين و٢٥٪ من رجال السينما والمسرح والثقافة بوجه عام .

هذا عن المؤسسات الحكومية، اما المؤسسات الشعبية فهي اتحاد المنتجين ويرأسه افرايم كيشون ، واتحاد المخرجين ويرأسه دان ووالمان واتحاد الممثلين ، واتحاد اصحاب دور العرض، واتحاد الموزعين ، واتحاد عمال السينما والتلفزيون ، واتحاد كتاب السيناريو ، واتحاد نقاد السينما ، واغلب هذه الاتحادات تكون في السبعينات .

وقد انشأ اتحاد نقاد السينما الاسرائيليين عام ٩٧٢ ، بعد ان تقدمت جمعية نقاد السينما المصريين بطلب عضوية الاتحاد الدولي الفيبريسي اذ قدمت الجمعية المصرية الطلب في يونيو ليعرض على الجمعية العمومية في اكتوبر . وكان اول طلب يتقدم به اتحاد عربي لنقاد السينما . وهنا سارع اصدقاء اسرائيل الى ابلاغ تل ابيب حتى يتم انشاء اتحاد اسرائيلي ، ويتقدم بطلب يعرض في نفس الوقت مع الطلب المصري ، ويتم الموافقة على كليهما بالاجماع تجنبا للمشاكل وكان هذا ما تم بالفعل .

ولا يوجد في اسرائيل ارشيف يتبع الدولة ، ولكن مركز الفيلم الاسرائيلي يحتفظ بنسخ من كل الافلام الاسرائيلية الروائية الطويلة كما ان هناك شركات ومنظمات لها ارشيفها الخاص هي ارشيف الفيلم الاسرائيلي في حيفا وتتبعه قاعة عرض ، وارشيف الفيلم اليهودي في الجامعة العبرية بالقدس ، ويملك افلام قليلة ، ولكنه اصدر دليلا كاملا عن ما يطلق عليه الفيلم اليهودي ، وارشيف المنظمة الصهيونية الدولية ، وارشيف باروخ اجداتي وارشيف كارمل فيلمز وكلاهما يملك افلام العشرينات والثلاثينات ، ثم اراشيف اللقطات الوثائقية في شركات بيركي باث وفيلم سيرفيس وستديوهات اسرائيل .

ويقام في اسرائيل سنويا مهرجان تل ابيب الدولي لافلام الهواة ، غير انه يعتبر من المهرجانات الفاشلة .

وتشترك اسرائيل في مهرجانات السينما الدولية في الغرب ، ولكنها لم تقبل في اي من مهرجانات الدول الاشتراكية ، او العالم الثالث . وقد كانت المرة الاولى التي اشتركت فيها اسرائيل في مهرجان دولي للسينما في مهرجان كان الفرنسي عام ١٩٦٧ قبل ايام من حرب يونيو . وكان اشتراكها بفيلم « ثلاثة ايام وطفل » اخراج يوري زوهار . ويومها اتيح لي حضور المهرجان وشاهدت كيف تحول المؤتمر الصحفي للوفد الاسرائيلي الى مظاهرة سياسية لعب فيها الطفل الذي مثل في الفيلم دورا كبيرا ، كما لعب الممثل الاميركي جيري لويس دورا كبيرا بحضوره الى المهرجان وقت انعقاد المؤتمر ودخوله القاعة ومعه مئات من الصحفيين والمصورين .

وبالاضافة الى المظاهرة السياسية التي سخر فيها جيري لويس من العرب عندما سأله احدهم عن رأيه في منع افلامه في الدول العربية ، وقال « ان من الافضل لهم مشاهدة افلامي بدل من الدخول في حرب خاسرة » ، وصلت المهزلة ذروتها عندما فاز ممثل الفيلم الاول اودد كوتلر بجائزة احسن ممثل متفوقا على ديرك بوجارد مثلا في « حادث » جوزيف لوزي ودافيد هيمنجر في « انفجار » انتونيوني وغيرهما .

والى جانب مهرجانات اوروبا الغربية والولايات المتحدة حيث تشترك اسرائيل بافلامها ، وقفت الاكاديمية الامريكية للعلوم والفنون السينمائية مع الافلام الاسرائيلية في مسابقاتها المعروفة باسم الاوسكار منذ عام ٩٦٦ ، عندما رشحت فيلم « صالح شباتي » اخراج افرايم كيشون لجائزة احسن فيلم اجنبي ، كما رشحت الممثل حاييم توبول لجائزة احسن ممثل عام ١٩٧٢ عن دوره في الفيلم الامريكي « عازف فوق السطح » اخراج نورمان جويسون .

وتعتبر امكانات السينما الاسرائيلية امكانات كبيرة بالنسبة لصناعة سينما ناشئة . فهناك معملان للابيض والاسود والالوان ٣٥مم ، ومعمل للابيض والاسود ١٦مم، ومركزان للصوت ، وست صالات لتسجيل الصوت .

ويبلغ عدد شركات السينما التي تمتلك اجهزة ومعدات ١٤ شركة منها ثلاث شركات تنتج الافلام الطويلة والقصيرة هي استوديوهات اسرائيل ، وايسرا فيلم ، ورونبي فيلم. وثلاث شركات تنتج الافلام القصيرة هي: كابيتال ورول ودرو . وثماني شركات تؤجر معداتها واجهزتها فقط هي بيركي بات (خدمات) وفيلك سيرفيس (خدمات) وبينز وسواير (تصوير) وموتران (تصوير) وكولينور (صوت) وداني شيك (مونتاج) وكول اور (تحريك) ثم شركة جاكوب نيومان (مؤثرات خاصة) .

وفي اكتوبر عام ١٩٧٢ تم افتتاح مدينة ساركو لافلام الويسترن (رعاة البقر الامريكيين) التابعة لاستديوهات اسرائيل ، والتي صممها فرناندو كاريري وهاري اربور الامريكيان . وكان فيلم الافتتاح الفيلم البريطاني « بيللي » اخراج تيد كوتشين وتمثيل جريجوري بيك .

اسمير فريد

[٢]

السينما الفلسطينية والانفصام

بينما كان المهرجان الدولي الثاني لافلام وبرامج فلسطين ينعقد في بغداد (٢٠ - ٢٥ اذار) كانت بيروت تحت القصف العشوائي بلا خبز . بعض المراقبين ابدوا دهشتهم حينما رأوا بعض اعضاء الوفدين السينمائيين الفلسطيني واللبناني وهم يملأون حقائب ملابسهم بالخبز من بغداد بعد انتهاء المؤتمر. وقال احد العراقيين : كيف استطعتم يا اخوان ان تمضوا اسبوعا من التفرج على الافلام السينمائية بينما عائلاتكم تعيش في الرعب بلا خبز . وقال احد اللبنانيين : « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » . وقال احد الفلسطينيين : « السينما الفلسطينية التي نريدها هي ضرورية ضرورة الخبز » .

ربما ان المهرجان قد كشف عن هذه الحقيقة . فالانسان المناضل لا يحتاج الى خبز ورصاص فحسب بل انه يحتاج ايضا الى فكر وشعر ورسم وسينما ... وهو في حاجة الى غناء وموسيقى تحمله عبر هذا الدرب الطويل المؤلم بفرح وامل من واقع لا يحتمل الى حياة حرة كريمة . والسينما هي المرآة يرى على صفحتها نفسه ويراه الآخرون ويتعاطفون معه . وهي التي لا تصور له الواقع فحسب وانما هي تعكس له الرؤيا والامل .

في بداية المهرجان الذي انعقد في قصر الشعب في بغداد لفت السيد علي غنام ،عضو القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي في العراق ، انتباه الحضور الى ضعف ثقة الناس في الاعلام عموما والاعلام الرسمي على وجه الخصوص . واكد على الحاجة الى ان تكون المرآة السينمائية قريبة من الحقيقة . وقد وضع السيد غنام اصبعه على عصب الموضوع حين قال ان ثمة انفصاما ما بين الكلمة ومعناها وما بين القول والفعل ولا بد

من اعتماد الحقيقة كعلاج لهذا المرض ،قول الحقيقة والبحث عنها وابرازها ، لانه مهما تعددت وسائل الاعلام وتنوعت ومهما كان لها من طرق في التأثير فان الحقيقة تبقى اقوى من كل شيء ويبقى ان ما يخرج عادة من القلب يدخل في القلب واما ما يخرج من الافواه فلا يتجاوز الاذان ٠

وقد اكد المخرج الايطالي روسيليني ،الذي اعطى المهرجان اسمه اللامع بحضوره حفل الافتتاح ، اكد على الحقيقة بقوله « ان الحديث عن الحقيقة هو حديث عن القضية الفلسطينية » ٠ وقال : « لقد التقيت باناس شديدي الذكاء والحماس » ٠ وفي مؤتمر صحفي قبل مغادرته ، دعا **روسيليني السينمائيين** العرب الى اعتماد الفيلم الروائي بالاضافة الى الفيلم الوثائقي في الحديث عن القضية الفلسطينية ٠

كان المهرجان السينمائي بمثابة استعراض لصورة السينما الفلسطينية واوضاعها بما فيها من ايجابيات وسلبيات ٠ وكان فرصة جيدة لامعان النظر في الطريقة التي تعرض بها القضية الفلسطينية سينمائيا على الجماهير العربية والرأي العام العالمي ومدى وصولها وتأثيرها في هذه الجماهير ٠

ودعي ممثلو الاقطار والمؤسسات السينمائية للظهور على المسرح بين تصفيق الحاضرين وباقات الزهور ٠ فكان روسيليني من ايطاليا وفوزس من المانيا الاتحادية وجينوني من **الارجنتين وانا كريستينا نافارو من اسبانيا** والبروفسور بروسيل من تشيكوسلوفاكيا وفيست من الدانمارك وروبرتشيك من الاتحاد السوفياتي وديمان من تشيلي ومارتنس من بلجيكا وايبس من كوبا واوتاني من اليابان ، هذا بالاضافة الى ممثلين لكافة الاقطار العربية تقريبا وحركات التحرر وفلسطين ٠

ممثلو اكثر من اربعين قطرا ومؤسسة اشتركوا في المهرجان ، واكثر من ضعف هذا العدد من **الافلام السينمائية القصيرة** والمتوسطة والطويلة والبرامج التلفزيونية ٠ وتحت شعار « تحرير فلسطين ركيزة للسلام العالمي » كان السينمائيون على مدى ستة ايام يستيقظون في الصباح ويذهبون الى قاعة العرض ولا يخرجون منها الا للغداء وبعض الراحة ليعودوا ثانية بعد الظهر لمشاهدة البرامج التلفزيونية ٠ وبينما تغطي الصحافة العراقية في الصباح اخبار المهرجان يتناوب التلفزيون المهمة في المساء ٠

السينما الفلسطينية من خلال ما شاهدناه في المهرجان هي في وضع لا تحسد عليه ٠ ولكنه وضع يحمل تباشير سينما جديدة قوية وفاعلة عربيا وعالميا ٠

واول ما يمكن ملاحظته في هذه السينما هو الانفصام ٠٠٠ الانفصام الذي تحدث عنه السيد غنام بين الكلمة ومعناها ٠ بل واكثر من ذلك : الانفصام ما بين الكلمة والصورة وبين الموضوع ومعالجته وبين اسم الفيلم ومحتواه وما بين الكاميرا والمصور وما بين جودة الفيلم اذا كان جيدا وبين الوصول الى جمهوره ٠ ثم بدا في لحظة من اللحظات ان ثمة انفصاما بين المهرجان ذاته والغرض منه لولا ان البيان الختامي قد انقذ ما يمكن انقاذه ٠

امثلة بسيطة نسوقها من افلام المهرجان على سبيل المثال وليس الحصر ٠ **فيلم « على** طريق فلسطين » الذي قدم للمهرجان كان هذا الفيلم في رأي الكثيرين من الحضور مثلا حيا على الانفصام ٠ فالهوة كبيرة اولا ما بين الاسم « البطولي » او الدراماتيكي والموضوع الذي هو عن تعليم الفلسطينيين في الكويت اللهم الا اذا قصد المخرج ان موضوع الفيلم او الفيلم ذاته هو ايضا من الاشياء الكثيرة التي تحدث « على طريق فلسطين »٠ وبينما عرضت معظم الافلام في المهرجان الوضع البائس للفلسطينيين وتعليمهم في المخيمات بما في ذلك هذا الفيلم ذاته ، اذا بنا نرى الطلبة الفلسطينيون في الكويت على النقيض من ذلك وكأنهم يعيشون في جنان النعيم ٠ فهم يظهرون في صحة جيدة وفي فصول منتظمة ومدارس راقية وابنية فخمة يمارسون الموسيقى والرياضة والغناء الى جانب تلقي العلم ٠ والفيلم لم يقصد ان يقول

ذلك . فالتعليق بعيد عن الصورة كل البعد بل هو مناقض لها . اذ انه يتحدث عن صعوبة تعليم ابناء الفلسطينيين في الكويت من اضطرارهم الى الذهاب الى المدارس في المساء بعد :خلائها من الطلبة الكويتيين الى حاجة الفلسطينيين الى الامكانيات المادية للانفاق على الاساتذة والمواصلات وغير ذلك . والمشكلة الاساسية لم تظهر في الفيلم بل كاد الفيلم ان يخدم الغرض المعاكس فبدلا من ان يدين التمييز في معاملة الطلبة الفلسطينيين في الكويت والمشكلات النفسية والقومية الناشئة عن ذلك بالاضافة الى المشاكل المادية او يعرض على الاقل بعمق هذه المشاكل فان سطحية الفيلم كادت ان تخدم الغرض المعاكس .

فيلم « البيت » اضاع الهدف بما لا يقل عن فيلم « على طريق فلسطين » ان لم نقل اكثر . الفيلم مأخوذ عن قصة زكريا تامر المنشورة في كتب الاطفال لدار الفتى العربي، وهي تتحدث عن ان كل مخلوق بما في ذلك الحيوانات له بيت . ويكاد البيت ان يصبح حلقة داروين المفقودة التي تربط ما بين الحيوان والانسان مع تعريف ان البيت هو المكان الذي يشعر فيه الانسان بالحرية والسعادة والاطمئنان . والمسكن ليس بيتا بدون هذا المعنى .

المعالجة السينمائية التي اعتمدها فيلم « البيت » اضاعت الحلقة المفقودة والشعرة الرفيعة التي تفرق ما بين الحيوان والانسان وان كان كل منهما في حاجة ماسة الى بيت . فهو يعرض بالشكل التالي : طفلة تبني بيتا صغيرا فتقع كرة قدم عليه وتهدمه فتبكي الطفلة . وتسألها معلمتها عن سبب بكائها وتتفهم السبب لهدم البيت . وتبدأ بالحديث عن الحيوانات وكيف انها كلها لها بيوت : الفأر والدجاجة والقط والارنب والسمكة والعصفور والافعى . « حتى الافعى ، هل تصدقين ان لها بيتا » . وبعد هذا العرض من سينما والت دزني عن الحيوانات وبيوتها تسأل المعلمة قائلة : « هناك مخلوق وحيد ليس له بيت . هل تعرفون ما هو ؟ » ويسود صمت وتحفز ... الجواب : الفلسطيني .

المعالجة السينمائية التي اضاعت الشعرة الرفيعة ومفهوم البيت وحولت الفيلم الى احجية بدلا من تعميق مفهوم البيت ثم هذا الانتقال المباشر في المونتاج من الحيوان الى الفلسطيني جعلت الفلسطيني بالنسبة لعقول الاطفال - بدون قصد طبعا - نوعا من المخلوقات الغريبة !

الحقيقة التي برزت في العديد من الافلام السينمائية العربية عن القضية الفلسطينية هو ضعف ما يسمى sophistication ' ي الوعي الاعمق فكريا وسياسيا وسينمائيا او المهارة المثقفة . ولتبيان ما نعنيه بذلك يمكن الاستشهاد بالفيلم الياباني « وطني فلسطين » للمخرج اوتاني الذي عرض القضية بشكل مباشر في لقاء مع « ابو عمار » مدعوم بالفصول السينمائية التي تشرح الخلفية والابعاد . ففي هذا الفيلم خفت حدة المباشرة بالاستعمال المناسب للموسيقى والاناشيد الحماسية التي كانت تظهر بشكل مخفف لا على صور المقاتلين وانما على صور سكان المخيمات . اما المقاتلون فكانت حركاتهم لا تحتاج الى موسيقى بل احيانا الى صمت .

خطورة المبالغة التي يقع فيها السينمائيون العرب لا تأتي احيانا من التعليق المباشر الصاخب فقط وانما من تجميع مبالغات عديدة في بؤرة واحدة بحيث يصبح الفدائي الفلسطيني اما شيئا اكبر من الانسان او يصبح انسان المخيم شيئا اصغر من الانسان . وقد اجمع الكثيرون في مهرجان السينما على ان الفيلم الدانماركي « الشعب المضطهد هو دائما على حق » هو من احسن الافلام التي عرضت في المهرجان لسبب بسيط هو عدم وجود الانفصام فيه ولانه يروي القصة بموضوعية دون مبالغات ويعرض حياة الفلسطينيين كما هي بافراحها واتراحها فهو على ذلك « يؤنسن » الانسان الفلسطيني فلا يبالغ فيه صعودا ولا هبوطا .

لا يمكن ان يكون هذا الفيلم من الافلام العظيمة . والذين قاموا بصنعه كانوا

متواضعين في هدفهم وهو توفير فيلم موضوعي في المكتبة الثقافية الدانماركية بحيث يستطيع طلبة المدارس استعارته ورؤيته ورؤية القضية على حقيقتها دون لف او دوران ٠

هذا الفيلم الذي حصل على افضل جوائز المهرجان ، مع ان الجائزة الذهبية الاولى قد حجبت ، انما يهدف الى « اعطاء تفسير اساسي عن نمو حركة المقاومة الفلسطينية بالنسبة الى الاستعمار الصهيوني » ٠

الفيلم طوله خمس واربعون دقيقة ويتألف من ثلاثة عشر فصلا نصفها في لبنان خريف عام ١٩٧٤ ٠ وهو يلتقي بالفلسطينيين في مخيماتهم ويتابع طريقة تفكيرهم الثورية كما تبدو في فصول التدريس وعيادات الصحة كما يعرض التعبئة السياسية للمرأة الفلسطينية ٠ ونحن نرى ونسمع ام سعد ، التي اشتهرت في قصص المرحوم غسان كنفاني القصيرة ، ونطلع على رؤيتها هي وجاراتها للاحداث منذ عام ١٩٤٨ ٠ ثم نرى ليلى خالد وهي تشرح اهداف تمكين المرأة الفلسطينية من الارتقاء بقدرتها الاقتصادية والسياسية ٠

وفي فصل اخر يظهر القائد العسكري ابو موسى وهو يحلل دور النظام الاردني في مذابح ايلول في الاردن ٠ وفي الختام تواجه الفدائيين وهم يشرحون مشاعرهم واسباب انخراطهم في الكفاح المسلح ٠

اما الجزء الاخير من الفيلم فهو بالابيض والاسود وفيه بعض اللقطات بالالوان وهو تاريخي تحليلي يركز على انه لا بد للاضطهاد الصهيوني الاستعماري من ان يؤدي الى خلق حركة ثورية في المقابل كردة فعل حتمية ٠ كما يوضح تأثير الثورة الفلسطينية على الانظمة الرجعية العربية واعتماد هذه الانظمة على مصادر السلاح الغربية والدعم السياسي الغربي ٠ وفي الفصل الاخير يبرز الفيلم تزايد عدد الاسرائيليين الذين يستنكرون التمييز العنصري كما تمارسه الدونة الصهيونية في فلسطين كما يوضح كيف العصابات الثورية المسلحة تتصاعد في قوتها لتصبح اقوى من الجيوش التقليدية التي تعتمد على الطائرة والدبابة ٠

هذا الفيلم متاح للرؤية في مدارس وجامعات الدانمارك وهو جزء من المكتبة الثقافية الدانماركية ٠ وكان يجب ان يكون مثل هذا الفيلم وباعداد اكبر متاحا للمكتبة الثقافية العربية في المدارس والجامعات ٠

« اطفالنا يرفضون » من انتاج وحدة الانتاج التلفزيوني في العراق كان من اقوى الافلام العربية التي عرضت في المهرجان لقربه الشديد من الواقع الفلسطيني في لبنان ٠ وفيه تبدو احداث لبنان الاخيرة على حقيقتها فيختلط التمثيل بالواقع حتى يصبح التمييز بينهما صعبا للغاية ٠ وقد بلغ الطفل الممثل في الفيلم حد الروعة في تمثيله الذي يلد تمثيل ٠ انه يشتغل ماسح احذية ويذهب الى المدرسة وفي نفس الوقت يناضل سياسيا بالملصقات ويتلقى مع اهله وجيرانه ضربات الدفعية ٠ ومع ذلك فعليه ان يحضر فصول المدرسة في مواعيدها ٠ وهو دائما يتأخر عن هذه المواعيد٠ والاستاذ لا يستطيع ان يفهم هذا التأخير خصوصا ونحن نراه باستمرار يلقي درسا عن الكسيك ! الاستاذ يطرد التلميذ من الفصل ويهينه ويطلب اليه ان يحضر اباه الى المدرسة ٠ ومدير المدرسة هو الذي يامر باعادة التلميذ الى الصف لانه كما يبدو يفهم الوضع اكثر من المدرس ٠ كان ينبغي ، في رأي العديدين ، ان يقف الفيلم قبل الفصل الاخير حيث سقط في المبالغة ٠٠ اما فيما قبل ذلك فكان رائعا بمعنى الكلمة ٠

الافلام التي قدمتها المنظمات الفلسطينية كانت شديدة الشبه على وجه العموم من حيث انها « افلام مقاتلة » تعتمد على تصوير الواقع الاخباري تقريبا وترتفع في هذا المجال لتسجيل المواقف السياسية ٠ وهي تصنع بامكانيات محدودة وبالابيض والاسود في معظمها وقد فاز منها « كفرشوبا » لسمير نمر « وبيوتنا الضيقة» لقاسم حول بجوائز فضية ٠كما نالت جريدة فلسطين السينمائية المتوقفة عن الصدور بشهادة تقدير تعبيرا عن الرغبة في استمرارها ٠ وكان القائمون على المهرجان

يفعلون افضل من ذلك لو انهم درسوا كيفية استمرارها في الصدور وما تحتاج اليه من دعم لكي تصدر ٠

اما افلام امين البيني وقيس الزبيدي من سوريا وهي على التوالي « دروس في الحضارة» « ونداء الارض » فهي كانت مثلا على قدر عال مما سميناه بالمهارة المثقفة العربية في استخدام السينما لخدمة هدف سياسي٠ وكذلك فيلم « الاجابة» العراقي الذي يبدأ بسؤال من صحفي اميركي عن الاطفال الفلسطينيين . « اليس من الافضل ان يذهب هؤلاء الى المدارس ولا يتعلمون استعمال السلاح والعنف ٠ » وبعد ان يعرض الفيلم حياة هؤلاء الاطفال على حقيقتها وما جرى لامثالهم في فيتنام ينتهي الفيلم بنفس السؤال الذي هو خير « اجابة » !

فيلم مانفريد فوس الالماني البسيط الى ابعد الحدود والذي هو عبارة عن ارملة الشهيد الفلسطيني « جيفارا » تروي قصة نضالها وتعذيبها على ايدي الاسرائيليين ، كان هذا الفيلم مثلا على الكلمة التي تخرج من القلب فتقع في القلب دونما حاجة الى رتوش او فنون سينمائية ٠ الفيلم طويل نسبيا ومع ذلك فقد شد الجمهور من بدايته الى نهايته ونال جائزة في المهرجان ٠

يبقى اولئك المخرجون الصغار المتطفلون على السينما الفلسطينية والذين يستخدمونها لابراز ما تعلموه من لقطات « بارعة » من سينما هوليوود التي يندى لها جبين المشاهد او اولئك الذين يريدون ان يقفزوا الى السينما الشعرية وهم لم يتعلموا بعد الف باء السينما او السياسة ٠ ربما يكون لامثال هؤلاء مكان في مهرجان للهواة ٠

غير ان ما هو ادهى من هؤلاء وامر هم اولئك المحترفون الذين يقدمون سينما « فارغة » ٠ وقد استرعى انتباه المهرجان الافلام التي اخطأت مكانها في مهرجان للسينما الفلسطينية ، وهي « تحية لمقاتل مصري »٠ « ابطال من مصر » ٠٠ « السويس ٧٣ » « الرجل الذي كان يفكر » « رحلة سلام » « نهاية خط بارليف » و « صائد الدبابات » ٠ كلها افلام لا علاقة لها بالقضية الفلسطينية ٠ والفيلم المصري الوحيد الذي يمس فلسطين او يقترب منها اقترابا طفيفا هو فيلم « لوحات من معرض فلسطين » وهو عبارة عن جولات بارعة للكاميرا في معرض للرسوم التي تتعلق بفلسطين ٠

من الناحية الفنية البحتة فقد نال مصور احد الافلام المصرية جائزة على التصوير ٠ ومن الناحية الفنية البحتة نال فيلم « سويس ٧٣ » قد قدم فكرة جديدة تحول فيها الانفصام الذي نعاني منه الى شيء ايجابي ٠ فبينما الكاميرا تستعرض الخراب الفظيع في مدينة السويس فاننا نسمع اصوات اولئك العمال والصناع واصحاب الدكاكين والبيوت الذين كانوا يعيشون في تلك البيوت والمكاتب والدكاكين قبل التدمير ٠ هذا الانفصام الذي فعلته الحرب اصبح في الفيلم حيلة بارعة لتعميق الشعور بالاسى ٠ فكانما انت تسمع صوت الميت وضحكاته في حياته ولا ترى الا صورته وهو ميت ٠

ومن الناحية السينمائية البحتة ، كنا نود ان نرى في الافلام المصرية قتالا حقيقيا في « صائد الدبابات » الذي لم تره الا وهو يروي كيف دمر كذا دبابة وكان انيقا في اسوأ ما عنده من لباس عسكري نظيف ٠ والمقاتلون الذين رأيناهم في الافلام المصرية كانوا نظيفي الثياب دون غبار عليهم طيلة الفيلم بالرغم من عبورهم سيناء وادائهم لمهمات شاقة ٠ حتى التمثيل لم يقترب من الواقع ٠ والافلام السينمائية المصرية كانت تصلح للتلفزيون الملون كبرامج تعطي فكرة عن خلفيات المقاتلين الاجتماعية لا عن قتالهم ٠ ويقال في مجال التبرير ان الكاميرا السينمائية المصرية كانت بالفعل شبه غائبة كليا عن معركة اكتوبر فلم تسجل معاركها الحقيقية ولا اقترب السينمائي المصري من المقاتل ٠ وللاسف فان السينما المصرية هي كالسياسة المصرية لم تستثمر انتصار اكتوبر كما يجب ٠ ولذلك فلم يبق من المعركة سينمائيا الا اقل القليل ٠

ثمة افلام اخرى نترك الحديث عنها لمناسبة

السؤال الرئيسي الذي يخرج المرء به من المهرجان وهو : لمن ولماذا تعمل الافلام ؟

ينبغي على السينما الفلسطينية ان تظهر حقيقة القضية الفلسطينية للجماهير العربية والفلسطينية وللرأي العام العالمي • وعلى ذلك يمكن الوصول الى مقياس يقاس به الفيلم وهو جودته في معالجة موضوعه ثم قدرته على الوصول الى الهدف الجماهيري اي الى المشاهدين ، والجودة والوصول كلاهما وجهان لعملة واحدة فجودة الفيلم لا تقاس فقط بالمقاييس الفنية السينمائية وانما بعنصر اخر مهم وهو مناسبة الفيلم للمشاهدين المقصودين • وهذا العنصر الاخير يضعه عادة كل سينمائي في اعتباره حين قيامه بعمل الفيلم • فان الطريقة التي يخاطب بها الجمهور الاوروبي او الاميركي هي غير الطريقة التي يخاطب بها الجمهور العربي • صحيح ان ثمة افلاما يمكن ان تخاطب كل الجماهير بنفس اللغة محدثة نفس التأثير ولكن هذه هي القمم في السينما •

□ نأخذ فيلم جوسلين صعب الريبورتاجي الوثائقي « لبنان في دوامة » والذي حاز على جائزة النقاد في المهرجان • لقد احدث هذا الفيلم جدلا عنيفا في المهرجان الى حد ان البعض اخذوا يتساءلون اين تقف المخرجة من احداث لبنان ؟ هل هي مع القوى الوطنية والتقدمية ام هي مع القوى الرجعية الانعزالية ؟ وكان جواب المخرجة كلما جوبهت بهذا السؤال : « الا ترون ؟ ... الا تنظرون ؟ .. الا تفكرون » •

لقد عرض الفيلم اراء كل المتصارعين في الساحة اللبنانية من كمال جنبلاط الى بيار الجميل كما عرض نماذج من الميليشيات واصحابها وطرق تفكيرهم مثلما عرض الوضع الفلسطيني واللبناني • وكان الفيلم كشفا لكل من يريد ان يرى جميع جوانب المشكلة • واستطاع الفيلم ان يبرز ان لبنان هكذا لان طائفة او جماعة سياسية فيه تريد ان يكون لبنان دولة طائفية منغلقة •

لو ان الفيلم اتجه بعد عرض المشكلة الى استخلاص الحل وصولا الى الدولة الديمقراطية العلمانية كحل لا بد منه لكان ربما قضى على استفسارات المستفسرين عن موقف المخرجة • ولكنه حتى بوصوله الى ما وصل اليه من عرض موضوعي بقدر الامكان للمشكلة قد خدم هذا الهدف بطريقة او باخرى • على اي حال فان الفيلم قد انتج بهدف توزيعه على دور التلفزيون الاوروبي والاميركي وهو قد تقيد بمقاييس الموضوعية التي تتطلبها تلك الدور • والهدف الذي يخدمه مثل هذا الفيلم هو انه يقطع الطريق على الموضوعية « الظاهرية » التي تمارسها اجهزة الاعلام الغربية بتحيزها الخفي • لقد قابل هذا الفيلم الموضوعية الاجنبية الزائفة بموضوعية اكثر توازنا وقاوم التحيز الخفي والذكي بتحيز خفي واكثر ذكاء مما قد يمكنه من الوصول الى جماهير المشاهدين الاجانب عبر اجهزة اعلامها • لا غرو ان يفوز هذا الفيلم بجائزة النقاد في المهرجان دون غيرهم •

الفيلم الدانماركي جيد بتواؤم موضوعه مع هدفه الجماهيري وهم تلامذة المدارس والجامعات وهو على ذلك يعتبر من الافلام التعليمية • « ولبنان في دوامة » فيلم جيد لتواؤم موضوعه مع هدفه الجماهيري وهم مشاهدو التلفزيون الاوروبي والفرنسي على وجه الخصوص • وهو يعتبر على ذلك فيلما اعلاميا • والفيلم الياباني « وطني فلسطين » هو ايضا فيلم جيد لتواؤم موضوعه مع هدفه المقصود وهو جمهور التلفزيون الياباني •

وفي المهرجان افلام عديدة يمكن اعتبارها جيدة اذا ما امكن تحديد هدفها الجماهيري : هل هو جمهور السينما ام جمهور التلفزيون ام جمهور النخبة في مهرجان سينمائي ام جمهور صالات السينما الشباب المثقف • «فيلم موتي في سبيل فلسطين » حول اغتيال المناضل محمود الهمشري على يد العصابات الصهيونية واغتيال مناضلين اخرين يعتبر فيلما جيدا لصالات الشباب المثقف •

الالتزام في السينما الفلسطينية يحمل بالضرورة معنى اخر ويتطلب مقاييس اخرى غير مفهوم الالتزام السائد في الاوساط الادبية

في بلادنا • ان طبيعة القضية تفرض التراما عريضا واسعا بالحقيقة • وان هذا الالتزام **بالحقيقة يتسع لمدارس فنية عديدة ولاساليب** كثيرة في ايصال هذه الحقيقة الى الجماهير الواسعة • انه يتسع لاسلوب جوسلين صعب وفيست الدانماركي وفوس الالماني وفرحات العراقي •

يجب ان لا يكون الالتزام ، مجرد الالتزام ، **طبلا فارغا تقرع عليه اصوات الافلام السيئة •** فان احد الافلام التي قدمتها احدى المنظمات كان سيئا الى حد فاضح من حيث هذا الالتزام بالحقيقة • في هذا الفيلم نرى عاملا عربيا الى جانب عامل يهودي في احد المصانع الاسرائيلية عام ١٩٤٨ بينما يقول التعليق ان الرجعية العربية قد عملت مع الرجعية الاسرائيلية ••• وكانت هذه اللقطة يمكن ان تكون اكثر مصداقية لو شرحت ظروف العامل العربي التي وضعته قهرا في خدمة الاقتصاد الاسرائيلي • وفي هذا الفيلم بالذات يظهر الجنود البريطانيون في فلسطين في الوقت الذي يتحدث فيه التعليق عن الجيش الاسرائيلي • ولا يضع المونتاج او التعليق حدودا زمنية فاصلة بين اطفالنا في عام ١٩٤٨ واطفالنا الان في المخيمات • كل ذلك ضمن فيلم على الطريقة الاخبارية • واغلب الظن **ان مخرج الفيلم قد ربط كل هذه اللقطات خلال** يومين ثم « وضع » على اللقطات مقالا « ملتزما » على الطريقة الالتزامية اياها •••

ربما ان سؤال « لمن تعمل الافلام ولماذا تعمل» يحدد نوعية كل فيلم وطبيعته • فهناك افلام فلسطينية اخبارية وافلام اعلامية وتثقيفية **وتعليمية ووثائقية وتدريبية وتعبوية وروائية وتاريخية •••**

لقد كشف مهرجان بغداد السينمائي عن ضرورة وجود جهة سينمائية مركزية للافلام الفلسطينية

اولا : لايجاد ارشيف مركزي سينمائي للقضية الفلسطينية يجمع كل ما صور عن فلسطين سينمائيا منذ بدايات هذا القرن •

وثانيا : لاصدار دليل بالافلام السينمائية المتوافرة عن القضية حالبا والاحتفاظ بنسخ من **كل هذه الافلام لتكون مرجعا حتى لا يقوم** السينمائيون في اقطار مختلفة بعمل افلام تكرر نفس الموضوع •

وثالثا : لوضع خطة استراتيجية السينما الفلسطينية واهدافها الجماهيرية ووسائل الوصول الى تلك الاهداف •

ورابعا : لكي تقدم هذه الجهة التسهيلات اللازمة لمن يريدون ان يعملوا افلاما عن فلسطين تنسجم والخطة الاستراتيجية او لا تخرج عنها •

وخامسا : لكي تكون هناك بالفعل افلام **وثائقية واخرى روائية وثالثة تثقيفية ورابعة** تدريبية الخ •••

ومن الواضح ان منظمة التحرير الفلسطينية تستطيع ان تلعب دورا مركزيا في السينما الفلسطينية بمعنى ان تكون هي الجهة السينمائية المركزية في هذا التوجه • فان هذا وحده هو الذي يضع الامر في اطاره الصحيح ويجعل السينما العربية والسينما العالمية التقدمية سينما مساندة تقوم بادوارها العربية والعالمية المطلوبة •

لقد رسم بيان بغداد السينمائي والتلفزيوني الثاني لاستراتيجية السينمائية والتلفزيونية **للقضية الفلسطينية كما يراها كما يلي :**

فلسطينيا : الالتزام باستراتيجية الثورة الفلسطينية في تحرير كامل التراب الفلسطيني وتكريس حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني على ارضه وبكامل ارادته ورفض الحلول الاستسلامية المطروحة لتسوية القضية الفلسطينية واعتبار الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية الطريق الوحيد لتحقيق هذا الهدف الاستراتيجي •••

عربيا : التوجيه نحو ما يدور في القطر اللبناني الان على اعتباره ساحة تتمركز فوقها طبيعة الصراع الحاد بين قوى التقدم العربية وقوى العمالة والردة والتوجه لتعرية الفاشية الجديدة المرتبطة عضويا بالمخطط الامبريالي في

المنطقة بدءا بالمخططات الاستسلامية ومرورا باتفاقية سيناء ومخططات التقسيم والتآمر على الثورة في عمان وارتريا وضرب القوى التقدمية في لبنان و انتهاء بتصفية حركة المقاومة الفلسطينية باعتبارها الطليعة المناضلة لتحرير كامل التراب الفلسطيني ٠

دوليا : فضح الفكر البرجوازي وطبيعته الاستغلالية ومقاومة اساليب الامبريالية العالمية في القمع والتقتيل الجماعي لضمان مصالحها الخ ٠٠٠

مرة اخرى ان مركزية السينما الفلسطينية يجب ان تواكب مركزية القضية وكلاهما بصورة رئيسية في يد منظمة التحرير ٠ وهذا لا يمنع اي قطر عربي من ان يقوم بالدور الذي يرتئيه لخدمة القضية الفلسطينية ٠

والسؤال هو هل يزداد الانفصام في السينما الفلسطينية ام ان كل هذا ما هو الا في الطريق الى سينما واعدة وفاعلة وقوية ٠

ابراهيم ابو ناب

شـــهريـات

(١) القضية الفلسطينية دولياً

لا شك فإن اهم تطور دولي مؤثر على القضية الفلسطينية في الفترة الاخيرة كان قيام الرئيس السادات بالغاء معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفييتي • وقد أعلـــن الرئيس المصري قرار الالغاء في خطاب القاه في منتصف شهر اذار تميز بهجوم على السلطات السورية من ناحية وبحملة مركزة وواسعة على الاتحاد السوفييتي ، وواضح ان هذا الهجوم علـــى السوفييت كان معدا ليقوم بدور المدخل الـى قرار الالغاء وتبريره • وصف السادات فـــي خطابه السياسة السورية بانها تسعى الـــى خلق المحاور في العالم العربي مما من شأنـــه « تمزيق شمل الامة العربية » ، وشدد على ما اسماه بضرورة احتفاظ العرب بحرية الحركة في كافة الاتجاهات على اعتبار ان علاقات سوريا الوثيقة مع الاتحاد السوفييتـي ومعاهـــدة الصداقة والتعاون اخذتا تشكلان ، في نظـر السادات ، قيودا على حرية التحرك المذكورة • من ناحية ثانية كانت لائحة الاتهامات التي وجهها السادات في خطابه الـى الاتحـــاد السوفييتي طويلة وعنيفة • وفيما يلي اهم النقاط التي ركز عليها السادات في تقديمـه لقرار الغاء معاهدة الصداقـــة والتعـــاون وتبريرها : (١) رفض ما يقال « في العالـم العربي » حول العزلة السياسية التي يعانـي منها النظام المصري مع الزعم على ان نظامه يتحرك في كل الاتجاهات لتحقيق التضامـــن العربي وتكوين رأي عام دولي يشجب الاحتلال الاسرائيلي • وواضح ان السادات يحاول هنا تغطية النتائج السياسية (وغير السياسية) السلبية التي افرزتها اتفاقية سيناء بالنسبة لنظام حكمه • واكد هذه التغطية بقوله ان « مصر تحدت اسرائيل بقضية الســـلام » فصدرت التفكك والتمزق العربيين الى المجتمع الاسرائيلي كما ابعدت الصراع العربـــي الاسرائيلي عن الاستقطاب الدولي ونوعـت مصادر تسليحها وابقت المبادرة بيدها هي • والكلام عن ابعاد الصراع عن الاستقطـــاب الدولي والتنويع بمصادر السلاح وابقاء المبادرة بيد مصر لا يمكن ان يعني الا ان الدعـــم السوفييتي التقليدي للموقف العربي بالسلاح والدبلوماسية لم يعد مرغوبا فيه من جانـب السادات كما يعني ان العلاقات الوثيقة مع الاتحاد السوفييتي كانت تمنع مصر من اخـذ زمام المبادرة • (٢) التأكيد على ان المصلحة القومية تقتضي تجريد اسرائيل من اخطـر سلاح استخدمته ضد العرب وهو الانحيـاز الامريكي الكامل الى الجانب الاسرائيلـي • لذلك لا يمكن اعتبار العداء التقليدي لامريكا موقفا ثابتا بل يجب العمل على تغييره وهذا ما فعلته مصر بالفعل من خلال حرب اكتوبـر ، واعتبر السادات هذا التحول فرصة ثمينـة لا يجوز للعرب اضاعتها •وهنا كرر السادات رأيه المعروف القائل بان ٩٩ بالمئة من اوراق اللعبة الدبلوماسية في الشرق الاوسط هي بيد امريكا شئنا ذلك ام لم نشأ « زعـــل الاتحـــاد السوفييتي منا ام لم يزعل » اذ بعد حرب اكتوبر « غيرت امريكا موقفها المنحاز انحيازا اعمى لاسرائيل وجاءت الينا وليس مـــن مصلحتنا القومية رفض ذلك » • (٣) لخص

السادات سياسة الاتحاد السوفييتي في اعقاب حرب اكتوبر ١٩٧٣ بما يلي : (ب) العمل على خلق محاور في العالم العربي بحيث ترتبط به ارتباطا مباشرا مع كل ما يعنيه هذا من التقسيم الذي يحصل على الصعيد العربي ، (ب) العمل على ربط الدول النامية وحركات التحرر الوطني بالاتحاد السوفييتي ربطا لا يقوم على مصالح الثورة والمشاركة في النضال ضد الامبريالية بل على مصالح الاتحاد السوفييتي بصفته دولة عظمى ، (ج) معارضة التوجه نحو السلام الذي سعت مصر الى تحقيقه ، (د) التشدد في التعامل مع مصر عسكريا واقتصاديا ، (هـ) معارضة سياسة الانفتاح السياسي والاقتصادي التي اخذت تسير عليها مصر ، (و) الفصل بين انجازات الثورة المصرية ونظام الحكم القائم حاليا في البلد بدلا من اعتبار هذا النظام استمرارا شرعيا للثورة المصرية • واستشهد السادات على ذلك بفقرة وردت في خطاب برجنيف في المؤتمر الاخير للحزب الشيوعي السوفييتي حيث اشار الى ان مصر تعرضت لمحاولات هدفها نسف انجازات الثورة السياسية والاجتماعية • (٤) اتهام الاتحاد السوفييتي بالتباكي على جمال عبد الناصر و « حمل قميصه » في حين انهم عاقبوا الزعيم الراحل بمنع شحنات الذخيرة عنه عندما شن حرب الاستنزاف وشحنات الاسلحة الهجومية مما اضطره الى الموافقة على مشروع روجرز • (٥) اتهام الاتحاد السوفييتي بعدم تزويد مصر بما يكفي من السلاح حيث قال السادات « لو ان الاتحاد السوفييتي بعت لي ربع ما راح لليهود في الكوبري الجوي كنت خلصت سيناء من زمان » كما وعاد الى تكرار نغمته المعروفة بأن السوفييت لم يعوضوا خسائر مصر في الاسلحة بعد حرب اكتوبر وانهم ما زالوا مصرين على رفض جدولة الديون على الرغم من الوضع الاقتصادي المتدهور في البلاد • واتهم السوفييت بمنع الهند من تزويد مصر بقطع الغيار التي تحتاج اليها • (٦) اتهام الاتحاد السوفييتي وسوريا بمطالبته وقف اطلاق النار في الايام الاولى لحرب اكتوبر • وجه السادات هذا الاتهام على الرغم من ان وقف اطلاق النار في الايام الاولى من حرب اكتوبر كان لصالح الجانب العربي لانه كان في ذروة انتصاراته • اي ان وقف اطلاق النار في تلك اللحظات ـ على افتراض ان اسرائيل والولايات المتحدة كانتا ستوافقان عليه وهو افتراض غير معقول قطعا ـ كان سيمنع حدوث النكسات التي مني بها الموقف العسكري العربي يومها بعد ان اخذ الهجوم الاسرائيلي المعاكس مداه • (٧) خلص السادات الى ان الاتحاد السوفييتي يضغط على مصر من اجل تركيعها وبما انه يرفض مثل هذا الاذلال لبلاده فانه يقترح على مجلس الشعب الغاء معاهدة الصداقة والتعاون التي كان قد وافق عليها المجلس ذاته في ١٩٧١ •

□ في مجلس الشعب عرض وزير الخارجية المصري اسماعيل فهمي مذكرة حول العلاقات المصرية السوفييتية وتطورها اتهم فيها الطرف السوفييتي بالتدخل في الشؤون الداخلية للشعب المصري بصورة مباشرة وغير مباشرة وهذا يعني انتهاكا لنصوص المعاهدة المطلوب الغاؤها • كما اتهم فهمي الاتحاد السوفييتي بعدم تنفيذ ما نصت عليه المعاهدة من دعم لقدرات مصر الدفاعية مما يعني ان السوفييت يريدون تجريد المعاهدة من كل فاعليتها • وبطبيعة الحال فقد أقر مجلس الشعب اقتراح السادات بالغاء المعاهدة ورافق ذلك الغاء التسهيلات البحرية الممنوحة للسفن الحربية السوفييتية في الموانىء المصرية •

وكما هو متوقع ولد هذا الالغاء ردود فعل دولية ومحلية متعددة اهمها رد الفعل الامريكي الذي رأى في هذا الاجراء وفي خطاب السادات « خطوة اخرى نحو انهاء اعتماد مصر على الاتحاد السوفييتي وتصميمها على الاتجاه نحو الغرب » • وذكر مسؤولون في الخارجية الامريكية ان ما جاء في خطاب السادات حول الاتحاد السوفييتي «سيعطي الحكومة الامريكية قدرة اكبر في محاولاتها اقناع الكونغرس بان مصر صادقة في انهاء اعتمادها على السوفييت • » اما كيسنجر فقد امتدح السادات قائلا بان الرئيس المصري « اضعف علاقاته بالاتحاد السوفييتي او هو أنهاها من

دون ان يطلب منا شيئا بالمقابل » • كما اكد كيسنجر بان حكومة بلاده ما زالت ملتزمة بتقديم المساعدة اللازمة للاطراف المعنية بالصراع في الشرق الاوسط من اجل تحقيق المزيد من التقدم نحو السلام •

في دمشق نددت وسائل الاعلام بخطاب السادات وبالغاء المعاهدة واعتبرت كلامه « مشحونا بالمغالطات والتناقضات » كما اكدت تمسك النظام المصري وارتباطه بالدور الامريكي في المنطقة • رأت المراجع السورية في الغاء المعاهدة اجراء هدفه تأكيد تبعية نظام السادات للولايات المتحدة واستكمالا طبيعيا لاتفاقية سيناء التي تهدف الى تمزيق وحدة الصف العربي والقضاء على تضامنه • واعتبر الناطق الرسمي باسم اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ـ عبد المحسن ابو ميزر ـ الغاء الاتفاقية « خطوة لا تساهم في تدعيم الصداقة والتعاون بين الامة العربية ومنظومة الدول الاشتراكية كما انها لا تخدم مصلحة الامة العربية او القضية الفلسطينية في وقت لا تأل الامبريالية جهدا في مساندة الكيان الصهيوني ضد المصلحة العربية » •

بالنسبة للاتحاد السوفييتي فقد جاء رده على مستوى رفيع من الاتزان وبعد النظر • تقدمت السلطات السوفييتية بمذكرة دبلوماسية الى السلطات المصرية المعنية حملت فيها السلطات المصرية المسؤوليات الخطيرة المترتبة على عملها هذا وعلى سعيها لتعقيد العلاقات السوفييتية ـ المصرية والقضاء على التعاون بين البلدين • واتهمت المذكرة الزعامة المصرية بالانحراف عن مبادىء المعاهدة وبالانجرار وراء الاجراءات المنفردة ، وهي الاجراءات التي « وضعت مصر عمليا على هامش المعركة لتحرير الاراضي المحتلة • » كذلك اكدت المذكرة عزم الاتحاد السوفييتي على مواصلة جهوده في دعم نضال الشعوب العربية ضد الامبريالية والاستعمار ومن اجل تحرير الاراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني • وكما هو معلوم رفض الجانب المصري تسلم المذكرة• اما الاعلام السوفييتي فقد ابرز عدة نقاط تكشف عن الفهم السوفييتي لمعنى الغاء المعاهدة وكانت اهم هذه النقاط : (أ) ان النظام المصري تخلى عن الكفاح ضد الامبريالية والاستعمار وتراجع عن الدور الرئيسي الذي قامت به مصر بعد ثورة ٢٣ يوليو داخل حركات التحرر الوطني ، (ب) ان الصحافة العربية تعتبر الخطوة المصرية بمثابة تواطؤ صريح مع الامبريالية الامريكية والصهيونية والاتجاهات الرجعية ، (ج) ان خطوة السادات احدثت ابتهاجا في تل ابيب التي يسعدها اضعاف الجيش المصري والشقاق الحاصل بين الدول العربية والعزلة المتزايدة التي وقعت فيها مصر ، (هـ) ان وراء خطوة السادات ايضا رغبة في الحصول على مساعدات مالية امريكية بالاضافة الى مساعدات مشابهة من الانظمة العربية الرجعية •واشارت الصحافة السوفييتية بهذا الصدد الى ان الغاء المعاهدة جاء بعد زيارة السادات للمملكة العربية السعودية وحصول مصر على معونة سعودية قدرها ٣٠٠ مليون دولار مما يعني ان الغاء المعاهدة كان احد الشروط المطلوبة لحصول السادات على هذه المساعدات ، (و) ان الغاء المعاهدة يتناقض مع مصالح مصر الوطنية الاساسية بدفعها الى فلك الغرب كما يلحق ضررا بالقضية العربية ولا يخدم الا القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية ، اي القوى المعادية تماما لمصالح الشعوب العربية• يضاف الى ذلك التأكيد على ان التعاون مع الاتحاد السوفييتي هو الذي ابرز ظاهرة معينة مهمة مثل اجتياح خط بارليف على يد جنود وضباط انهوا تدريبهم في الاتحاد السوفييتي مستخدمين دبابات ومعدات سوفييتية والشيء ذاته يقال بالنسبة للطيارين العرب الذين حموا سماء مدنهم وبلادهم في وجه القاذفات الاسرائيلية الامريكية الصنع ، (ز) ان الغاء المعاهدة هو نتيجة منطقية لسياسات السادات واسماعيل فهمي الداعية للتوجه نحو الغرب والى الانفتاح الاقتصادي تحت ستار فكرة التوازن بين الشرق والغرب وهي السياسات نفسها التي تريد جذب رؤوس الاموال الخاصة الى مصر ومنح المستثمرين الغربيين كل الامتيازات التي يريدونها والتخلي عن المكتسبات الاجتماعية

والسياسية التي حققتها الثورة المصرية ٠

نجد التتمة المنطقية لقيام السادات بالغاء معاهدة الصداقة والتعاون في جولته الاوروبية طلبا للمعونات الاقتصادية والعسكرية ٠ شملت جولة السادات كلا من المانيا الغربية وفرنسا وايطاليا ويوغوسلافيا والنمسا ٠ وتركزت محادثاته في هذه البلدان على مراجعة الاوضاع الراهنة في المنطقة العربية ، مشكلات الحوار العربي الاوروبي ، مؤتمر جنيف ومستقبله ، والعلاقات الثنائية بين مصر وكل من هذه البلدان ، هذا بالاضافة الى مسألتي السلاح والمعونات الاقتصادية ٠ وجدير بالذكر هنا أن السادات بعث بوزير حربيته الجمسي الى باريس قبل بدء جولته الاوروبية لاجراء مفاوضات تمهيدية من اجل الحصول على السلاح الفرنسي ٠ وقد صرح الجمسي نفسه عند وصوله الى باريس بانه يرغب في الاطلاع والتعرف على الجيش الفرنسي بصورة افضل والحصول على بيانات دقيقة حول تشكيلات القوات المسلحة الفرنسية وصناعة الاسلحة في البلاد ٠ واعتبر الوزير المصري زيارته ناجحة وايجابية للغاية ٠ كما اعلن وزير الدفاع الفرنسي بانه وضع مع الجمسي برنامجا للتعاون على مدى سنوات عدة ٠ اما الرئيس السادات فقد جعل محطته الاوروبية الاولى المانيا الغربية على اعتبار ان الدولة المذكورة مرشحة للقيام بدور هام في الكونسورتيوم المالي الغربي الذي سيختص بانقاذ الاقتصاد المصري والذي رسمت خطوطه العريضة اثناء زيارة السادات الاخيرة للعربية السعودية ٠ وتشترك في هذا الكونسورتيوم الدول العربية الغنية وايران والولايات المتحدة واليابان بالاضافة الى المانيا الغربية ٠ الا ان الحكومة الالمانية اعلنت مسبقا ان السادات لن يحصل على الكثير منها من باب المساعدات العسكرية او المالية المباشرة ٠ في الواقع صرح ناطق المالي رسمي بأن المانيا ستقدم « بعض » المساعدات الاقتصادية لمصر فقط ولن تزودها باية اسلحة تمشيا مع السياسة الالمانية الداعية الى عدم شحن السلاح الى المناطق التي يسودها التوتر ٠ واعلن السادات من جانبه في مؤتمر صحفي عقده في بون بانه لم يبحث مع المستشار الالماني شميت امكانية حصول مصر على اسلحة المانية كما بين اتفاقه مع المستشار بان التوصل الى السلام الدائم في الشرق الاوسط يجب ان يتم عن طريق المفاوضات ٠ ولم تسفر هذه الزيارة الا عن تقديم مساعدة مالية المانية لمصر قدرها ٣٣٠ مليون مارك (٩٠ مليون دولار) لا اكثر ٠ وجدير بالاشارة ان الحكومة الالمانية استمرت في رفضها الموافقة على افتتاح مكتب لمنظمة التحرير في بون قبل اعتراف المنظمة باسرائيل ٠

في باريس تباحث السادات مع الرئيس الفرنسي للمرة الثالثة في الاشهر الخمسة عشر الماضية وتناولت محادثاتهما الحرب الاهلية في لبنان بالاضافة الى الموضوعات المعروفة المتعلقة بالنزاع في المنطقة وعلى رأسها المساعدات الاقتصادية والعسكرية لمصر ٠ وادلى السادات بعدد من التصريحات في باريس دعا فيها الرئيس فرنجية الى الاستقالة وهاجم سوريا على عجزها في لبنان واكد ان مؤتمر جنيف ما زال الاطار الاكثر ملاءمة لمناقشة التسوية الشاملة لازمة الشرق بحضور جميع الاطراف المعنية بما في ذلك منظمة التحرير ، ومؤكدا بان انعقاد المؤتمر سيكون مستحيلا ما لم يقل كل من السوريين والاردنيين والفلسطينيين كلمتهم الاخيرة بشأن اشتراكهم في المؤتمر ٠ كذلك اتهم الاتحاد السوفييتي بانه كان المسؤول عن انهاء معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين وهاجم حصول ليبيا على اسلحة سوفييتية ٠ يضاف الى ذلك تأكيد السادات قناعته بان فرنسا ستذهب الى ابعد مدى في تقديم المعونات الى مصر على الصعيدين الاقتصادي والعسكري ٠ اما المسؤولون الفرنسيون فقد اعلنوا ان مفاوضات التعاون العسكري الطويل الاجل مع مصر تحرز تقدما مرضيا ٠ وظهرت تكهنات صحفية عديدة عن نوعية الاسلحة التي تستعد فرنسا لبيعها الى مصر وكمياتها الا انه لم تتأكد اية حقائق بعد على هذا الصعيد باستثناء ما هو معروف عن طلب السادات الحصول على دبابات وطائرات فرنسية ٠

في روما لم تقتصر اجتماعات السادات على كبار المسؤولين الحكوميين بل تعدتها لتشمل كبار رجال الصناعة في محاولة لجذب التكنولوجيا الغربية الى مصر ومن اجل تسيير مشاريع التنمية استنادا الى الرأسمال العربي والتكنولوجيا الايطالية والايدي العاملة المصرية على حد قول السادات • وذكرت المصادر الرسمية الايطالية بان المحادثات مع الرئيس السادات جرت في جو من الود والصراحة وتناولت الموقف في الشرق الاوسط وامكانيات التعاون الاقتصادي الثنائي ، كما اشارت الى ان السادات اوضح بان مؤتمر جنيف لن ينعقد قبل انتهاء انتخابات الرئاسة الامريكية •وعلى اثر انتهاء الزيارة صدر بيان مشترك جاء فيه : (أ) ان الجانبين وافقا على الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني الذي يسعى لاقامة دولة مستقلة خاصة به ، (ب) ان السلام العادل في المنطقة يجب ان يرتكز على انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة وعلى حق جميع الدول في المنطقة بالعيش بسلام واحترام سيادة كل منها ووحدتها واستقلالها (ج) ان الحكومة الايطالية وافقت على تقديم قروض مالية لمصر بمبلغ ٤٠ مليون دولار •

لم يبحث السادات في مواضيع التسلح والاعانات الاقتصادية في عاصمة النمسا مع المستشار كرايسكي وقد لخص هدف زيارته بالعمل على اقامة علاقات حسنة مع هذا البلد الاوروبي المحايد ، هذا بالاضافة الى الاطلاع على « الاشتراكية النمساوية » التي عبر السادات مرارا عن اعجابه بها وعن رغبته في تطبيقها في مصر في المستقبل القريب • طبعا بحث السادات موضوع التسلح مع الرئيس تيتو اثناء زيارته لبلغراد اذ اعلنت وزارة الخارجية اليوغسلافية بان الحكومة تدرس طلبا كانت قد تقدمت به مصر للحصول على اسلحة من يوغسلافيا • وعلى اثر انتهاء زيارته ليوغسلافيا صدر بيان مشترك وصف المحادثات بانها «اتسمت بالصراحة والصداقة» ومن المعروف ان كلمة « الصراحة » في البيانات المشتركة تعني عادة وجود خلافات في وجهات النظر • ولم يتطرق البيان الى موضوع تزويد مصر باسلحة يوغسلافية • ويبدو بصورة عامة ان سياسة السادات كما تبينت في جولته الاوروبية وضعت مصر على طريق تزويد جيشها بتشكيلة غير متجانسة من الاسلحة وتوابعها • هذا التشتت في التسليح سيكون النتيجة الحتمية لتوجه السادات نحو كل من فرنسا والمانيا الغربية وبريطانيا وايطاليا حيث سيحصل على بضع عشرات من الطائرات من هذه الدولة وعلى عدد من الدبابات من تلك وعلى بعض المدافع من مكان اخر وهلم جرا •

□ التطور الهام الاخر الذي يلفت الانتباه كان الانعكاس الدولي للانتفاضة الشعبية في الاراضي الفلسطينية الواقعة تحت الاحتلال الاسرائيلي • وكان اهم مظهر لهذا الانعكاس انعقاد مجلس الامن لبحث « الموقف المتوتر في الضفة الغربية ومدينة القدس » واتخاذ الاجراءات العاجلة والفعالة لوقف تدهور الموقف هناك خاصة بعد تفاقم القمع الاسرائيلي للمظاهرات العنيفة الهادفة الى مقاومة الاحتلال الاسرائيلي ، وبالاضافة الى النقاط المذكورة اشارت الدول الداعية لانعقاد مجلس الامن الى الضرر الذي سيلحقه الموقف الحالي في الضفة الغربية باحتمالات التسوية السلمية في المنطقة • كما طالبت باشتراك منظمة التحرير في مناقشات المجلس • من ناحية اخرى قررت اسرائيل تبديل سياستها السابقة الداعية الى مقاطعة الاجتماعات التي تشارك فيها منظمة التحرير مسلحة بهذا الامر الواقع فشارك وفدها في اجتماعات مجلس الامن • كان ابرز ما اظهرته مداولات المجلس الموقف الامريكي كما عبر عنه ويليام سكرانتون الذي بدأ بالاعتراض على مشاركة منظمة التحرير في المناقشات وتصويته ضد دعوتها لحضور جلسات المجلس ثم انتقل الى القاء خطاب انتقد فيه اسرائيل على ضمها للقدس وتأكيده مجددا الموقف الامريكي التقليدي من المدينة المقدسة القائل بعدم جواز تقرير مستقبل القدس من جانب طرف واحد بالاضافة الى توجيه النقد لسياسة

اسرائيل العاملة على توطين اعداد كبيرة من الاسرائيليين في الاراضي المحتلة معتبرا هذا العمل عقبة في وجه نجاح مفاوضات السلام في المنطقة ومخالفا لنصوص معاهدة جنيف • واوضح سكرانتون بان انتقاداته المذكورة لا تعبر عن موقف امريكي جديد بل تشدد على موقف بلاده المعروف كما جرى اعلانه في السابق • وكانت خاتمة الموقف الامريكي استخدام الفيتو لنقض قرار معتدل جدا لا توافق عليه اسرائيل • على الرغم من ذلك اعتبرت اسرائيل خطاب سكرانتون في مجلس الامن خروجا على السياسة الامريكية المعلنة في الشرق الاوسط وهاجمته بعنف وعبرت عن استيائها منه صياغة ومضمونا •

حرصت مجموعة الدول غير المنحازة في المجلس على استخدام عبارات معتدلة جدا في صياغة مشروع القرار ـ بناء على نصيحة اصدقاء امريكا ـ من اجل تجنب الفيتو الامريكي • نص مشروع القرار في صياغته الاخيرة على النقاط التالية : (ا) ابداء القلق العميق لخطورة الوضع الناشيء في الاراضي المحتلة نتيجة استمرار الاحتلال الاسرائيلي (ب) ابداء القلق العميق من الاجراءات التي اتخذتها السلطات الاسرائيلية والتي ادت الى تدهور الوضع هناك بما في ذلك الاجراءات الهادفة الى تغيير معالم الاراضي المحتلة وطابعها الثقافي والسكاني والديني واقامة المستوطنات الاسرائيلية فيها (ج) التأكيد على عدم جواز ضم الاراضي عن طريق الحرب (د) التأكيد على قرارات الجمعية العامة ومجلس الامن السابقة التي طالبت اسرائيل بالغاء جميع الاجراءات المشار اليها والامتناع عن اتخاذ اية خطوات اخرى من شأنها تغيير وضع مدينة القدس وطابع الاراضي العربية المحتلة (هـ) الاشارة الى اصرار اسرائيل على سياستها المذكورة على الرغم من قرارات المنظمة الدولية السابقة (و) التعبير عن الاسف لان اسرائيل لم تضع حدا للاجراءات والسياسات الرامية الى تغيير وضع مدينة القدس ولم تلغ الاجراءات التي نفذتها السابق (ز) مطالبة اسرائيل لحين انهاء احتلالها الامتناع عن اتخاذ اية اجراءات ضد السكان العرب في الاراضي المحتلة (ح) مطالبة اسرائيل باحترام الاماكن المقدسة الواقعة تحت احتلالها ومراعاة حرمة هذه الاماكن والتخلي عن سياسة مصادرة واستملاك اراضي العرب وممتلكاتهم واقامة المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة والتخلي عن جميع الاجراءات والسياسات الاخرى الرامية الى تغيير الوضع القانوني لمدينة القدس (ط) متابعة تطورات الموقف بصورة مستمرة بغية الانعقاد من جديد اذا اقتضت الظروف • وعلى الرغم من ان مشروع القرار نال تأييد كل الاصوات في مجلس الامن فقد ابطلت الولايات المتحدة مفعوله باستعمالها حق النقض • وبرر سكرانتون موقف حكومته بقوله ان القرار في حال تبنيه من جانب مجلس الامن سيشكل عقبة على طريق ايجاد تسوية سلمية في المنطقة خاصة وانه لايعكس الموقف في الاراضي المحتلة على حقيقته لان سلوك اسرائيل بالنسبة للاماكن المقدسة جدير بالثناء على حد قول المندوب الامريكي • ولا شك ان السبب الحقيقي وراء الموقف الامريكي هو الرغبة في منع منظمة التحرير من التسلح بقرار صادر عن مجلس الامن يمكنها استخدامه في صراعها الدبلوماسي ضد الاحتلال الاسرائيلي والكيان الصهيوني •

يجب ان ننظر الى الزيارة الاخيرة التي قام بها الملك حسين الى واشنطن على ضوء ما كان قد تردد حول وجود مبادرة امريكية تهدف الى انهاء حالة الحرب بين الدول العربية واسرائيل • عشية سفره صرح الملك حسين بان الولايات المتحدة تتحمل مسؤولية كبيرة بالنسبة للسلام والاستقرار في منطقتنا وبالنسبة للسلام والامن الدوليين • ومن ناحية اخرى ذكرت المصادر الامريكية ان الموضوع الرئيسي في محادثات الملك حسين مع فورد وكيسنجر هو الضفة الغربية ، طبعا بالاضافة الى المواضيع التقليدية مثل طلب الاسلحة والمساعدات الاقتصادية • في الواقع احيطت محادثات حسين في واشنطن بتكتم شديد ولم يصدر الا بيان مقتضب عن البيت الابيض

صيغ بعبارات تقليدية جدا وبمنتهى التعميم مما لا يفيد شيئا . وربما اشار هذا التكتم الزائد الى وجود علاقة حقيقية بين زيارة حسين والمبادرة الامريكية المذكورة لانهاء حالة الحرب . وجدير بالاشارة ان الملك حسين اجتمع الى عدد من كبار رجال الاعمال والصناعة في الولايات المتحدة حيث دعاهم الى تحمل مسؤولياتهم تجاه تحقيق السلام في الشرق الاوسط لان « السلام ليس ممكنا دون تدخلكم لانكم تمسكون المفتاح » على حد قول الملك .

(٢) المناطق المحتلة

الانتفاضة ثورة مستمرة

يمكن وصف المرحلة الاخيرة من الانتفاضة التي ما زالت تستعر في الضفة الغربية ، بانها مرحلة الثورة المستمرة . ويمكن تأريخ بداية هذه المرحلة مع يوم الصلاة الكبرى في المسجد الاقصى ، يوم الجمعة في ٧٦/٣/١٩ . اذ دعا ائمة المساجد والمنشورات السرية التي وزعت قبل ايام قليلة من ذلك التاريخ ، المواطنين الى التوجه الى المسجد الاقصى للقيام برد عملي على قرارات التهويد والقمع الاحتلالية الاسرائيلية . وبالفعل فقد توجه الالاف من ابناء الشعب الفلسطيني الى باحة المسجد الاقصى وخرجوا بعد اداء الصلاة في شوارع القدس يحملون سعف النخيل ويرفعون ايديهم بشعار منظمة التحرير الفلسطينية راسمين اشارة النصر ويهتفون بالشعارات المعادية للاحتلال . ولم تكن القدس وحدها تتحدى الاحتلال في ذلك اليوم ، بل شاركتها مختلف مدن الضفة الغربية . وفي خلال تلك المظاهرات سقط الطفل الفلسطيني علي حسين البالغ من العمر احد عشر عاما اثر اصابته برصاصة في راسه خلال مظاهرة قامت في قريته ابو ديس القريبة من القدس . وكان الى جانب هذا الطفل قد جرح شخصان وتسعة اخرين في طولكرم والقرى المحيطة .

وفي غمرة المظاهرات المتواصلة هذه ، قامت سلطات الاحتلال باعادة اغلاق صحيفة الشعب متذرعة بنشر الصحيفة موضوعات تحرض المواطنين على التظاهر والاحتجاج . وقد اتخذ هذا القرار بمنع الصدور لمدة ١٤ يوما ابتداء من تاريخ ٧٦/٣/٢٢ . والى جانب ذلك منعت سلطات الاحتلال بشير البرغوثي رئيس تحرير صحيفة الفجر التي تصدر هي الاخرى في القدس من الالتحاق بعمله او مغادرة مدينة رام‌الله التي قصدها في زيارة قصيرة .

ومنذ يوم الصلاة الكبرى ـ المظاهرة الكبرى، بدأت الانتفاضة تتصاعد نوعيا من جهة وتأتي بعض ثماراتها من جهة اخرى . فلم يكن طفل ابو ديس هو الذي سقط وحده منذ ذلك التاريخ . اذ ان حملة القمع المسعورة التي قامت بها سلطات الاحتلال بلغت ذروتها الجنونية الى الحد الذي دفعت برجال الشرطة الى الاجهاز على رجل عربي من سلفيت يبلغ من العمر ٤٠ سنة اثناء التحقيق معه بعد ان اعتقل لاشتراكه في مظاهرة . وهكذا فانه نتيجة لاتساع مدى المظاهرات واشتدادها ، وبالتالي اتساع حملة القمع والارهاب فقد سجل النضال الشعبي في الضفة الغربية سقوط العديد من المناضلين شهداء الحرية والخلاص الوطني .

وهكذا فان حالة الاضراب والاضطراب المنظم الذي شهدته الضفة الغربية على مدى اسابيع

متواصلة ، بدأت من ذلك التاريخ - يوم الصلاة الكبرى - تحدث اصداء قوية على مختلف الاصعدة ، الاسرائيلية منها والعربية والدولية . ففي اسرائيل طالب الجنرال اريك شارون مستشار رئيس الوزراء باتخاذ اجراءات اكثر فاعلية لقمع الانتفاضة وقال ان ما تشهده الضفة الغربية الان يمثل نذير احداث اكثر خطورة . وهدد بتقديم استقالته اذا لم تستعمل السلطات كل امكاناتها لقمع الانتفاضة . وفي تلك الاثناء اخذت الصحف الاسرائيلية تفرد افتتاحياتها للحديث عن الانتفاضة وللتحذير من مخاطرها الى الحد الذي دفع صحيفة اومر لوصف الانتفاضة بانها « اخطر ما حدث خلال السنوات الثماني الماضية » (اومر ٧٦/٣/١٩) ؛ وعلى الصعيد العربي بدأ صوت الضفة الغربية يدوي في كل العواصم العربية من خلال ما نقلته وكالات الانباء ومراسلو شركات التلفزيون الاجنبية من مشاهد البطولة الفلسطينية وما يقابلها من وحشية وفاشية صهيونية . ففي عمان مثلا دعا مكتب رابطة العالم الاسلامي الى جعل يوم الجمعة ذاته يوما للتضامن مع سكان الاراضي المحتلة دعما لانتفاضتهم . كما اصدر مجلس المنظمات والجمعيات الاسلامية في الاردن بيانا مماثلا . الا ان التطور الاكثر اهمية هو قيام حكومتي ليبيا وباكستان بتوجيه رسالة الى رئيس مجلس الامن الدولي طلبتا فيها عقد اجتماع عاجل للمجلس لبحث الموقف المتوتر في الضفة الغربية ومدينة القدس ، وطالبتا باتخاذ اجراءات عاجلة وفعالة لعدم احترام اسرائيل لقرارات الامم المتحدة ، كما طالبتا ايضا باشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في المناقشات . اما في بيروت فقد عقدت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير اجتماعا استغرق ثلاث ساعات « للبحث في تطورات الوضع في الوطن المحتل وانتفاضة الشعب ضد الاحتلال العنصري . وقررت اللجنة توجيه كل الطاقات من اجل دعم الانتفاضة وتحقيق النجاح للاضراب الفلسطيني العام يوم ٣٠ اذار » (وفا ٧٦/٣/٢٣) . اما في الضفة الغربية فان اجد ابرز النتائج المباشرة للانتفاضة باضطرار الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل الى تقديم استقالته من منصبه . فقد اعتبرت وكالات الانباء هذه الخطوة من جانب الجعبري بمثابة دليل على ان التيار المناهض للاحتلال الاسرائيلي في الضفة الغربية والمؤيد للمقاومة الفلسطينية بات الاقوى ، ولم يعد الزعماء الذين تربطهم علاقات معروفة بالسلطات الاسرائيلية كالجعبري قادرين على الوقوف في وجه هذا التيار . وكان الجعبري قد برر استقالته باقدام القوات الاسرائيلية على اقتحام مبنى البلدية وتحطيم اثاثه واعتدائها بالضرب على عدد من الطلاب والموظفين الذين كانوا فيه .

وفي تطور اخر على صعيد الضفة الغربية ، قامت سلطات الاحتلال الاسرائيلي بابعاد مواطنين الى الاراضي اللبنانية يوم ٧٦/٣/٢٨ وهما الدكتور احمد حمزة النتشة والدكتور عبدالعزيز الحاج احمد ، الاول من مدينة الخليل والثاني من مدينة البيرة . وبررت السلطات الاسرائيلية اجراءها هذا باتهام هذين المواطنين الفلسطينيين بالتحريض على المظاهرات والاخلال « بالامن » . ومن الجدير ذكره انه في مؤتمر صحفي عقداه في بيروت يوم ٧٦/٣/٢٩ قال الدكتور النتشة ان الجماهير الفلسطينية تخوض عبر انتفاضتها « ثورة حقيقية ضد الاحتلال الصهيوني العنصري ، وترفضه وتؤكد ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد لجميع الفلسطينيين » . ووصف ابعاده وزميله بانه « اجراء تعسفي ومخالف لابسط قواعد العدالة وللمواثيق الدولية » .

ولا بد من الاشارة الى ملمح هام وذي مغزى كبير في انتفاضة الضفة الغربية ، الا وهو مشاركتها لعرب الجليل في الاضراب الذي نظموه في ٧٦/٣/٣٠ تحت شعار يوم الارض ، احتجاجا على مصادرة اسرائيل لما مساحته ٢٠ الف دونم من الاراضي العربية هناك . فبالاضافة الى اعلان حالة الاضراب في بعض المدن الكبيرة كنابلس ورام الله ، اتسمت التحركات في الضفة الغربية بهذه المناسبة برفع الاعلام الفلسطينية واطلاق الشعارات المؤيدة لمنظمة التحرير . وفي محاولة لتطويق التحرك هذا ، لجأت السلطات الاسرائيلية الى فرض منع

التجول في عدد من مدن الضفة وقراها ، كما منعت التنقل بين مدن الضفة الغربية والمدن الاخرى ، لمنع مشاركة الجماهير الفلسطينية في الجليل غضبتها على اجراءات المصادرة الاسرائيلية ٠

ولم تتوقف الانتفاضة، بل ظلت تتجدد يوميا في كل مدن الضفة الغربية وقراها ٠ متحدية بطش العدو وقمعه ، واجراءات منع التجول والابعادات وغيرها ، مثبتة بذلك كله قدرة الجماهير الفلسطينية على مواصلة العطاء الخصب ، دما وتضحيات وآلاما عظيمة ، وما قافلة الشهداء التي قدمتها الجماهير الفلسطينية في يوم الارض وفي ايام الانتفاضة المتواصلة ، الا برهانا على الطاقات العظيمة التي تختزنها هذه الجماهير لمواصلة النضال بكافة اشكاله ، لدحر الاحتلال ، مقدمة لانتزاع حريتها واستقلالها ٠

الانتخابات البلدية

كما كان مقررا سلفا ، جرت الانتخابات البلدية في الضفة الغربية في الثاني عشر من نيسان (ابريل) الماضي ، حيث تنافس ٥٧٧ مرشحا للاحتلال ٢٠٥ مقاعد تتوزعها ٢٤ مدينة٠

وهذه هي المرة الثانية التي تجري فيها انتخابات للمجالس البلدية في الضفة الغربية تحت ظل الاحتلال ٠ وقد حققت العناصر الوطنية والتقدمية الملتزمة بمنظمة التحرير الفلسطينية فوزا ساحقا في هذه الانتخابات ٠ فبينما سيطرت هذه العناصر سيطرة كاملة على بعض المجالس البلدية ، خاصة في المدن الكبيرة، كالخليل ورام‌الله وطولكرم، استطاعت ان تحوز على اغلبية مقاعد مجالس البلدية الاخرى ، وان توصل بعض مرشحيها الى مجالس كانت تاريخيا بايدي المحافظين والتقليديين من المرتبطين بالنظام الاردني والمتعاونين مع سلطات الاحتلال الاسرائيلي ٠

وبنتيجة هذا الفوز الذي يعتبر حدثا تاريخيا بحد ذاته ، تستطيع منظمة التحرير اعتباره استفتاء جديدا على احقية تمثيلها للشعب الفلسطيني بدون منازع ، وبرهانا على التفاف اوسع الجماهير الفلسطينية حول برنامجها السياسي الذي اقره المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الاخيرة عام ١٩٧٤ ٠

وللتدليل على اهمية هذا الفوز الذي تحقق في هذه الانتخابات ، لا بد من اجراء مقارنة بين الظروف التي اجريت في ظلها وبين الظروف التي كانت سائدة وقت اجراء الانتخابات السابقة في العام ١٩٧٢ ٠

اولا : لقد جرت انتخابات العام ١٩٧٢ في ظل دعوة علنية من قبل كافة الفصائل المنضوية في منظمة التحرير الفلسطينية بمقاطعة تلك الانتخابات والتنديد بمرشحيها واهدافها ٠٠٠ الخ ٠ الامر الذي دفع بالقوى الوطنية ليس الى الاحجام عن ترشيح اعضائها فقط بل الى مقاطعتها ٠ ففازت العناصر التقليدية والرجعية مع بعض الاستثناءات كما حصل في مدينتي رام‌الله والبيرة ٠ غير انه في هذه المرة قررت القوى الوطنية في الضفة الغربية خوض معركة الانتخابات بدعم من منظمة التحرير الفلسطينية ، وذلك للاستفادة من الحصانة النسبية التي توفرها المجالس البلدية لاعضائها ، في معركة النضال المستمرة لطرد المحتلين والظفر بالاستقلال ٠ اذن فان نتائج الانتخابات الاخيرة هذه لا يمكن النظر اليها الا من زاوية اصرار منظمة التحرير على اثبات وجودها الطاغي في الضفة الغربية واحقية تمثيلها للشعب الفلسطيني بدون منازع ٠ومن هذه الزاوية، فانه بقدر ما يحق لمنظمة التحرير الفلسطينية ان تفخر بانتصارها هذا ، فانه يحق للنظام الاردني ان يصاب بخيبة الامل مجددا بعدم قدرته على اثبات ادعائه بتمثيل سكان الضفة الغربية الفلسطينيين ٠

ثانيا : اجريت الانتخابات السابقة عقب سلسلة من الهزائم التي لحقت بالمقاومة الفلسطينية بدءا من ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ واستمرت تحاصر الثورة ماديا وسياسيا حتى حرب اكتوبر ١٩٧٣ ٠ بينما جاءت الانتخابات الاخيرة في ظل انتصار اكتوبر التاريخي وما اعقبه من نهوض وطني فلسطيني عبر عن نفسه في الضفة الغربية من خلال سلسلة

الانتفاضات التي كانت الانتفاضة الاخيرة اهمها واكثرها شمولية • اذن فان نتائج الانتخابات السابقة في العام ١٩٧٢ كانت منسجمة مع المناخ العام الذي اشاعته هزيمة حرب العام ١٩٦٧ وظروف الحصار الذي عاشته الثورة الفلسطينيةبينما جاءت نتائجالانتخابات الاخيرة فوق ارضية انتصار اكتوبر وسلسلة الانتفاضات الجماهيرية التي عاشتها الضفة الغربية خلال السنوات القليلة الماضية •

ثالثا : جاءت هذه الانتخابات في فترة برزت فيها الشخصية الفلسطينية وتكرست في مجموع الانتصارات السياسية التي حققتها منظمة التحرير الفلسطينية مؤخرا • بينما لم تكن الفترة التي جرت فيها انتخاباتالعام ١٩٧٢ تشهد سوى المحاولات المستمرة للاجهاز على الثورة الفلسطينية ومكتسباتها الوطنية• اي انه في العام ١٩٧٢ ، عندما كان يجري حديث عن « الشخصية الفلسطينية » ، فانها لم تكن مكرسة عبر انتصارات مادية وسياسية كما هو الحال في المرحلة الراهنة واللاحقة على حرب اكتوبر• حيث يرافق الحديث عن شخصية فلسطينية في هذه المرحلة ، نضال متواصل لتأكيد استقلاليتها اولا ونزوعها الى الكيانية الخاصة ثانيا • ومن هنا فان الفوز الذي حققته لوائح الجبهة الوطنية الفلسطينية في هذه الانتخابات ليس معزولا عن كل ما سبق ذكره، بل يمكن اعتباره تأكيدا جديدا على استقلال الشخصية الوطنية الفلسطينية هذه ونزوعها الى بناء استقلالها الوطني • فقد قال كريم خلف بعد فوز لائحته الوطنية في مدينة رام‌الله، ان هذه الانتخابات خطوة على طريق الدولة الفلسطينية المستقلة ولكننا سنترك هذا الامر لمنظمة التحرير الفلسطينية التي لها وحدها الحق في التفاوض من اجل ذلك •

رابعا : سبق اجراء الانتخابات هذه طرح مشروع الادارة المحلية من قبل وزير الدفاع الاسرائيلي المسؤول عن المناطق المحتلة امام الحكومة • وليس معنى ذلك ان الانتخابات السابقة لم تجر في ظل احاديث طويلة ومسهبة عن مشاريع تسوية تصفوية تآمرية ، بل على العكس من ذلك • غير ان احاديث التسويات المشبوهة ارتبطت هذه المرة ، قبيل الانتخابات الاخيرة ، بطرح محدد عن مشروع للادارة المحلية جرى الترويج له من قبل الاحتلال وعقده لهذه الغاية جملة من الاجتماعات واللقاءات مع الزعامة التقليدية في المناطق المحتلة • واذا كانت الجماهير الفلسطينية الرازحة تحت الاحتلال قد اعلنت مسبقا رفضها لمثل هذه المشاريع عبر كل وسائل النضال المتاحة وفي طليعتها التظاهر والاضراب والاعتصام ، فان فوز العناصر الوطنية سوف يكون عائقا جديدا وهاما في طريق تنفيذ مشروع الادارة المحلية المؤامرة • وهكذا فانه عن طريق الحفاظ على وطنية المؤسسات البلدية وضع الشعب الفلسطيني عصا غليظة اخرى في دولاب الادارة المحلية • ورأت صحيفة معاريف الاسرائيلية في نتائج هذه الانتخابات ما هو ابعد من ذلك بكثير حيث قالت ان هذه النتائج ستحدد طبيعة العلاقات التي ستقيمها الحكومة العسكرية من الان فصاعدا مع سكان المنطقة التي جرت فيها الانتخابات (معاريف ١٢/٤/ ٧٦) • ولهذا السبب بالذات ناشدت صحيفة الفجر الوطنية التي تصدر في القدس ،صبيحة يوم الانتخابات الناخبين بالاقتراع لصالح المرشحين التقدميين ، وذلك لكي يتاح للشعب الفلسطيني مجددا التعبير عن رفضه لمشروع الادارة المحلية (الفجر ١٢/٤/٧٦) • وصحيح ان سلطات الاحتلال الاسرائيلي كانت تهدف من وراء الانتخابات الى تحرير مشروع الادارة المحلية ، غير ان الاصرار على التصدي لمثل هذا المشروع منقبل القوى الوطنية الفلسطينية عقد مرارة بالغة في حلوق الاسرائيليين الذين لم يأملوا بتاتا بمثل تلك النتائج ، فقر عبرت صحيفة يديعوت احرونوت عن تلك المرارة قائلة ان هذه « الانتخابات فضلا عن انها مؤسفة فاننا صنعناها بايدينا ، لقد اردنا ان نضعف الشيوعيين وننشىء قوة سياسية تقف في وجه منظمة التحرير الفلسطينية ولكننا فشلنا » (يديعوت احرونوت ١٣/٤/٧٦) • وهكذا فقد انقلب السحر على الساحر • فعوضا عن ان تأتي نتائج هذه الانتخابات لتصب في طاحونة مشروع الادارة المحلية جاءت كما وصفها شمعون بيريز بانها « تحول الى الوطنية

واليسار وانها تشكل تحديا لاسرائيل اكثر مما تشكل خطرا عليها » ٠

من ناحية ثانية قال الدكتور يهوشواع بورات في تعليق بثته الاذاعة الاسرائيلية حول نتائج الانتخابات هذه ، انه لم يكن هناك شك في ان « القوائم الوطنية ستحقق انتصارا في جميع المدن ، ولكن الحقيقة انها استطاعت انجاح جميع اعضائها ، وهي حقيقة تشير اولا وقبلكل شيء الى ان الانتخابات كانت سياسية في الاساس ، وذلك كتعبير عن الاحتجاج ، وتضامنا مع منظمة التحرير الفلسطينية » ٠ وذكرت الاذاعة ان الشيوعيين احتلوا المكان الاول بالنسبة لعدد المقاعد في المجالس البلدية، وقالت ان هناك ١٤١ منتخبا جديدا من بين ٢٠٥ اعضاء منهم ٥٠ عضوا من القدامى والباقي وعددهم ١٤ تم انتخابهم بالتزكية ٠ وعلق البروفسور الاسرائيلي على نتائج الانتخابات بقوله « ٠٠٠ لدي انطباع بان الجمهور الاسرائيلي وحتى الذين قرروا اجراء الانتخابات ، لم يتوقعوا ان تكون انجازات القوى الوطنية كبيرة الى هذا الحد ٠ واني اميل الى الاعتقاد بانه لو اعتقد المسؤولون الاسرائيليون بان النتائج ستكون بهذا الشكل لما اجروا الانتخابات ، وهكذا فان المفاجأة في رأيي بان يكون انتصار الشبان اليساريين والوطنيين بهذا الشكل وبهذه الصورة الشاملة»

واضاف « اذا كانت اسرائيل استخدمت في العالم حتى الان شعار ان منظمة التحرير الفلسطينية لا تمثل الشعب الفلسطيني ، لان الشعب الفلسطيني لم يتم استفتاؤه ، فان منظمة التحرير تستطيع ان تقول اليوم ، انه تحت الحكم الاسرائيلي جرى استفتاء للسكان، واظهرت النتيجة تأييدا للمنظمة اكثر من منافسيها » ٠ وقال بورات ايضا : « من الواضح ان الادعاء الاسرائيلي الذي كان قائما حتى اليوم والقائل ان منظمة التحرير لا تمثل الشعب الفلسطيني قد انتهى ، واعتقد باننا بعد هذه الانتخابات اذا قلنا بهذا الادعاء ، سنواجه بسخرية العالم من اقوالنا » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٦/٤/١٤) ٠ وشاركت صحيفة التايمس اللندنية بورات برأيه حين قالت : « بعد هذه النتائج بات على اسرائيل اكثر من اي وقت الاعتراف بانه لا يمكن ابقاء الضفة الغربية جزءا من الدولة اليهودية الى ما لا نهاية ٠٠٠ واذا لم يجد المسؤولون الاسرائيليون طريقة للتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية حول مستقبل الضفة الغربية واستمروا في ترددهم ، فانهم يبدون كأنهم يقلدون اكثر فاكثر مواقف الرئيس الروديسي ايان سميث وسياسته ، وقد يأتي يوم يشاركونه في المصير » (نقلا عن جريدة النهار اللبنانية ٧٦/٤/١٥) ٠

عيسى الشعيبي

رأي :
بعد الانتخابات
ما هو الموقف ؟

جرت في الثاني عشر من شهر نيسان « ابريل » الماضي ، المرحلة الثانية من انتخابات المجالس البلدية والقروية في الضفة الغربية ، وبلغ عدد المرشحين ٥٧٧ تنافسوا على ملء ٢٠٥ مقاعد في ٢٤ مدينة وقرية ٠ وقد جاءت نتائج الانتخابات مغايرة لمعظم التوقعات الاسرائيلية ، ووصفها د. يهوشواع بورات «رأي» العدد ١٠١٩ » بأنها مفاجأة وقال « لو اعتقد المسؤولون بأن النتائج ستكون بهذا الشكل لما اجروا الانتخابات » ٠ والسؤال

الذي يفرض نفسه هنا هو ، هل سيترتب على نتائج الانتخابات هذه تغيير في السياسة الاسرائيلية السابقة ازاء المجالس البلدية والقروية في الضفة الغربية وقطاع غزة ؟ وكذلك ، كيف ستتعامل حركة المقاومة الفلسطينية مع المجالس البلدية والقروية الجديدة ؟ هل تستمر في نهجها السابق ، ام ان النتائج التي اسفرت عنها ، ستفرض تغييرا ما في النهج السابق ، باتجاه بلورة سياسة اكثر وضوحا تستوعب المجالس البلدية في التحرك السياسي والنضالي العام لحركة المقاومة داخل الارض المحتلة ؟

لقد اثارت الانتخابات قبل اجرائها ، الكثير من الجدل في الاوساط الوطنية الفلسطينية سواء داخل الارض المحتلة او خارجها ، وتمحور النقاش حول وجهتي نظر رئيسيتين ، الاولى كانت ترى ان الانتخابات لعبة اسرائيلية ، وتأتي ضمن المخطط الاسرائيلي الهادف الى بلورة او ايجاد قيادات محلية داخل الارض المحتلة ، تشكل على مدى زمني قادم بديلا لمنظمة التحرير الفلسطينية او قوة موازية لها على اقل تقدير ، وبالتالي فقد رأى دعاة وجهة النظر هذه ، ضرورة العمل على مقاطعة الانتخابات وافشالها ان امكن - وذلك لتجنب الدخول في اللعبة الاسرائيلية ومنزلقاتها الخطرة . اما وجهة النظر الثانية ، فقد رأت ان الانتخابات لهذه السنة ، تأتي في ظروف سياسية مغايرة لتلك التي كانت سائدة في العام ١٩٧٢ والتي اوجبت مقاطعة الانتخابات ومناهضة اجرائها . وبالتالي فان الموقف الاكثر صوابا الان هو تشجيع ودعم ترشيح العناصر الوطنية في الداخل ضد القيادات التقليدية التي تربعت على المجالس البلدية اثناء الحكم الاردني وخلال الاحتلال الاسرائيلي . ورأى دعاة وجهة النظر هذه ان طبع المجالس البلدية والقروية بطابع وطني ، هو الذي يمنع العدو الاسرائيلي من ان يهيمن على المجالس البلدية ويوظفها في خدمة مخططه .

ولم تتبن منظمة التحرير الفلسطينية ، اية من وجهتي النظر هاتين رسميا وبشكل معلن بل اتخذت سياسة عملية ، مؤداها عدم الاعلان عن موقف ، مع العمل على دعم وتشجيع العناصر الوطنية في الداخل لخوض الانتخابات ، وعلى ما يبدو ان موقف المنظمة هذا نابع من ادراك قيادة المنظمة لضرورة عدم الزام نفسها بموقف محدد قبل ظهور نتائج الانتخابات ، وذلك حتى تتاح لها حرية الحركة في التعامل مع اية نتائج قد تسفر عنها الانتخابات . اما الان ، وقد ظهرت النتائج ، والتي تؤكد فوز اللوائح الوطنية بنسبة كبيرة ، فانه يصبح من الضروري تحديد رأي السياسات الاكثر صوابية والتي يجب انتهاجها ازاء المجالس البلدية والقروية الجديدة . وقبل الحديث عن هذه السياسة وطبيعتها ، لا بد من الاخذ بعين الاعتبار جملة من الامور فيها :

١) على الرغم من ان الاوساط الاسرائيلية المختلفة فوجئت - الى حد ما - بنتائج الانتخابات ، فان ذلك لا يعني ان السلطات الاسرائيلية المحتلة سترتبد عن سياساتها السابقة في التركيز على المجالس البلدية والقروية باعتبارها اطارا يجب تنميته لتشكيل قيادة محلية لسكان الاراضي المحتلة تبدأ بخطف الوهج من منظمة التحرير الفلسطينية في الداخل اولا ، ثم يجري تكريسها باعتبارها ممثلة او معبرة عن اماني الفلسطينيين داخل الارض المحتلة . وبتقديري انه من الخطأ ان لا نرى في سياسة العدو الاسرائيلي ازاء المجالس البلدية ، الا تلك السياسة التي تربط بين هذه المجالس والمشروع الاسرائيلي في ايجاد ادارة مدنية ذاتية . ان التحرك الاسرائيلي في الارض المحتلة اوسع من هذا الاطار بكثير فمشروع الادارة المدنية الذاتية ، لا يزال مجرد مشروع في ذهن بعض المسؤولين الاسرائيليين ولم يتحول الى سياسة عملية ومقرة رسميا من الحكومة الاسرائيلية ، اضافة الى ان هذا المشروع لا يشكل بنظر العدو الاسرائيلي حلا نهائيا لازمة احتلاله للاراضي المحتلة ، بل هو يشكل مقدمة لحل يستوعب الادارة الذاتية في مشروع حل اردني ، او اردني - فلسطيني . فالازمة الاسرائيلية ازاء المسألة الفلسطينية تتمثل في انه لا يوجد طرف فلسطيني ممكن التفاوض معه في هذه المرحلة ، فالمنظمة طرف غير قابل للتفاوض معه في هذه المرحلة لاعتبارات عديدة

تراها اسرائيل ، والنظام الاردني ، كطرف ، يظل بحاجة الى غطاء فلسطيني . **ان السياسة الاسرائيلية ازاء المسألة الفلسطينية في هذه المرحلة تقوم على اساس بلورة طرف فلسطيني محاور يأتي في مركز الوسط بين النظام الاردني ومنظمة التحرير الفلسطينية** ، ومثل هذا الطرف لا يمكن ان يولد الا من داخل الارض المحتلة ، وعبر اطرتتجاوز اطر تواجد المقاومةالفلسطينية داخل الارض المحتلة من جهة ، وتستوعب التواجد الاردني داخل الارض المحتلة من الجهة الاخرى . ومثل هذه الاطر لا يمكن ان تكون الا المجالس البلدية والقروية . وما يؤكد ذلك ، اصرار السلطات الاسرائيلية على توسيع قاعدة من يحق لهم حق الانتخاب والترشيح للمجالس البلدية، فأدخلت تعديلات على قانون الانتخابات الاردني للمجالس البلدية ، ادت الى توسيع قاعدة الناخبين من ٣٥ الف كما كانت في العام ١٩٧٢ ، الى نحو ٨٨ الف ناخب ، كما سمحت التعديلات للموظفين الحكوميين بترشيحانفسهم للانتخابات دون الاستقالة من وظائفهم قبل شهر من اجراء الانتخابات . وواضح جدا ان توسيع القاعدة الانتخابية دفع بقوى اجتماعية من غير الملاكين الى المشاركة في الانتخابات ، وهي قوى لا شك احدثت تأثيرا في نوعية الذين فازوا في الانتخابات ولا سيما في المدن . لقد بدا ان السلطات الاسرائيلية المحتلة كانت على استعداد لاستيعاب التغييرات المحتملة في نوعية المجالس البلدية ، مقابل ان تعطي لهذه المجالس صفة تمثيلية اوسع لسكان الارض المحتلة ، وبمثل هذه الصفة يمكن لها انتتعامل مع المجالس البلدية ، ليس كمجالس لادارة بعض الخدمات المدنية ، ولكن كمجالس لها صفة من التمثيل السياسي – الى حد ما – .

٢) صحيح ان النتائج التي اسفرت عنها الانتخابات، تؤكد ان تغييرا ليس بسيطا حدث في تركيبة المجالس البلدية والقروية لصالح القوى الوطنية . فمن اصل الـ ٢٠٥ مقعد نجح ١٤٨ وجها جديدا . ومن اصل ٢٢ رئيس بلدية سابق ، فشل عشرة في الحصول على اعلى الاصوات . كذلك فان انسحاب ابرز العناصر التقليدية امثال محمد علي الجعبري ومعزوز المصري وحمدي كنعان من الانتخابات ، يدل على ان هذه العناصر كانت تتوقع الفشل او احتمال الفشل ، وبالتالي انسحبت حتى لا يأتي فشلها بمثابة اعلان صارخ عن موتها السياسي . ان كل هذه الظواهر تؤكد ان تغييرا ليس بسيطا قد حدث . ولكن يجب اخذ هذا التغيير بحجمه ولا نبني عليه آمالا اكبر مما يحتمل . لقد نجحت مجموعة من العناصر الوطنية معروف بعضها بولائه لمنظمة التحرير الفلسطينية وبعضها الآخر له علاقات قوية مع الجبهة الوطنية الفلسطينية ، اضافة الى مجموعة من العناصر ذات الانتماء الوطني ولكن بدون لون سياسي محدد ، ان مجموعة العناصر هذه متركزة في المدن بشكل رئيسي ، ولا سيما في مدن رامالله والخليل ونابلس ، اما القرى فلم تحدث فيها تأثيرات كبيرة ، وان استطاع عدد من العناصر الوطنية التحزيم على القيادات التقليدية والعائلية والفوز بالعضوية . ان هذه التركيبة المختلطة للمجالس البلدية والقروية ، ستعطي للعدو الاسرائيلي وكذلك النظام الاردنيمجالا للمناورة والتأثير على عدد منها وبالتالي ستكون حركة المجالس البلدية والقروية الجديدة ، محدودة سياسيا وضمن سقف محدد ، وهو السقف الذي لا يبعدها عن منظمة التحرير ، وبنفس الوقت لا يجعلها تصطدم معالنظام الاردني .فمجموعة المصالح الاقتصادية التي تربط الضفة الغربية بالضفة الشرقية، تعطي للنظام الاردني امكانية توجيه بعض الضغوطات على هذه المجالس للتأثير على سياستها . وهي ضغوطات لجأ اليها النظام الاردني سابقا للابقاء على قدرة من الحركة له داخل الارض المحتلة .

٣) ونحن نقيم نتائج الانتخابات ، يجب ان لا نغيب عن الذهن كون هذه الانتخابات تمت في وقت كانت/تشتعل فيه كل مدن وقرى فلسطين بانتفاضة عارمة ، وهي انتفاضة تجاوزت بكثير في اشكالها النضالية وشعاراتها السياسية ، قدرة المجالس البلدية الجديدة على استيعابها او الالتقاء معها بشكل مستمر، وبالتالي فان نتائج الانتخابات بقدر ما كانت احدى نتائج الانتفاضة وافرازاتها ، فانها لا يمكن ان تكون سقفا لها ، فالانتفاضة تظل اشمل واكبر ، ولعل هذا السبب ، الذي حدا

بالاخ ابو عمار ، ان يركز على الانتفاضة في رسالته التي وجهها لجماهيرنا داخل الارض المحتلة عشية الاعلان عن نتائج الانتخابات ، وان لا يأتي على ذكر هذه الانتخابات من قريب او بعيد في رسالته .

على ضوء ذلك **ما هو الموقف الذي يجب اتخاذه ازاء المجالس البلدية والقروية الجديدة ؟** على الرغم من ان السلطات الاسرائيلية المحتلة فوجئت بنتائج الانتخابات كما اشار الى ذلك عدد من المعلقين الاسرائيليين ، فان مجمل ما صدر من تصريحات وتعليقات اسرائيلية - حتى الآن - عن النتائج تستهدف الخروج بالموقف الاسرائيلي من دائرة المفاجأة ، الى دائرة استغلال نتائج الانتخابات في ابراز ما يسمى وجه اسرائيل الديموقراطي ، وان اسرائيل على استعداد للتعامل مع عناصر ليبرالية في الوقت الذي ترفض فيه العنف . علقت « الجيروسالم بوست ١٩٧٦/٤/١٦ » على نتائج الانتخابات فقالت « ان العمد الجدد وطنيون متطرفون وهم في الوقت نفسه حاصلون على تعليم عال وواقعيون وعمليون بحيث يمكن التعامل معهم » وحتى الآن لم يبرز من السلطات الاسرائيلية المحتلة ما يشير الى انها ستستغل قانون البلديات الاردني في التدخل للتأثير على نتائج الانتخابات بتعيين رؤساء معينين للمجالس البلدية او بفرض اعضاء جدد على بعض المجالس البلدية . وعلى ما يبدو ان السلطات الاسرائيلية ستحافظ على ادعائها الديموقراطي لعدم التدخل ، ولكن هذا لا يمنع انها قد تلجأ في حالات معينة الى قانون البلديات الاردني اذا وجدت ان الامور تجاوزت الحد الذي رسمته لها . وفي **الاطار السياسي** ، فأن التقدير ان السلطات الاسرائيلية المحتلة ستبقي مجال مناورتها واسعا ، ولن تلزم نفسها قريبا بشكل محدد من **اشكال العلاقة** بينها وبين المجالس البلدية . بانتظار ان تهدأ الحالة في الضفة الغربية ، وبانتظار دراسة مجمل التفاعلات التي تولدت عن نتائج الانتخابات على جميع الاصعدة داخل الارض المحتلة وخارجها .

لقد اكد معظم الفائزون في الانتخابات ، ولا سيما البارزين منهم ، مثل كريم خلف وبسام الشكعة ، اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، وانهم سيحبطون اي محاولة اسرائيلية تستهدف ادخالهم في مفاوضات سياسية ، وانهم سيعترضون على اي جهد اسرائيلي يرمي الى تنمية الاستقلال الذاتي من اجل خلق حل بديل لسيادة منظمة التحرير الفلسطينية . « انظر حديث خلف الى صحيفة الجيروسالم بوست ، ١٩٧٦/٤/١٦ » . وعليه ، فان اي توجه اسرائيلي مباشر للتعامل مع المجالس البلدية الجديدة على اساس سياسي تحت شعارات الاستقلال الذاتي او الادارة المدنية الذاتية ، سيصطدم بمعارضة قوية ، كما اصطدم - الى حد ما - مع المجالس السابقة ، وبالتالي فان الاحتمال الممكن ، هو لجوء السلطات الاسرائيلية المحتلة بعد فترة قصيرة ، الى توسيع نطاق مهمات المجالس البلدية في الاشراف على الخدمات المدنية والبلدية ، مع اعطاء مجال نسبي لعناصر بارزة من هذه المجالس ، في البروز سياسيا داخل الضفة الغربية من خلال التصريحات وغيرها ، حتى تشكل خلال مدى زمني قريب قادم ، اطارا او قوة من اطر او قوى معادلة المسألة الفلسطينية . وبنفس الوقت تشكل اطارا قد يحجم الحركة الجماهيرية في الداخل بحجمها ويحدها بحدودها .

وبالنسبة للنظام الاردني ، لم يصدر عن المصادر الاردنية اي تصريح او اشارة الى موقف معين قد يتخذه « النظام » من المجالس البلدية باستثناء ما ذكرته النهار « ١٤/٤/ ١٩٧٦ » نقلا عن اشاعات في الاردن من ان الملك الاردني طالب رؤساء البلديات الجدد بالاستقالة لان التشريع الاردني لم يؤخذ بعين الاعتبار ، وانه هددهم في رسائله بالتوقف عن دفع مرتباتهم اذا رفضوا الاستقالة . والاشاعة التي ذكرتها النهار ، قد لا تكون مجرد اشاعة بل تعبيرا عن تفكير معين للنظام الاردني ازاء المجالس الجديدة ، ونوع من التذكير بأن الاردن قادر على فرض العقوبات الاقتصادية اذا لم يراع وضعه ومطامعه داخل الارض المحتلة ، وما يؤكد مثل هذا الانطباع ، ان الفائزين الجدد ، وحتى البارزين منهم ، كانوا

حذرين في تحديد موقفهم من النظام الاردني ، ولم يدلوا بتصريح او تعليق يصطدم مع النظام الاردني . لا يعني ذلك ان المجالس البلدية سترضخ للضغوطات الاردنية ، بل يعني ما سبق ان اشرت اليه ، من ان علاقة المجالس البلدية بمجموعها لن تصل الى الدرجة العدائية والصدامية مع النظام الاردني ، وان علاقة كهذه ستظل ضمن بعض الاطر وبعض المجالس ، ولن يجري التعبير عنها بشكل واضح الا اذا برزت تحركات عملية للنظام الاردني داخل الارض المحتلة .

ان كل هذه المعطيات تشير الى ان المنظمة في تعاملها مع المجالس الجديدة لا تسير في حقل خال من الالغام . بل على العكس من ذلك ، فان هذه المجالس الجديدة قد تكون مقدمة لاخبار السلطات الاسرائيلية المحتلة لمدى امكاناتها في التعامل مع عناصر جديدة غير العناصر التقليدية ، والتي تفتقد الى ارضية جماهيرية او بعد وطني واضح . فالقيادات التقليدية تظل حائطا قديما ، تتجاوزه اوسع الجماهير بسهولة لدى تحركها . اما القيادات الجديدة وذات الطابع الوسطي ، والتي تحاول ان توازن بين وضعها الذي اكتسب نوعا من الشرعية في ظل الاحتلال وبين طموحاتها في الالتقاء مع الجماهير في حركتها ، ان هذه القيادات في بعض الحالات تشكل كابحا للجماهير اكثر من القيادات التقليدية ، وفي حالات اخرى ، قد تضطرها الحركة الجماهيرية الى الاندفاع معها . ومن هنا ، فان الاساس في تحرك المقاومة الفلسطينية السياسي داخل الارض المحتلة ، يجب ان يبقى التحرك الجماهيري الواسع والانتفاضة الجماهيرية التي اخذت تتسم في هذه المرحلة بسمة القدرة على الاستمرار ، وهي قدرة تتأكد يوما بعد يوم . اضافة الى ذلك ، فانه يجب الوقوف بحزم ، ضد اي محاولة تستهدف تحجيم الحركة الجماهيرية بسقف المجالس البلدية وتحركها السياسي العام . وبتقديري ، ان الدخول في مسألة المجالس البلدية تظل لغما يجب التعامل معه بحذر بالغ ، حتى لا ينفجر بنا . ذلك انه من الخطأ الكبير ان ندفع بتنمية اطر قيادية داخل الارض المحتلة ، تكتسب جانبا كبيرا من شرعيتها من الاحتلال الاسرائيلي . صحيح ان هذه الشرعية جاءت عبر الانتخاب ، ولكن لا ننسى انها شرعية مختومة في النهاية بختم الاحتلال الاسرائيلي ، وبالتالي فانها محكومة ومحددة بالحدود التي يرسمها لهذه الشرعية . ان الموقف الاسلم والاكثر صوابية في التعامل مع هذه المجالس ، هو باعتبارها مجالس بلدية فقط لا غير ، ومقاومة ، اي محاولة لاعطائها غير هذا الوضع او الوظيفة . واي محاولة للخروج بالمجالس البلدية عن هذا الاطار ، ستشكل نوعا من الدخول غير المباشر في اللعبة الاسرائيلية الهادفة الى تحديد معالم دور او وضع معين للمجالس البلدية في معادلة حل المسألة الفلسطينية .

غ . خ

(٣) اسرائيليات

مصادرة الاراضي في الجليل

قررت الحكومة الاسرائيلية في جلستها يوم ٢٩ /٤/ ٧٦ مصادرة عشرين الف دونم من الاراضي في منطقة الجليل ، يملكها العرب ، وذلك من اجل تنفيذ سياسة تقوية الاستيطان وزيادة عدد السكان اليهود هناك . وورد في قرار الحكومة « انه بموجب مشاريع الاستيطان التي وضعتها وزارة الاسكان ، قررت الحكومة ان تأخذ علما ببيان وزير المالية بشأن تجميع

الاراضي ، والقاضي بمصادرة نحو عشرين الف دونم في الجليل » (هارتس ، ١/ ٣/ ٧٦) ٠ وتقسم الاراضي المصادرة على النحو التالي : ٨٠٠٠ دونم تابعة لمديرية عقارات اسرائيل (وهي من اراضي اللاجئين الفلسطينيين التي استولت عليها اسرائيل بعد قيامها واعتبرتها من املاكها) ، ١٣٠٠ دونم ما زالت خاضعة للتسوية ، اي ان ملكيتها غير محددة حتى الان ، ١٠٥٠٠ دونم ملكية خاصة منها ٦٥٠٠ دونم اراضي عربية و ٤٠٠٠ دونم من الاراضي التي تم الاستيلاء عليها من قبل ونقلت الى ملكية اليهود ٠

واعلن وزير الاسكان الاسرائيلي ابراهام عوفر بعد انتهاء جلسة الحكومة ، ان خطة المصادرة الاصلية كانت اوسع جدا ، اما الخطة الحالية فتبعت الحد الادنى الضروري ٠ واضاف مبررا قرار المصادرة ان « جميع هذه الاراضي هي صخرية لا تقوم عليها اية ابنية » وعلى حد زعمه لا يعتاش احد من ورائها « وستدفع الحكومة تعويضات مناسبة مقابلها او اعطاء اراضي بديلة لاصحابها ، رغم الاحتياطي القليل من الاراضي في الجليل » (هارتس ، ١/ ٣ / ٧٦) ٠

تقع الاراضي المصادرة في اربع مناطق مختلفة في انحاء الجليل : اولا ، في منطقة الناصرة حيث صادرت الحكومة مساحة ٤٧٣٠ دونم ـ منها ١٠٤٠ دونم تابعة لمديرية عقارات اسرائيل و ٣٦٩٠ دونم ملكية خاصة ٠ وتقع المنطقة المصادرة شمال شرق الناصرة العليا (المدينة اليهودية) ، وستستخدم في تطوير هذه المدينة في المستقبل ، بحيث يزيد سكانها من ٣٠ الفا الى ٦٠ او ٧٠ الف ٠ ثانيا ، في منطقة كرميئيل ، وتبلغ مساحة الاراضي المصادرة ٧٤٨٥ دونم ، منها ٥٤٢ دونم تابعة لمديرية عقارات اسرائيل ، و ٢٠٦٤ دونم ملكية خاصة ٠ وستستخدم هذه الاراضي في تطوير كرميئيل ، حسب الخطة التي انشئت بها اصلا ٠ وستمكن هذه المصادرة من زيادة سكان كرميئيل من ٨ الاف الى ١٠٠ الف نسمة في المستقبل واقامة ٢٩ الف وحدة سكنية جديدة بها ٠ والجدير بالذكر ان كرميئيل هذه اقيمت على اراضي عربية مصادرة في اواخر سنة ١٩٦١ ، حيث صادرت الحكومة الاسرائيلية انذاك ما مساحته ٥١٤٠ دونم من اراضي قرى دير الاسد والبعنة ونحف الواقعة في مركز الجليل على الطريق الرئيسية عكا ـ صفد ٠ ثالثا ، في جوار قرية المكر شرقي عكا ، حيث صادرت الحكومة الاسرائيلية ٢٠٦٩ دونم ، ٨٤٤ منها تابعة لمديرية عقارات اسرائيل و ٧٦١ اراضي خاصة ، و ٤٦٤ دونم خاضعة للتسوية ٠ وستخصص هذه المنطقة المصادرة ، كما ذكرت المصادر الاسرائيلية ، لبناء مساكن للعرب القاطنين في مدينة عكا ، حيث سيتم نقلهم من المدينة القديمة بحجة انهم يعيشون في ظروف سكنية واجتماعية صعبة ٠ والمعلوم ان السكان العرب في عكا يعارضون هذا الاجراء الذي يرمي الى ترحيلهم عن مدينتهم ، وتسليمهم مساكن مبنية على اراضي عربية مصادرة ٠ رابعا ، منطقة صفد وتبلغ مساحة الاراضي المصادرة بها ٥٨١٩ دونم منها ٧٤٤ دونم تابعة لمديرية عقارات اسرائيل و٧١٧٥ دونم ملكية خاصة و ٩٠٠ دونم خاضعة للتسوية ٠ وسيقام على هذه المساحة ١٥ الف وحدة سكنية جديدة ومركز مديني الامر الذي يؤدي الى زيادة عدد سكان صفد من ١٣٫٥ الف نسمة الى نحو ٦٠ الف نسمة في المستقبل (مناحم راهط ـ معاريف ، ٧٦/٣/٢) ٠ واعلن وزير الاسكان عوفر آن التوصية بمصادرة هذه الاراضي قدمت بصورة اجماعية الى وزير المالية من قبل لجنة تضم ممثلين عن الوزارات المختلفة ويترأسها مدير عام مديرية عقارات اسرائيل مئير زورياع ٠ والجدير بالذكر انه بعد اشهر معدودة من تولي عوفر منصب وزير الاسكان ، نشرت الخطة الخمسية الاقليمية للسكن ٠ وبموجب مخطط السكن في منطقة الشمال ، واقامة مناطق صناعية ومشاريع امنية مختلفة هناك ، طلب من مديرية عقارات اسرائيل تحديد مواقع مساحات من الارض لتنفيذ هذا المخطط ٠ ويبرر زورياع امر المصادرة على غرار وزير الاسكان ، بقوله « انها اراضي صخرية لا تصلح للزراعة » ٠ وذكر المسؤول عن المنطقة الشمالية في المديرية يسرائيل كينغ « ان جميع مشاريع

البناء في الجليل متفرعة عن خطة رئيسية حتى سنة ٢٠٠٠ حين سيتم في الوقت القريب المصادقة النهائية عليها . وتتطرق هذه الخطة الى جميع التفاصيل ، ابتداء من المساكن العامة والمنتزهات والمناطق الصناعية وحتى مؤسسات المعاقين . وقد وضعت حسب رأي جميع الوزارات الحكومية : الداخلية ، الاسكان ، الدفاع الخ ، وعندما يدور الحديث عن استملاك الاراضي لتنفيذها ، يجب عدم الاشارة الى مديرية عقارات اسرائيل ، وكأنها تقوم بمصادرة الاراضي فقط : انها الهيئة التي تنفذ المتطلبات المختلفة والمتنوعة للدولة» (يسرائيل هارئيل ـ معاريف ، ١٧/ ١٠/ ٧٥) .

وتجدر الاشارة هنا الى انه ليست هذه اول مرة تقوم بها الحكومة الاسرائيلية بمصادرة الاراضي العربية لتنفيذ مخططاتها الاستيطانية في الجليل ، فمنذ قيام اسرائيل ، والقرى العربية تقاسي من هذه المشكلة ، التي يبدو ان لا نهاية لها ، طالما السلطات الاسرائيلية تتبنى سياسة تهديد الجليل على حساب سكانه العرب . وهذا ما يحدث كل بضعة سنوات ، حيث يعلن عن امر مصادرة جديدة يتعرض له الفلاحون العرب . فبعد حرب ١٩٥٦ صادرت السلطات نحو ١٢٠٠ دونم من اراضي الناصرة لاقامة مدينة الناصرة العليا عليها ، وكذلك صادرت في سنة ١٩٦١ نحو ٢٠٠٠ دونم من الاراضي العربية الواقعة في سهل البطوف والتابعة لقريتي عرابة وسخنين ، لاستعمالها في مشروع تحويل مياه نهر الاردن . وفي اواخر السنة نفسها صادرت ما مساحته ٥١٠٠ دونم من الاراضي التابعة لقرى دير الاسد والبعنة ونحف ، لاقامة مدينة كرميئيل كما اشرنا . هذا عدا عن الاراضي التي استولت عليها اسرائيل خلال حرب ١٩٤٨ وبعدها ، ثم صادرتها ، من معظم القرى العربية في الجليل .

هدف المصادرة : تقوية الوجود اليهودي في الجليل

ان من يتتبع حركة الاستيطان اليهودي في الجليل يرى ان « تصعيده انتهى في مطلع الخمسينات . ففي تلك الفترة نزح كثيرون الى مركز البلد والغور . ومن جهة اخرى توسعت القرى العربية مع عودة سكانها السابقين (يقصد بعضهم) بصورة رسمية او غير رسمية ، وافتتاح عيادات طبية ، وبسبب التكاثر الطبيعي الكبير ، وانخفاض نسبة الوفيات لدى الاطفال ، حتى الحد الادنى . وفي نهاية الخمسينات تبين (للسلطات) ان نسبة السكان اليهود في الجليل هي في انخفاض مقابل ارتفاع سريع بين العرب . ولذلك ظهرت فكرة استيطان الجليل على امتداد الحدود لدوافع امنية . ومرت بضعة سنوات حتى نفذ جزء من المشروع المشترك لليفي اشكول ويوسف فايس (بموجبها اقيمت المستوطنات ، شتوله ، نطوعة ، زرعيت ، وبرانيت) . وقد اثر الانكماش الاقتصادي في الستينات وحرب حزيران . على خفض الموارد المخصصة لتهويد الجليل . حتى ان كرميئيل ، التي كان هدف اقامتها واضحا ـ وهو دق اسفين داخل منطقة عربية صرفة ، اصيبت بالتخلف في التطوير والاسكان الامر الذي يمكن لمسه حتى الان » (يهودا ارئيل هآرتس ، ٢٩/٣/٧٦) .

ان الخوف من ان يصبح اليهود اقلية في الجليل هو الدافع لسياسة الاستيطان والتهويد التي تتبعها اسرائيل في هذه المنطقة . « فهناك خطر من ان يصبح اليهود اقلية في الجليل ، وتتحول هذه المنطقة الى « جليل الغرباء » كما كانت في السابق ، وعندما يدور الحديث عن تهويد الجليل ينبغي الاشارة الى المنطقة المقصودة . اذا كان القصد الجليل الاعلى الشرقي ، اي سهل الحولة وكريات شمونة ، فانه يعتبر « جليل اليهود » ، وهو خال من العرب تقريبا . وينطبق الامر ذاته على الجليل الاسفل ، باستثناء الناصرة . مقابل ذلك فان عدد العرب في الجليل الاوسط والغربي يزيد عن عدد اليهود ، او انهم متساوون . ان القلقين على مصير الجليل لا يشيرون فقط الى الخطر الحالي ، وانما الى الاخطار في المستقبل ، بسبب نزوح اليهود الى مركز البلد خاصة ، بعد ازدياد العمليات الفدائية في الجليل خلال السنة الماضية ، والتكاثر الطبيعي الكبير لدى السكان العرب (دافيد شليف ـ دافار ، ٧/ ١ /٧٦) . لذلك

من الواضح « ان وراء المصادرة تكمن الرغبة في تقوية الوجود اليهودي في الجليل ، الذي انخفضت نسبته خلال الخمس عشرة سنة الاخيرة من ٥٨ الى ٥٢ ٪ » (مناحم راهط ـ معاريف ، ٣/ ٣ /٧٦) ٠

بالاضافة الى المدلول الاستيطاني لسياسة التهويد التي تتبعها اسرائيل في منطقة الجليل ، التي يقتطنها معظم العرب في اسرائيل ، فأن لها دلالة سياسية واضحة ايضا ، تكمن في خوف اسرائيل من المستقبل ، على ضوء التطورات السياسية على الساحة الفلسطينية ٠ وينبع هذا الخوف من ان الفلسطينيين ربما يطالبون في المستقبل بضم هذه المنطقة الى المناطق التي يطالبون بها حاليا على اساس ان فيها اكثرية عربية ، وانها كانت ستخضع لهم حسب قرار التقسيم من سنة ١٩٤٨ ، وهذا ما اشارت اليه صحيفة معاريف في افتتاحيتها ليوم ٧٦/٣/١ قائلة : « على ضوء الاتجاهات السياسية التي تسود المنطقة ، ينبغي النظر الى الخطر بأعين مفتوحة : اذا لم يصبح الجليل الاعلى يهوديا من ناحية ديموغرافية ، فأن علاقة استفهام خطيرة ستوضع على مستقبله السياسي في يوم من الايام » ٠

امتصاص نقمة العرب

تحاول السلطات الاسرائيلية الان امتصاص نقمة العرب في اسرائيل ، اثر قرار مصادرة الاراضي في الجليل ٠ فقد أعلنت الحكومة الاسرائيلية في نفس الجلسة التي اصدرت بها قرار المصادرة انها ستجمد في هذه المرحلة الدعاوى التي رفعتها مديرية عقارات اسرائيل ضد سكان قريتي كفرقاسم ومعليا ، وتحويل الموضوع الى اللجنة الوزارية التي يشترك فيها ممثلو وزارة العدل ، ومديرية عقارات اسرائيل، ومكتب مستشار الحكومة للشؤون العربية ٠ والقضية تتعلق بـ ٣٠٠٠ دونم في قرية كفرقاسم و١٨ الف دونم في قرية معليا (هآرتس ، ١/ ٣/٧٦) ٠

كذلك تقرر في الجلسة نفسها السماح للفلاحين العرب من قرى سخنين وعرابة ودير حنا الدخول الى اراضيهم الزراعية الواقعة في منطقة التدريب العسكرية ، والتي تدعى « المنطقة ٩ » ، وهي تقع في وسط الجليل ، جنوب كرميئيل ، بموجب تصاريح سنوية (المصدر نفسه) ٠ وقد التقى رؤساء المجالس المحلية في هذه القرى مع مساعد وزير الدفاع اشربن ناتان وضباط اخرين في الجيش الاسرائيلي ، واتفقوا على ان يسمح الجيش لاصحاب الاراضي الزراعية في هذه المنطقة بالدخول اليها وفق تصاريح سنوية كما اشرنا ٠ وقد رفض خلال هذا اللقاء ، طلب رؤساء المجالس المحلية بنقل التدريبات الى منطقة اخرى (معاريف ، ٧٦/٢/٢٩) ٠ اما بالنسبة للبدو الذين يقيمون في هذه المنطقة ، ويبلغ عددهم حوالي ١٥٠٠ نسمة من قبيلةعرب السواعد ، فقد قرر الجيش الاسرائيلي نقلهم من اماكن تجمعهم الى القرية الجديدة « تسلحون » التي تقام في طرف « المنطقة ٩»، او الى القرى المجاورة (المصدر نفسه) ٠

وحسب المصادر الاسرائيلية تشمل هذه المنطقة ٦١٨٣٤ دونم ، موزعة ملكيتها على النحو التالي : ٤٢٠٨٦ دونم تابعة للسلطة ، ١٣٠٩٨ دونم ارض خاصة تابعة لقرى دير حنا ، البعنة ، سخنين ، نحف والرامة ، ٣٦٥٠ دونم يملكها البدو في مركز المنطقة ٠ بينما اعلن رؤساء المجالس المحلية لقرى سخنين ، عرابة ودير حنا والقبيلة البدوية عرب السواعد ، في مؤتمر صحفي عقدوه في تل ابيب ، ان القرى العربية تملك ٤٣ الف دونم في هذه المنطقة ، منها ١٧ الف دونم حقول زيتون « لذا نحن الفلسطينيين الحق في هذه الارض » ٠ وحسب قولهم فأن هذه الاراضي مسجلة على اسم المزارعين العرب ، حتى منذ العهد العثماني ٠ واضافوا ان هناك ٢٥ الف عربي في هذه القرى يعتاشون من هذه الارض (دافار ، ١/ ٣ / ٧٦) ٠

عرض جديد لبدو النقب

اما بالنسبة لقضية اراضي بدو النقب التي صادرتها الحكومة الاسرائيلية في بداية الخمسينات والتي تقدر مساحتها بمليون ونصف دونم ، فقد تقدمت الان بعرض جديد

الى زعماء البدو ، لدفع تعويضات مقابلها ، والجدير بالذكر ان البدو رفضوا طوال السنين استلام اية تعويضات مقابلها حتى هذا اليوم. وقد تقدمت الحكومة الاسرائيلية في اوائل السنة الماضية بعدة اقتراحات الى زعماء البدو ، رفضوها تماما معلنين ان الهدف من ورائها هو الاستيلاء على اراضيهم (انظر قضايا اسرائيلية ، ٣/٦ /٧٥ ، العدد ٥ (١٢)) .

بعد مضي اقل من سنة على رفض هذه الاقتراحات ، تقدم رئيس حكومة اسرائيل ، في اجتماع عقده مع شيوخ ورؤساء القبائل البدوية في النقب ، بعرض جديد يتضمن شروطا افضل حسب قول المصادر الاسرائيلية. وورد في هذا العرض انه اذا برهن اي فرد من البدو على ملكيته لاراضيه ، يستطيع الحصول على ٥٠٪ مما يطالب به ـ ٢٠٪ منها اراضي بديلة (وليس ١٢,٥٪ كما اقترحوا عليهم في السابق) ، و ٣٠٪ تعويضات مالية . كذلك ذكر في العرض ان الاراضي التي سيحصل عليها البدو ستسجل على اسمهم في الطابو ، ولا تؤجر لهم لمدة ٩٩ سنة كما كان مقترحا عليهم في السابق . وورد في العرض ايضا ان المنفى الحكومي سيعين اسعار جديدة للاراضي ، بعد ان يأخذ في الاعتبار الارتفاع الذي حدث في قيمة الارض خلال السنين . وخلال اجتماعهم برئيس الحكومة رفض البدو الاقتراحات الاولى طالبوا باخلاء الاراضي المستأجرة من قبل اراضيهم وليس على ٥٠٪ منها فقط . كذلك طالبوا باخلاء الاراضي المستأجرة من قبل مديرية عقارات اسرائيل واعادتها لهم ، وباستعادة مساحات واسعة ما زالت خالية في غربي النقب ، ومؤجرة من قبل مديرية العقارات لبعض الاشخاص . وقد اشترك في الاجتماع ، لاول مرة ، مجموعة من الشبان ، تعتبر متطرفة جدا بالنسبة لزعماء التقليديين ، الامر الذي بات يقلق السلطات الاسرائيلية (هارتس ، ٢٩/ ١٠ /٧٥) .

بيع مقبرة اسلامية اخرى في يافا

اما بالنسبة لقضية املاك الوقف الاسلامي في يافا ، فقد عقدت لجنة المتولين التي عينتها السلطات الاسرائيلية في الماضي لتكون مسؤولة عن هذه الاملاك ، وذلك حسب قانون سنته في سنة ١٩٥٠ ، صفقة جديدة مع شركة استثمار يهودية لبيع مقبرة « طاسو » ، وهي مقبرة اسلامية تقع في منطقة ابو كبير في يافا ، وتبلغ مساحتها اكثر من ثمانين دونما . ويترأس لجنة المتولين هذه المدعو علي رشيدي ، وهو من كبار المتعاونين مع السلطه ، وليست هذه اول مرة تقوم بها لجنة المتولين هذه ، التي تعتبر مسؤولة عن املاك الوقف الاسلامي حسب القانون الاسرائيلي ، على عقد صفقات بيع للممتلكات الاسلامية ، وذلك بهدف جني ارباح من ورائها . فقد وافقت في الماضي على بيع مقبرة اسلامية اخرى في يافا ، تدعى عبد النبي ، حيث اقيم عليها فندق هيلتون في تل ابيب . وكان المسؤول يومها عن هذه الصفقة المدعو شريف الشنطي ويقال انه جنى من ورائها ارباحا طائلة (ابراهام روتام ـ معاريف ، ٢٤/١١/٧٥) . كذلك علم في السنة الماضية ان صفقة تمت بين اعضاء لجنة المتولين وبين احد المقاولين اليهود ويدعى غرشون بيريس ، وهو شقيق وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون بيريس ، لتأجير مسجد حسن بك الواقع في المنشيه ، من اجل اقامة مركز تجاري على اراضيه (اريه افنيري ـ يديعوت احرونوت ، ١١/١٥ /٧٥) .

وقد ادت هذه المتاجرة بأملاك الوقف الاسلامي في يافا ، الى اثارة سكان المدينة المسلمين ، وادى توتر الاجواء بينهم الى اقدام بعضهم على القاء قنبلتين على بيت رئيس لجنة المتولين المدعو علي رشيدي ، الا انه لم يصب بأذى وما زالت الشرطة الاسرائيلية تحقق لمعرفة الفاعلين . وقد ادى هذا الحادث الى « لفت انتباه الجمهور الى هذه القضية التي تثير الجمهور الاسلامي في يافا منذ زمن طويل ... ووصلت اصداؤها الى رئيس الحكومة حيث اعلن انه تقرر حل لجنة المتولين في يافا » (اريه افنيري ـ يديعوت احرونوت ، ٢٤/١١/٧٥) . وما زالت هذه القضية تتفاعل حتى الان ، حيث

تقوم مجموعة من شبان يافا المسلمين بتنظيم النشاط ضد اعضاء اللجنة • وقد اصدروا بيانا يندون فيه بأعمال الفساد التي يمارسها هؤلاء ، ويعلنون ، « ان هؤلاء لا يمثلون الا انفسهم ، وليس جميع المسلمين في يافا ، ولذلك لن نسمح لهم بعد الان بالتصرف بممتلكات الوقف حسب رغباتهم ، ومن اجل مصلحتهم الشخصية » (المصدر نفسه) • والجدير بالذكر ، ان العرب في يافا يعيشون حتى الان في ظروف اقتصادية واجتماعية صعبة •

انتفاضة شعبية واسعة تعم الجليل والمثلث

ومن يافا الى الجليل ، حيث تعم انحاءه انتفاضة شعبية واسعة بهدف احباط مشاريع مصادرة الاراضي العربية • وبحيث يمكن اعتبارها ، من ناحية العنف والقوة والتأييد ، امتدادا للانتفاضة الجماهيرية في القدس وباقي انحاء الضفة الغربية وقد انتظمت حركة المعارضة هذه ، حتى قبل اعلان المصادرة بوقت طويل ، خاصة في القرى التي تعرضت للمصادرة • ويصف احد المراسلين الاسرائيليين الجو السائد بين الفلسطينيين هناك بقوله ، ان حالة الغليان بينهم وصلت الى ذروتها مع الاعلان عن قرار المصادرة (معاريف ، ٣/١/ ٧٦) • وكان اول رد فعل لديهم هو تهديدهم بالتوجه الى الامم المتحدة للمطالبة بحقوقهم في اطار معاهدة حقوق الانسان « في حال عدم تراجع الحكومة عن قرارها » (المصدر نفسه)• والجدير بالذكر ان المكتب السياسي في الحزب الشيوعي الاسرائيلي راكح ، اصدر بيانا شجب فيه قرار المصادرة معتبرا اياه « عملا مغامرا يهدد مستقبل العلاقات بين الشعبين ، خاصة وانه جزء من مشروع اوسع لمصادرة الاف اخرى من الدونمات في النقب والمثلث (كفر قاسم واراضي قرية معليا في الجليل الاعلى ، واراضي قرية عرب السواعد في المنطقة المغلقة في الجليل » (الاتحاد ٢٢/٣/ ٧٦) • كذلك كان الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكح) من اول المبادرين والمنظمين للانتفاضة الجماهيرية في الجليل ، انطلاقا من سياسته في الدفاع عن حقوق العرب وممتلكاتهم داخل اسرائيل •

وكان رئيس المجلس المحلي في قرية معليا ، وعضو لجنة المجالس المحلية للدفاع عن الاراضي العربية ، مسعد قسيس ، قد اعلن انه يعارض ورفاقه كل مشروع مصادرة لاراضي عربية ، او اي مشروع اخر يهدف الى المس بحقوق العرب داخل اسرائيل • واضاف انه اذا لم تستجب الحكومة لمعارضة العرب بشأن الاراضي المصادرة • سيتوجه ورفاقه الى الكنيست طالبا سن قانون لحماية الوجود العربي في اسرائيل (دافار ، ٣/ /٧٦) • ولعل افضل وصف لحالة الغضب والاستياء التي تسود بين العرب في الجليل الان ، هو ما اعرب عنه مجموعة من الشبان العرب ، التفاهم مراسل احدى الصحف الاسرائيلية في مدينة كرميئيل ، حيث اعلنوا ، ان العرب لا يريدون سماع شيء او تقبل حقائق اقامة مستوطنات يهودية مثل كرميئيل • « ان اراضي الجليل هي لنا وستبقى لنا • لقد صادرت حكومة اسرائيل اراضينا من اجل اقامة مستوطنات يهودية وهذا ما نعارضه ، تماما كما عارض اليهود في حينه، القيود التي فرضتها عليهم حكومة الانتداب بالنسبة لشراء الاراضي • انتم تمردتم ضد قوانين الانتداب ، ونحن سنفعل الشيء ذاته ضد قوانين دولة اسرائيل ••• اليس تكفيكم مجزرة كفرقاسم ؟ والان تتعرضون لاراضي هذه القرية ••• تريدون مصادرة اراضي المنطقة •• ٩ » ، وفي قرية طمرة تعملون على الاستيلاء على منطقة لمقلع نيشر ، والان تصادرون عشرين الف دونم في الجليل • لقد توجهنا في الماضي الى الامم المتحدة والصليب الاحمر ، عندما صادرتم اراضينا لاقامة كرميئيل • ولكن اليوم يملك العرب مركزا اقوى في الامم المتحدة ، وسيطرحون مشكلة مصادرة اراضينا على منبرها • لا يهمنا اذا كانت هذه اراضي صخرية او زراعية ، فهي بالنسبة لنا اراضي عربيةوسنعارض مصادرتها بكل وسيلة ممكنة » (يهودا ارئيل ـ هآرتس ٣/٣ /٧٦) • ويبدو ان اكثر ما يثير اهالي القرى في الجليل وتحويل اراضيهم المصادرةالى المستوطنات اليهودية « فقد اعلن بعض الوجهاء العرب انهم لا يوافقون ابدا على ان

تقوم الحكومة بمصادرة اراضيهم ومنحها للمستوطنات اليهودية . واقترحوا بأن تحول الحكومة هذه الاراضي الى ملكية المجالس المحلية العربية ، لكي تستغلها في اقامة مشاريع صناعية عليها تكون لصالح اليهود والعرب من سكان المنطقة .

« ان محاولات الشرح للوجهاء العرب بأن مشاريع التطوير في الجليل ستخدم في نهاية الامر السكان العرب ، تقع على آذان صماء ، وتلقى ردة فعل غاضبة . وحتى الحقيقة ، بأن الفي دونم من ال ٦٥٠٠ دونم المصادرة ، ستستخدم في نهاية الامر لاقامة مساكن لعرب عكا القديمة في قرية الكرمل ، لم تقنع احدا من بين مبادري اعمال المعارضة » (مناحم زاهط - معاريف ، ٣/١/٧٦) .

يوم الارض في الجليل والمثلث

عقد ممثلو المجالس المحلية العربية اجتماعا لهم في السادس من شهر آذار الماضي في مدينة الناصرة ، للبحث في الاجراءات التي ينبغي اتباعها للتصدي لقرار المصادرة الاخير الذي اعلنته الحكومة الاسرائيلية في نطاق مصادرة الاراضي العربية ، والذي يهدف ، كما ذكرنا ، الى سلب العرب مساحات واسعة من اراضيهم تحت شعار « التطوير » ، وتحويلها الى المستوطنات اليهودية القائمة او انشاء مستوطنات جديدة عليها . وقد توصل المجتمعون الى القرارات التالية : اولا ، يعلن يوم ٣٠ آذار كيوم للارض الفلسطينية . ثانيا ، اعلان الاضراب العام والانقطاع عن العمل والدراسة والتجارة والخدمات في جميع مرافق الحياة في القطاع العربي طوال هذا اليوم . ثالثا ، القيام بمظاهرة امام الكنيست وتقديم طلب الى السلطة لالغاء مشاريع المصادرة . رابعا ، ارسال وفد الى الامم المتحدة ، بحيث يبقى هناك حتى تتراجع حكومة اسرائيل عن قرارها . ووقع هذا القرار بصفة رسمية ٤٨ من رؤساء البلديات والمجالس المحلية ومسؤولي لجان الدفاع عن الاراضي في المدن والقرى العربية في الجليل . حاولت السلطات الاسرائيلية منذ البداية التصدي لهذه القرارات ومحاولة افشالها بالوعيد والتهويل ، خاصة في مدينة الناصرة وبعض القرى العربية الكبيرة في الجليل ، لانها لم تنجح ابدا ، وخير دليل على ذلك انتفاضة يوم الارض التي امتدت من اعالي الجليل الى المثلث ، متحدية كل اجراءات السلطة من اعتقالات وفرض منع التجول في قرى الجليل والمثلث ، والتهديد باستخدام القوة في فتح المتاجر . وانطلقت في ٣٠ آذار ، يوم الارض ، اعنف تظاهرات شهدها القطاع العربي المحتل منذ سنة ١٩٤٨ ، حيث خرج الالاف من اهالي قرى دير حنا وعرابة وسخنين وكفركنا والطيبة وام الفحم ودحف والطيرة ، ومدينتي عكا والناصرة ، في تظاهرات صاخبة ومسلحة في بعض القرى ، ادت الى وقوع اشتباكات بين المتظاهرين العرب وقوات الشرطة والجيش الاسرائيلي . وبالاضافة الى ذلك ، فقد عمت المظاهرات جميع انحاء الضفة الغربية ، في يوم الارض على اوسع نطاق . واكدت وكالات الانباء ان الاضراب شل جميع مظاهر الحركة والعمل والتجارة والمواصلات في جميع انحاء فلسطين بدون استثناء ، بان الشلل امتد الى معظم المؤسسات الاسرائيلية ، كالمعامل والفنادق التي تستخدم عربا .

وقامت ناقلات الجنود الاسرائيلية وطائرات الهليكوبتر بعزل القوى الضاربة عن باقي انحاء فلسطين ، خاصة قرى سخنين ودير حنا وعرابة ، مستخدمة الرصاص والقنابل المسيلة للدموع ، وقنابل الدخان والهراوات في التصدي للمتظاهرين ، الامر الذي ادى الى استشهاد وجرح العشرات منهم ، واعتقال اعداد كبيرة منهم . كذلك رفضت السلطات السماح للصحافيين بالدخول الى هذه القرى لمشاهدة ما يحدث بهدف التعتيم على المظاهرات وعنفها . وقد اعلن رئيس بلدية الناصرة توفيق زياد ان ما لا يقل عن سبعة فلسطينيين قتلوا خلال الاشتباكات ، وبينما زعمت المصادر الاسرائيلية ان ٣١ عربيا و ٣٨ اسرائيليا جرحوا ، قالت وكالات الانباء ان الجرحى العرب كانوا بالعشرات وان ما لا يقل عن ٣٠٠ عربي اعتقلوا في اعقاب الاصطدامات العنيفة . والجدير بالذكر ، ان ثلاثة من المواطنين العرب في قرية عرابة استشهدوا

خلال الاشتباك مع الجنود الاسرائيليين واستشهد كذلك ثلاثة اخرون في قرية سخنين ، « واصيب عدد كبير بجروح في القرية ، بما في قرية كفركنا القريبة من الناصرة فقد اقام المتظاهرون متاريس الحجارة وذواليب المطاط المحترقة في وجه القوات الاسرائيلية ، الامر الذي ادى الى قطع الطريق الرئيسية بين طبريا والناصرة ، واستخدم المتظاهرون في هذه القرية قنابل المولوتوف المصنوعة محليا ، ضد الجنود الاسرائيليين ، الامر الذي اوقع عددا كبيرا من الجرحى بينهم . اما في قرية الطيبة في المثلث فقد استخدم المتظاهرون الاسلحة الرشاشة في اشتباكهم مع القوة الاسرائيلية ، واصابوا خمسة منهم . وفي مدينة الناصرة عم شمل الاضراب جميع المؤسسات والمدارس ، وقمعت الشرطة تظاهرة انطلقت من جامع السلام في المدينة ، واعتقلت عددا من المتظاهرين . وزعم احد الضباط الاسرائيليين في حديث للاذاعة ان قواته اضطرت الى اطلاق النار دفاعا عن النفس ، بعد مهاجمتها بالحجارة الكبيرة والمشاعل الملتهبة . واضاف « ان الهجوم استمر حتى بعد ان اطلقنا النار عدة مرات ، كما تجاهل سكان القرى قرار حظر التجول متحدين تحذيرات قوات الشرطة » .

اثارت المظاهرات والاضراب ردود فعل عنيفة لدى الرأي العام الاسرائيلي ، على صعيد السلطة ، حيث اعتبرها الاسرائيليون « ضربة قاسية للتعايش العربي ـ اليهودي » على حد زعمهم ، واعتبرها البعض انها نتيجة حتمية لسياسة القمع والاضطهاد التي تمارسها اسرائيل ضد الاقلية العربية داخلها ، والتي وصلت الى قمتها مع اعلان قرار مصادرة جزء اخر من الاراضي العربية . وقد عقد الكنيست الاسرائيلي جلسة استثنائية بعد وقوع الاضراب ، لمناقشة الاحداث بناء على طلب حزب راكح . واتهم النائب الشيوعي مئير فيلنر خلال الجلسة ، كلا من اسحق رابين وشمعون بيريس وشلومو هيلل ، بتنظيم عملية ابادة ضد السكان العرب ، وانهم دبروا جميع الاغتيالات التي وقعت . واجرى النائب مقارنة بين هذه المذابح وبين مذبحة كفرقاسم التي وقعت قبل ٢٠ سنة قائلا : « ان هذه المذبحة تم اعدادها بعناية » . واتهم النائبان الشيوعيان توفيق طوبي وتوفيق زياد الحكومة الاسرائيلية بأنها تتكون من « سفاحين متعطشين للدم العربي » . وقال رابين في الكلمة التي القاها في الجلسة الصباحية القاء تبعة الاحداث على حزب راكح قائلا : « ان ما حدث في الجليل والمثلث ما هو الا جزء من اطار دعوة حزب راكح الى العنف » وان الامر يتفق بنتيجة منطقية مع سياسة هذا الحزب » . وزعم رابين ان « دعاية هذا الحزب كانت قد نجحت في اقناع بعض المجموعات المتغيبة بين العرب ، بالانتقال الى العمل بالنتائج التي عرفناها » .

ويتوقع خلال الايام المقبلة استمرار تفاعل هذه الاحداث على صعيد السلطة الاسرائيلية ، حيث اعلنت الحكومة انها ستتبنى سياسة جديدة تجاه العرب ، متجاهلة الدوافع الحقيقية من وراء الانتفاضة ، وكأن هذه الدوافع لا صلة لها بالموضوع . وقد وعد زعماء القرى والمدن العربية بعدم السكوت ومواصلة العمل بكافة الاساليب الممكنة حتى تتراجع الحكومة عن قرارها الخاص بمصادرة الاراضي ، لذا يتوقع خلال الايام المقبلة استمرار الغليان .

الاسرائيليون يؤيدون عمليات المصادرة

اما على صعيد الرأي العام الاسرائيلي ، فيبدو ان الاكثرية تؤيد مشروع مصادرة الاراضي العربية ، وهذا ما يستدل عليه من الصحف الاسرائيلية ، وقد عبرت عن ذلك صحيفة دافار شبه الرسمية في افتتاحيتها ليوم (٣/١ /٧٦) ، بقولها : « ان قرار الحكومة هو خطوة عملية هامة على طريق تنفيذ خطط اسكان الجليل . ان هذا القرار يستحق التأييد الواسع ، خاصة انه اصبح من الواضح انه ليس من بديل اخر حقيقي لاسلوب المصادرات ، ولا اعتراض على الحاجة الى تقوية (الوجود اليهودي) في الجليل » . كذلك عبرت صحيفة اخرى عن رأيها بأن « قرار المصادرة الذي اتخذته الحكومة متأخرا جدا . ولكنه قرار صحيح ويستحق التأييد » (افتتاحية معاريف ، ٣/١ /٧٦) . اما على صعيد

الاحزاب فيبدو ان العرب لن يجدوا مؤيدين لهم سوى تلك الفئات التي ساندتهم في الماضي مثل حركة موكيد وهعولام هازيه وما شابهها ٠ وقد قدم عضو الكنيست مئير باعيل ، زعيم حركة موكيد ، اقتراحا الى الكنيست لاعادة البحث في مصادرة الاراضي في الجليل ، واعلن ان مصادرة الاراضي هذه لمتطلبات التطوير تلزم مساواة كاملة في المركز القانوني بين العرب واليهود ، وبين الفقراء والاغنياء ٠ واضاف بعيل «ان اي تمييز لاعتبارات سياسية يجب أن يكون موجها لصالح القطاع العربي ، الذي يجب ان نتصرف تجاهه بتسامح كبير نظرا للازمة العميقة القائمة بين دولة اسرائيل والجمهور العربي داخلها ، وليس على العكس» (دافار ، ٣/٣ /٧٦) ٠ وقد رفض البرلمان الاسرائيلي اقتراحه هذا ، بأغلبية قصوى ٠

اما موقف حزب مبام المتلون ، فقد انعكس من خلال موقف وزيريه في الحكومة اثناء التصويت على قرار المصادرة ، حيث اقترحا تأجيل قرار المصادرة ، حتى يتم اعداد برنامج شامل « لتطوير » الجليل كله ٠ ويرى الحزب ، انه من المطلوب حقا زيادة عدد السكان اليهود في الجليل ، ولكن يجب الامتناع عن عمليات السلب ومصادرة الاراضي (المصدر نفسه) ٠ وقد كشف عضو الكنيست مئير يعري ، عن موقف حزبه الواضح حول مسألة مصادرة الاراضي ، خلال النقاش الذي جرى في اللجنة السياسية للحزب بقوله ، « ان تطوير الجليل وتهويده ليس سوى مضمون واحد » ٠ وطالب بالاعلان بوضوح امام اعضاء الحزب العربي ، الذين يعارضون عمليات المصادرة ، بأن « هدف الحزب هو العمل على ضمان اكثرية يهودية في الجليل ، لان هدف الصهيونية هو الحفاظ على الصبغة اليهودية للدولة من خلال الامتناع عن اضطهاد السكان العرب » (هارتس ، ١٠/٢٠ /٧٥) ٠ واعلن سكرتير عام الحزب مئير تلمي ان الانخفاض الدائم في عدد السكان اليهود في الجليل يمكن ان يؤدي ، في ظروف معينة ، الى تعقيدات سياسية ٠ واضاف ان عدم مصادرة الاراضي يغيب التوقف عن التطوير في الجليل (المصدر نفسه) ٠

ويتساءل بعض الاسرائيليين لماذا تتبع الحكومة سياسة المصادرة وتتنازل سلفا عن امكانية استملاك الاراضي ، عن طريق المفاوضات مع العرب ، فترد على ذلك الاوساط الرسمية بقولها ان عرب الجليل لا يتنازلون بسهولة عن اراضيهم مهما كانت الاعتبارات٠ (حناحم راهط ـ معاريف ، ٣/٣ /٧٦) ٠

حنه شاهين